الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم الثقافة
الشعبية

بحث لنيل شهادة الدكتواه في تخصص
الأنثربولوجيا

التربية الصوفية و أثرها في السلوك
دراسة أنثربولوجيا

إعداد الطالب
أمحمد ربيع

تحت إشراف
الدكتور:العربي بن الشيخ

أعضاء اللجنة

أ،د/ عكاشة الشايف استاذ التعليم العالي جامعة تلمسان	رئيسا
د/ العربي بن الشيخ أستاذ محاضر جامعة باتنة	مقررا
أ،د/ أحمد بوذراع أستاذ التعليم العالي جامعة باتنة	عضوا
د/ بن التواتي تواتي أستاذ محاضر جامعة الأغواط	عضوا
د/ محمد رمضان أستاذ محاضر جامعة تلمسان	عضوا
د/ عبد الحق زريوح أستاذ محاضر جامعة تلمسان	عضوا

السنة الدراسية: 1429 / 1430 هـ
الموافق لـ: 2008 / 2009 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

- إلى روحي أبوي الطاهرين الذين كانا سببا في وجودي واجتهدا في تربيتي وتعليمي وتمنيا على الله أن أكون لهما في الدنيا ذكرا وفي الآخرة ذخرا.

(رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) الإسراء/ 24

- إلى مشايخ الصوفية أهل العبادة والعلم والعمل أهل الكتاب والسنة الذين أعطوا المثل في اقتفاء أثرالرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

- إلى مشايخي الذين منحوني رعايتهم ولم يدخرواوسعا في توجيهي وإرشادي.

- إلى أساتذتي الذين أسهموا في تكويني وأخذوا بيدي حتى إنجاز أبحاثي وبلوغ مرامي و تحقيق أهدافي.

- إلى إخوتي الطلبة والباحثين الصابرين والمحتسبين بجهدهم وعلمهم وجه الله تعالى.

- إلى كل الدعاة المخلصين والعباد والنساك الملتزمين من شيوخ وعلماء ومريدين.

- إلى أصدقائي الذين أسعفوني وقدموا لي كل معونة وشجعوني على طلب العلم والرغبة في المزيد.

- إلى كل شهداء فلسطين الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

- إلى كل أفراد أسرتي الذين تحملوا الكثير من المعاناة وصبروا علي حتى تحقيق غايتي ونيل مرادي .

أهدي إليهم جميعا هذا الجهد المتواضع الذي هو ثمرة فؤادي

وأحتسبه عند الله ليقيل به عثراتي.

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على ورسول الله ومن ولاه، الحمد لله الذي وفقني وأعانني على إنجاز هذا البحث المتواضع على الرغم من سعته وتشعبه وكثرة مصادره ومراجعه.

- وعليه فإنه لايسعني إلا أن أتقدم بأصدق عبارات الشكروالتقدير والثناء والعرفان بالجميل لكل من قدم لي يد المساعدة بغية تحقيق هذا الجهد النبيل من أساتذتي الأفاضل في مختلف الأطوار منذ طفولتي وحتى بلوغ سن كهولتي.

-إلى أستاذي وأخي الدكتورالعربي بن الشيخ الذي أشرف على تتبع بحثي وصبر على كثرة ترددي وإلحاحي ولم يدخر وسعا في تدارك هفواتي وتصويب اجتهاداتي.

-إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء اللجنة المحترمين الذين قبلوا مناقشة رسالتي وتقييم أبحاثي.

جزى الله الجميع عني كل خير وأمد في أعمارهم وبارك في حياتهم حتى تنتفع الأجيال مما حباهم الله به من العلم والتربية والإرشاد ومراتب العرفان.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المقدمة :

إن الحياة الطيبة هي ما كانت في ظلال العقيدة، مصداقا لقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام / الآية 162.

و أن كل خروج عن الهدي يكون صاحبه غير مأمون العواقب، لذلك استرعى انتباهنا حال الأمة الإسلامية التي وصفها الله بالخيرية، ومنحها الشهادة على الناس فقال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) آل عمران / الآية 110.

و قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) البقرة / الآية 143.

ولكن حال هذه الأمة، بلغ مستوى من التردي جعل الأمم شاهدة عليها. فما سر تخلفها وانحدارها بعد أن كانت في الرعيل الأول أمة تقود العالم, وتمده بكل خير وسعادة. هذا التساؤل دفعنا إلى مواصلة البحث بغية العثور على مكمن الداء وموضع الخلل، فأعدنا القراءة بتأن لسيرة النبي- صلى الله عليه و سلم- و نظرنا في بعض المصادر العقدية وما فيها من شعب الإيمان، ومناقب الصحابة و التابعين. فاتضح لنا أن الرسول – عليه الصلاة السلام –كان خلقه القرآن، و بذلك وصفته أم المؤمنين عائشة فعلم الصحابة ورباهم على هديه. كان الواحد منهم يقرأ عشرا من الآيات فلا يتجاوزها حتى يعمل بها, فورثوا عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – العلم والعمل

و نقلوا منهجه إلى التابعين لهم، فسادوا بذلك العالم أينما حلوا وارتحلوا. "حتى كانت نهاية القرن الثاني الهجري، وقد اتسعت رقعة الخلافة، وتعددت الملل والنحل، وعمت البلوى بكثرة الإقبال على الدنيا، بدأت شعلة الإيمان تخفت و تتضاءل حتى أصبح يطلق على أهل الإلتزام بالدين والإعراض عن الدنيا اسم: العباد و الزهاد. ومع مرور الزمن أضحت تعرف هذه الجماعة من الناس بالصوفية، وتشكل لها مذهب له ضوابطه ومميزاته"، كما ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته.

الصوفية هم المتمسكون بالدين، والملتزمون بتعاليمه "شريعة، وعقيدة، وأخلاقا". فكان منهم العلماء الجهابذة في مختلف ميادين العلم من طب، وفلك، وأصول، وفقه وتفسير وحديث من أمثال: الحسن البصري، والفارابي، وجابر ابن حيان، والغزالي، والألوسي وغيرهم كثير. كان التصوف بعد عهد الصحابة والتابعين مورد عطاء، ومنبع سخاء فكثرت الكتابات فيه: "تأصيلا، وتفريعا، مثل ما فعل: السهروردي في كتابه: عوارف المعارف، وشرح المقاصد للتفتزاني، واعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي، و طبقات الشعراني، والإحياء للغزالي. إن مجال التصوف واسع، يزخر بالكثير من المراجع و المصادر التي تناولت موضوع التصوف بالبحث: "شرحا، وتحليلا، وتعليقا، وقعدت فيه الكثير من النظريات... وتنوعت في وضع الرموز و الإشارات، والمصطلحات التي لا يفقه كنهها ولا يدرك سرها إلا الراسخون في العلم الرباني" كما جاء في كتاب الإحياء للغزالي. لذلك فإنه يصعب على الباحث الفتي أن يحقق المقصود من هذا الكم الهائل من المصنفات، فالصعوبة إذن تكمن في كثرة المؤلفات لا في ندرتها وقلتها.

الإشكالية :

راجعنا الذاكرة على عجل، واستعرضنا المراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية، وما تعانيه من انفصام بين النظر والتطبيق، فاهتدينا – بعون الله – إلى أن الحاجة ملحة إلى البحث في مجال التربية عند الصوفية، ومالها من أثر في توجيه السلوك عندهم، وقلنا إذا كان البحث في موضوع التربية العملية عموما؛ وعند الصوفية خصوصا من الأهمية بمكان فإنه يمكن طرح الإشكالية في هذه الجملة من التساؤلات:

1 – ما مضمون هذه التربية عند أهل التصوف؟..

2 – هل هي حسية مرتبطة بالجسد؛ أو هي معنوية متوقفة على تهذيب الذوق، وترقية الوجدان، وترويض الروح بما يسمو بها إلى عالم الملكوت، فيجعلها منقادة لأمرالله – تعالى – ومجتنبة لنهيه، ساعية لفعل الخير بما يعود بسعادة الدارين؟..

3 – ما هي المراحل المتبعة عندهم لتحقيق ذلك، وهل يكون لها أثر في توجيه سلوكهم بما يجعلهم مميزين على غيرهم ؟..

الفرضيات:

إذا كان الإشكال المطروح يتعلق بمفهوم التربية عند الصوفية، وأنواعها ومراحلها, وسبل تحقيقها حتى يكون لها الأثر في توجيه السلوك، فما هي البدائل, والفرضيات التي يمكن أن تكون جوابا كافيا, وشافيا لتلك التساؤلات.

1 – هل يمكن القول بأن التربية عند الصوفي تتميز بكونها حسية: تعمل على تدريب الجسم على القيام بالأعمال الشاقة مثل: الكدح وطول المشي، والسهر والجوع والعطش و العزلة ؟.

2 – أو أنها معنوية: تهتم بتربية الروح على مداومة الذكر من قراءة القرآن، والتسبيح والتهليل و مختلف الأوراد، بما يجعل الصوفي قادرا على تحمل المعاناة، و يكون بعد ذلك لهذه الممارسات الرياضية للروح والبدن أثرها في توجيه السلوك، بما يجعل صاحبه بحق قدوة لغيره مثلا: إذا ابتلي أحدهم في نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه بالخير أو الشر فما موقفه حيال ذلك ؟..

3 – أو أن التربية عند الصوفي هي ذريعة لعجزه عن مواجهة تحديات الحياة، فينصرف إلى العزلة والزهد متخليا عن مسؤوليته في هذه الأرض التي استخلفه الله فيها ليعمرها بنشر الفضيلة وترك الرذيلة. قال تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى) ص /الآية 26.

ذلك ما سنتناوله من خلال القيام بدراسة عملية تطبيقية للتربية عند الصوفية، باعتبارها الحلقة المفقودة التي يتوقف عليها إصلاح الحال والمآل. فجمعنا أمرنا وعزمنا بعد التوكل على الله والاستعانة به، واخترنا موضوع بحثنا موسوما بـ: التربية الصوفية و أثرها في السلوك كدراسة "انثروبولوجيا" ونعني بها علم الأناسة أي الذي يبحث في علم الإنسان وما يتعلق به من أوضاع اجتماعية, وثقافية, واقتصادية. وسياسية.

أهمية البحث وأهدافه:

حينما قرأنا كتاب الإحياء للغزالي وما اشتمل عليه من صفات لأهل التصوف، ومالهم من ذوق في فهم النصوص وتفسيرها وفق المراد، كقولهم في تفسير قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) الأنفال /الآية29.

قالوا في الفرقان أنه نور يفرق به المؤمن بين الحق والباطل، ويخرج به من بين الشبهات كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره. ثم اطلعنا على بعض ما ذكره الشعراني في الطبقات الكبرى في وصف الصوفي حيث قال:" اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه من الله بلا واسطة من نقل أو شيخ. فإن كان علمه مستفادا من نقل أو شيخ، فما برح عن الأخذ من المحدثات ".

فهذا الوصف للعلماء، وأنواع القلوب، وفيوضاتها الربانية، عندما اطلعنا على ذلك ازداد يقيننا بأن الباحث المعاصر، قد كفاه الجهابذة من علمائنا الأخيار مؤونة الإضافة في هذا البحر العميق، فهم لم يتركوا شاردة، ولاواردة إلا وتعرضوا لها، فجزآهم الله عن الإسلام و المسلمين كل خير، عند ذلك فكرنا في مجال النقد والتمحيص، وتوخينا الأهداف التالية فيها:

1- دراسة ميدانية تطبيقية للتربية عند الصوفية لإدراك أثرها في السلوك.

2 – مقارنة بين الجانب النظري والتطبيقي عند الصوفية.

3 – بيان ما لها من أثر في توجيه السلوك عند الفرد والجماعة للإرتقاء في مراتب الكمال الإنساني. عند القيام بتحقيق هذه الأهداف يتضح لنا مدى إمكانية مطابقة القول للفعل, ومدى تأثير ذلك ووقعه في المجتمع، بما يجعله فاضلا مميزا "بزمكانية"- كلمة مركبة من ظرفي الزمان والمكان ، وتعني المعاصرة - أفراده وموروث أجياله .

المنهجية المتبعة في البحث:

وقد اعتمدنا منهجية مبسطة لتحقيق البحث، ونعني بها الطريقة المتبعة في انجاز المشروع بعد وضع الخطة وبيان مراحلها بذكر الفصول والمباحث، ثم الأسلوب ومختلف الرموز والإشارات، وتحديد المصطلحات المتداولة في المشروع. وقد ركزنا على النقاط التالية :

1 – نوعية المنهج المعتمد ومبرراته:

لقد استعملنا المنهج التاريخي لعرض الوقائع والأحداث بكل أمانة علمية، ولأن طبيعة البحث تقتضي منا مثل ذلك،كما تناولنا منهج المقارنة والوصف والاستقراء، ذلك لأن الباحث الموضوعي لا يمكنه الاستغناء عن هذه المناهج عند عملية الاستقصاء والتحري والنقد والتحليل حتى يتأتى له القيام بعملية التمحيص والمقارنة، ثم إبداء الرأي، واصدار الحكم ان كان له لزوم.

2 – تنظيم مضامين المصطلحات:

إن اختيارات المصطلحات الصوفية ذات التعريفات المختلفة، والحاملة لإبعاد وجدانية و آراءاً و صورا و تبديات، تتم عن العمليات الفكرية التي استقرت بعقل وقلب المتصوفة و هي في الوقت نفسه تغني العربية، وتدعمها بروافد في شتى الميادين، إن ذلك يتطلب جهدا كبيرا وأحيانا مضنيا. لذلك بدأنا:

أ – باستبعاد الشروح والألفاظ المتعلقة بالتداخلات الفقهية، والمجادلات الكلامية، أو الردود بين الطرق الصوفية.

ب – حصرنا التعريف بالمفاهيم الأساسية لجعله مستقلا بينا. وحذفنا التطويل والاستطراد و الاعتراض، ووضعنا مكانه عدة نقاط.كذلك الأمر في التعريفات الطويلة ذات الشرح المستفيض والمحتوية على عدة أفكار.

ج – استوفينا جل تعريفات المصطلحات من التي اعتمدها المتصوفة والتي لها علاقة بموضوع البحث إذ أدرجنا المصطلح الرئيسي، ثم أدرجنا الفروع عليه كالإخلاص إخلاص الدعاء، إخلاص في العمل،إخلاص المريدين.

د– جاءت بعض المصطلحات القليلة في صيغة التثنية، أو الجمع أو الجمل، فأوردناها على صيغتها، نظرا لما تحمله من أبعاد، ومفاهيم صوفية لها انعكاساتها.

هـ – أسقطنا بعض المرادفات لمصطلحات كثيرة كانت قد تكررت لدى مؤلف واحد أو عدة مؤلفين أو مؤلف وشارحه إذا كان المعنى واحدا و متكررا.

3 – نظم المصطلحات وترتيبها:

أ – رتبنا المصطلحات بحسب لفظها ورسمها من عودة إلى الجذر، ثم و ضعنا فهرسا لهذه المصطلحات في نهاية البحث. أما المصطلح المركب فقد روعي فيه عادة اللغة، إذا اقتضى الأمر وضع اللفظ الثاني أو الثالث معرفا، مثل علماء التصوف، أحوال القلوب.

ب – كان الحرص أن تأتي معظم المصطلحات أسماء و ليس أفعالا باستثناء البعض، كما جاءت بعض الشروح والعبارات مبهمة يغلب عليها الطابع الأعجمي فنقلناها كما هي حرصا على الأمانة العلمية.

د – جمع النصوص من المتصوفة المتقدمين والمتأخرين المشهورين بالأعتدال والموثوق بهم لدى العامة .

هـ — اتبعنا اللقاءات الميدانية بتعليقات تقييمية تعبر عن وجهة نظرنا فيما توصلنا اليه من نتائج.

– خطة البحث :

مقدمة و أربع فصول في كل فصل جملة من المباحث والمطالب والفروع متفاوتة من حيث الكم والعدد حسب طبيعة محور الفصل وما يقتضيه. وهي مفصلة كالآتي:

المقدمة: ضمناها فكرة البحث ودوافع اختياره، بالإضافة إلى الدراسات السابقة والعوائق والصعوبات التي تعترض الباحث، كما تعرضنا فيها إلى الإشكال المطروح وافتراض الإجابة عليه.

الفصل الأول: جعلناه خاصا بتعريفات موضوع البحث: اللغوية منها، والاصطلاحية أي التربية الصوفية كدراسة انثربولوجيا، وذلك لأن البحث ذو صبغة انثربولوجيا مما استوجب منا – ولو بإيجاز– التعرض إلى مفهومها وبيان طبيعتها وتحديد أهدافها. وقد جعلنا له ثلاث مباحث لكل مبحث منها مطالب وفروع، فأفردنا المبحث الأول من الفصل لمفهوم الأنثربولوجيا كمدخل لموضوع يهدف إلى دراسة الإسقاطات النظرية للتربية الصوفية في الحياة اليومية للفرد والمجتمع. له مطلب واحد به ثلاث فروع مقسمة على النحو التالي: المطلب الأول: خاص بمفهوم الأنثربولوجيا. الفرع الأول منه خاص باهداف الأنثربولوجيا.

والفرع الثاني خاص بخصائص الأنثربولوجيا. والمبحث الثاني منه: خاص بمفهوم التربية وذلك لارتباطها ارتباطا وثيقا بصلب الموضوع، فبدونها لا تتجلى مقاصد التصوف ولا تتحقق أهدافه، فاقتضى ذلك منا تناول مفهومها وربطه بموضوع التصوف. وجعلنا له ثلاث مطالب، الأول منها: خاص بمفهوم التربية، والثاني: خاص بأهمية التربية، والثالث: خاص بأهداف التربية. أما المبحث الثالث: فقد خصصناه لتعريف التصوف لغة واصطلاحا، باعتباره المقصود من البحث لذاته؛ فلابد من تعريفه لان التعريف أشمل من المفهوم في تحديد ماهية الشيء. وقسمناه الى مطلبين: الأول منهما متعلق بتعريف التصوف لغة، وبه فرعان: الاول منهما: خاص برأي القدامي. والثاني: برأي المحدثين. أما المطلب الثاني: يخص التعريف الاصطلاحي للتصوف، وبه ثلاث فروع الأول منها: خاص بالتعريف الأخلاقي. والثاني: بالتعريف الزهدي. والثالث خاص بتعاريف أعلام الصوفية، كأبي سعيد الخراز، والجنيد، والكتاني، والشبلي، وبشر الحافي،والغزالي.

الفصل الثاني: تعرضنا فيه إلى نشأة التصوف ومصادره, وجعلنا له أربع مباحث المبحث الأول: ذكرنا فيه نشأة التصوف، به ثلاث مطالب، الأول منها: خاص بالنشأة الفطرية والثاني منها بالنشأة التاريخية، والثالث: خاص بالعوامل المؤثرة في التصوف وجعلنا لهذا الأخير، فرعان الأول منها: متعلق بالعوامل الخارجية، ونعني بها آراء المستشرقين حول نشأة التصوف، ومرجعيته من أمثال: ميركس، وجونس، وثولك ونيكلسون. والفرع الثاني:خاص بالعوامل الداخلية، ونعني بها الوسط، والبيئة التي يعيش فيها الفرد. والمبحث الثاني: خصصناه لمصادر التصوف:كالقرآن، وسيرة الرسول–صلى الله عليه وسلم– بالإضافة الى سيرة الصحابة، والتابعين لهم. مقسما إلى أربع مطالب الأول منها: خاص بالقرآن الكريم، والثاني: بسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم — وبه فرعان الاول منهما: خاص بسيرته قبل البعثة، والثاني: بسيرته بعد البعثة، أما المطلب الثالث: خاص بسيرة أهل القرآن وأصحاب الصفة. وبه فرعان الأول منها: متعلق بسيرة أهل القرآن والثاني: خاص بسيرة أصحاب الصفة، من أمثال : سلمان الفارسي، وحذيفة بن اليماني والبراء بن مالك. أما المطلب الرابع: خاص بسيرة الخلفاء والتابعين لهم وبه فرعان: الأول منهما: خاص بسيرة الخلفاء من أمثال: ابي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. والفرع الثاني: بسيرة التابعين من أمثال: الحسن البصري، ومالك بن دينار. اما المبحث الثالث: فموضوعه من حياة

الصوفية، وقد جعلنا له أربع مطالب الأول منها: خاص بالصوفية والعبادة، والثاني: بالصوفية والتكاليف الشرعية، والثالث:بالصوفية والعلم. أما الرابع: بالصوفية والعمل. وقد اردنا بذلك ان نزيل اللبس، ونبين دور الصوفية في معركة الحياة وان التصوف ليس قولا بل هو فعل والتزام. أما المبحث الرابع: فهو متعلق بالمسلك الصوفي ونعني به المقامات التي يتدرج فيها المريد، وقد جعلنا له مطلبين الأول منهما: خاص بمسلك الحب لله ولرسوله والاقتداء به، وبه ثلاث فروع الأول منها: بمقام حب الله ورسوله والثاني: بمقام الاقتداء بالرسول الكريم، و المطلب الثاني: بمقام التوبة وشروطها، لأنها المدخل الذي تنجلي به الأمور وتفتح به المغاليق. أما المطلب الثالث: بمقام الورع والزهد والتوكل والرضا، وكلها مقامات يحرص الصوفية على ترتيبها والتدرج فيها. وهي موزعة على فرعين: الأول منها : لمقام الورع، والزهد، والثاني:
لمقام التوكل، و الرضا.

الفصل الثالث: التصوف والأفكار الدخيلة عليه. وقسمناه كذلك إلى أربع مباحث الأول منها: خاص بدعوى التحلل من التكاليف الشرعية، وموقف الاسلام منها. وبه مطلبان الأول منها: خاص بدعوى التحلل من التكاليف الشرعية، والثاني: بموقف الإسلام منها. أما المبحث الثاني: خصصناه للفرق المحسوبة على الصوفية، وقد تعرضنا فيه لذكر ثلاث فرق أساسية، موزعة على ثلاث مطالب: لنبين من خلالها مواصفات أدعياء التصوف والمنتحلين له. والمبحث الثالث: خصصناه لآراء ومواقف حول الصوفية والتصوف، وبه ثلاث مطالب الأول منها: خاص بموقف أهل السنة من الصوفية والتصوف، والثاني: بموقف الشيعة، والخوارج، وبه فرعان الأول منهما: خاص بموقف الشيعة، والثاني: بموقف الخوارج. أما المطلب الثالث: خاص بنقد الصوفية لأنفسهم، أي النقد الذاتي الصوفي. وهي في الحقيقة بمثابة نقد للتصوف المنحرف أو البدعي. وبه ثلاث مطالب: موزعة على ثلاث طبقات من الصوفية المقصودة بالنقد الذاتي. أما المبحث الرابع: خاص بالتصوف المشروع كما يراه الغزالي، وابن تيمية، وقد فضلنا ذكر الغزالي وابن تيمية على الخصوص قبل غيرهما من علماء الصوفية، باعتبار الأول منهما من رعيل القرن الخامس الهجري، حيث تشكلت مدارس التصوف، وكان له دور في الانتقال بالتصوف من الشكل العاطفي المتمثل في الوجد, والجذب، والهيجان, والشطحات، إلى التصوف كمنهج أخلاقي جعل من

التصوف علما إلى جانب ما فيه من العمل، وجعل منه نظرية ذوقية في المعرفة، وطريقة روحية تعلو بالسالك، وتسمو به إلى عالم الملكوت. وأما الثاني فإنه من رعيل القرن السابع الهجري، حيث اشتد الصراع بين أهل التصوف السني، وكثر أهل البدع والشعوذة، فكان له دور في تنقية المسار الصوفي، والعودة به من جديد إلى الكتاب والسنة كما كان في الرعيل الأول. وجعلنا للمبحث مطلبين، الأول منهما:بالتصوف المشروع كما يراه الغزالي، والثاني: بالتصوف المشروع كما يراه ابن تيمية، وبه ثلاث فروع, الأول منها: بالتصوف المشروع, والثاني: بمقام التوبة ودرجاتها والثالث: بموقف ابن تيمية من المبتدعة وشبهة عداءه، وتحجر قلبه على الصوفية .

أما الفصل الرابع: فقد تطرقنا فيه إلى التصوف والصوفية بالجزائر وبه أربع مباحث الأول منها: خاصا بالمراحل التي مر بها التصوف في الجزائر، وبه مطلب وفرعان أما المطلب فهو: مرحلة التصوف النخبوي، ومرحلة التصوف الشعبي، وأما الفرعان فالأول منهما خاص بمرحلة التصوف النخبوي، والثاني خاص: بمرحلة التصوف الشعبي. أما المبحث الثاني: جعلناه متعلقا بعوامل انتشار الصوفية في الجزائر، وبه مطلب وثلاث فروع موزعة كالنحو التالي المطلب الأول: العوامل الفكرية، والسياسية، والإجتماعية. والفرع الأول: العوامل الفكرية، والثاني: العوامل السياسية ، والثالث: العوامل الاجتماعية. أما المبحث الثالث: خصصناه لشيخ الطريقة القادرية، والطريقة القادرية: نِشأته، ونتاجه المعرفي والروحي. وبه مطلبان الأول منهما خاص: بالشيخ عبد القادر, وبه فرعان الأول منها: مولده ونشأته. والثاني: نتاجه المعرفي والروحي، والمطلب الثاني خاص: بالطريقة القادرية في الجزائر: اسسها، وأورادها ، وبه ثلاث فروع, الأول منهما خاص: بالطريقة القادرية في ورقلة. والثاني: بالطريقة القادرية في وادي سوف, والثالث: أسس الطريقة وأورادها . أما المبحث الرابع: أقمنا فيه دراسة ميدانية؛ استقصاء عمليا لمجموعة من المريدين متفاوتين من حيث السن، والمستوى التعليمي، والخبرة الوظيفية، حتى نتمكن من معرفة مدى مطابقة القول للفعل عند المريد السالك في طريق الصوفية. أي مدى أثر التربية الصوفية في سلوك الفرد ومنه إلى المجتمع باعتباره البوتقة التي تنصهر فيها جميع السلوكات الفردية، ثم تلقي بظلالها على كل مرافق الحياة، ومنها يكون الحكم على المجتمع من حيث القابلية للنهوض والتطور أو عكس ذلك من أوجه التخلف والجمود. وبه مطلبان الأول منهما خاص: بالدراسة

الميدانية، وبه أربع فروع لأربع فئات محل الدراسة، أما المطلب الثاني خاص: بإحصاء الزوايا المنتشرة عبر الوطن الجزائري، وبه فرع واحد متعلق بنتائج الاستقصاء.

مفاهيم أهم المصطلحات: وقد أردنا بذلك تحديد مفاهيم أهم المصطلحات الواردت في البحث حتى نساعد القارئ على ادراك المعنى المقصود لهذه المفاتيح العلمية ذات الصلة بالبحث المقدم. وعليه فأهم المصطلحات التي تعرضنا لها في بحثنا نجملها في ما يلي:

- الصوفية: يقال للجماعة صوفية، الذين يسلكون طريق التصوف، أي العارفين بالله
- الزهد والزاهد: ونعني به تطويع متاع الدنيا لنيل رضا الله تعالى.
- الفرقة: ونعني بها كذلك الطائفة أو المجموعة.
- العزلة: ونعني بها الانفراد بالحق عن الخلق.
- الإنقطاع: ونعني به التفرغ من كل شغل لغير الله.
- العارف: ونعني به المنصرف بفكره الى قدس الجبروت.
- العابد: ونعني به المواظب على فعل العبادات.

الناسك: ونعني به العابد.

الخاتمة : ونتعرض فيها إلي ذكر النتائج المتوصل إليها من البحث المقدم.

التوصيات : وهي التي نرى ضرورة التذكير بتجسيدها.

الملخصات : لمضمون البحث: بالعربية, والفرنسية, و الإنجليزية.

الفهارس:

1 – فهارس الآيات مرتبة حسب ترتيب سورها بالمصحف الشريف.

2 – فهارس الأحاديث ، وفق الألفبائية.

3 — المصطلحات.

4 – الأعلام.

5 – المراجع و المصادر المعتمد عليها في البحث

6 – فهرس الموضوعات

الفصل الأول

مفهوم التربية الصوفية

"أنثربولوجيا"

المبحث الأول

مفهوم الأنثربولوجيا

وبه مطلب واحد: مفهوم الأنثربولوجيا

وله فرعان أساسيان :

الفرع الأول: خاص بأهداف الأنثربولوجيا

الفرع الثاني: متعلق بخصائص الأنثربولوجيا

المطلب الأول: مفهوم الأنثربولوجيا

هناك علوم قديمة متعارف عليها من جانب كافة الباحثين مثل: الطب والفلسفة والحساب والفلك، لكن حين نتعرض لعلم الانثربولوجيا، نجده علما حديث العهد نسبيا على مفاهيم الإنسان، واصطلاحاته، إذ تعود نشأته الرسمية إلى القرن الثامن عشر من الميلاد تقريباً. بيد أن علم الانثربولوجى هو علم قديم من حيث الاختصاص لكونه يختص بدراسة شئون الإنسان والمجتمعات الإنسانية، فهو علم قديم ارتبط بالإنسان وانشغل به العلماء والفلاسفة، ولكن تم تنظيره أخيرا كعلم مستقل، وباصطلاح الانثربولوجيا في تاريخ حديث نسبيا."إن لفظة أنثروبولوجيا هي كلمة إنكليزية مشتقّة من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين أنثروبوس ومعناها "الإنسان" ولو جوس ومعناه "علم" فيصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان"[1] أي العلم الذي يدرس الإنسان، فهو علم يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة. ويقوم بأعمال متعدّدة ويسلك سلوكاً محدّداً، وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل. وهو علم يهتم بدراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً، وحضاريا، أي أنّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، يحيا في مجتمع معيّن له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين.

الأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة البيولوجية والاجتماعية والثقافية فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضهاعن بعض اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطوّر الجنس البشري، والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسيّة واقتصادية ودينية وقانونية وما إليها، وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنّوعة التي تشمل:

1 – التراث الفكري وأنماط القيم، وأنساق الفكر، والإبداع الأدبي والفني بل والعادات

1- الدكتور جميل صليبا / المعجم الفلسفي/ دار الكتاب اللبناني /1978 /266/1

والتقاليد، ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية، هي "الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان"[1] فهي إذن تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية. والتي نستطيع من خلالها التمييز بين الأفراد كل بحسب المجتمع الذي يعيش فيه فمثلا:

أ – الإنسان المدني له خصائصه التي يتميز بها عن الإنسان البدوي.

ب – الخصائص المكتسبة: وذلك أن الطفل الذي ينشأ في البادية يكتسب خصائص ذلك المجتمع البدوي، وما فيه من عادات وتقاليد وأخلاق، وقد كان أهل مكة يبعثون أبناءهم للتربية في بادية بني سعد لتنمو فيهم المواهب الفطرية، بعيدا عن المدن وما فيها من دخن .

الفرع الأول : أهداف الأنثروبولوجيا.

[1] - مجمع اللغة العربية /المعجم الفلسفي /القاهرة 1965/ 1 / 84

استناداً إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها، فإنّ دراستها تحقّق مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في الأمور التالية:

1 – وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحياة اليوميّة

2 – تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية، بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط انسانية عامة في سياق الترتيب التطوّري الحضاري العام للإنسان:

"بدائي– زراعي– صناعي — معرفي – تكنولوجي"[1]

3 – تحديد أصول التغيّر الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيّر وعملياته بدقّة علمية وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.

4– استنتاج المؤشّرات والتوقعّات لإتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها بغرض التطلع لمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.

وعليه بالنظر إلى طبيعة الأنثروبولوجيا فإن هناك تفاوت فى تعامل الثقافات المختلفة مع علم الأنثربولوجيا.

"الشعوب الناطقة باللغة الإنكليزية جميعها تطلق على علم الأنثروبولوجيا: علم الإنسان وأعماله بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوروبية غير الناطقة بالإنكليزية على دراسة الخصائص الجسمية للإنسان .. كذلك هناك اختلاف حول طبيعة اهتمامات هذا العلم داخل الثقافة الغربية فهو يعني..في أوروبا، الأنثروبولوجيا الفيزيقية وينظر إلى علمي الآثار واللغويات كفرعين منفصلين"[2].

الفرع الثاني: خصائص الأنثربولوجيا

---

[1] – الدكتور جميل صليبا / المعجم الفلسفي/دار الكتاب اللبناني / 266/1/1978

[2] – الدكتور جميل صليبا / نفس المرجع السابق / 267/1

إن علم الأنثروبولوجيا يمكن القول فيه بأنه، ينقسم إلى قسمين أساسيين كبيرين:

1 – يبحث الأول في الإنسان، ويعرف بالأنثروبولوجيا الطبيعية. ويشمل كل ما يتعلق بطبيعة الإنسان من مواهب وأفكار وميول وعرق بل وقومية وجنس.

2 – ويبحث الثاني في أعمال الإنسان من سلوكات، وتصرفات، وعلاقات، وانجازات انطلاقا من وضعه في الأسرة إلى محيطه في مجتمعه المباشر أو غير المباشر و أعني به علاقاته الإنسانية، ويعرف هذا بالأنثروبولوجيا الثقافية. وعليه عند تعرضنا لمفهوم الأنثربولوجيا وطبيعتها، وأهدافها، وخصائصها بين الشعوب – ولو كان ذلك بإيجاز– فإننا نستخلص من ذلك كله تعريفا جامعا للدكتور شكري سليم في قاموس الأنثروبولوجيا الصادر عام 1981م، يقول فيه: "أن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا و حضاريا" [1] . وعليه يمكن تحديد الأنثروبولوجيا في ثلاثة تخصصات أساسية وهى:

1 – الأنثروبولوجيا الطبيعية

2 – والأنثروبولوجيا الإجتماعية

3 – والأنثروبولوجيا الثقافية

المبحث الثاني

2- معجم اللغة العربية /المعجم الفلسفي / القاهرة 1965/ ص85

مفهوم التربية

وبه ثلاث مطالب موزعة على

النحوالتالي:

المطلب الأول: خاص بمفهوم التربية

لمطلب الثاني: خاص بأهمية التربية

المطلب الثالث: خاص بأهداف التربية

المطلب الأول: مفهوم التربية

إن طبيعة البحث تفرض علينا احترام المنهجية المعتمدة فيه، والتعرض لكل مصطلح بما يسمح بفهمه وبيان أبعاده و بما يبرر صياغته في النص؛ وإدراجه في خطة البحث. لذلك ونحن نتناول موضوع التربية الصوفية؛ وأثرها في سلوك الفرد و المجتمع. نجد أنفسنا ملزمين بحكم عنوان البحث أن نتعرض – و لو بإيجاز– لمفهوم التربية كمدخل للصوفية باعتبارها صلب البحث ومقصوده، وعليه فإنه يمكن القول بأن مفهوم التربية : هي تبليغ الشيء إلى كماله أي: تنمية الوظائف النفسية بالتمرين؛ حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا نقول: ربيت الولد، إذا قويت ملكاته، ونمت قدراته، وهذبت سلوكاته، حتى أصبح صالحا للحياة في بيئة معينة ونقول: " تربى الرجل إذا أحكمته التجارب، و نشأ نفسه بنفسه ومن شروط التربية الصحيحة، أن تنمي شخصية الفرد من الناحية الجسمية والعقلية، والخلقية حتى يصبح قادرا على المؤالفة الطبيعية، يجاوز ذاته ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس وتعد التربية ظاهرة اجتماعية، تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها و تطورها"[1]. والتربية والوراثة متقابلتان والفرق بينها:

1 – أن التربية لها خاصية التغيير والتبدل والتجديد، فإذا كان الموجود الحي يتغير بتأثير غيره تارة، و بمؤالفة الظروف التي يعيش فيها تارة أخرى، فمرد ذلك إلى التربية.

2 – أما الوراثة :فلها خاصية الثبوت، التي يمكن توارثها بين الأفراد مثل اللون ، وأحيانا حتى المواهب مثل الذكاء ، وعليه إذا وجدنا المرء يميل بفطرته إلى الإتصاف بصفات نوعه في اللون، أو الجنس ، فمرد ذلك إلى الوراثة.

وللتربية طريقتان:

أ — موجهة : وهي أن يربى المرء بواسطة المربي, المعلم والمرشد، حتى يسلك الطريق ويكتسب المعارف في تدرج حسب سنه، وقدراته. وبهذا تكون التربية عملا موجها يتم في بيئة معينة وفقا لفلسفة معينة.

ب – تلقائية: وهي أن يربي نفسه بنفسه، بمعنى أن يترك الفرد بدون تدخل خارجي وإذا أخذت بالطريق الثاني، كانت عملا ذاتيا، يترك فيه الفرد على سجيته ليتعلم من نشاطه الخاص وبعصاميته الذاتية، ولعل هذا النوع من التربية الطبيعية هو ما أشار ابن طفيل – في

[1] – مجمع اللغة العربية / المعجم الفلسفي / القاهرة 1965/ 19 / 86

كتابه حي بن يقظان في الصفحة الخامسة والثلاثين، كما ذكر ذلك الدكتور جميل صليبيا في معجمه – بقوله : " ونحن نصف هنا كيف تربى، وكيف انتقل في أحواله، حتى بلغ المبلغ العظيم، فتربى الطفل ونما، واغتذى بلبن تلك الظبية ... فاعلمه حي بن يقظان أنه لا يدري لنفسه ابتداء، ولا أبا ولا أما أكثر من الظبية التي ربته "[1]. لكن هذا النوع من التربية لم يخلو من التدخل الخارجي، وذلك بوجود الطفل في المجتمع ألبهائمي ، مما جعله يكتسب حيوانيته منه، أما التربية وخصوصا في مناهجها الحديثة فهي التي تقوم على مراعاة الفروق الفردية، والقابلية الشخصية، فهي حركة إصلاحية تهدف إلى العناية بالجسم والروح. إذن فلابد لها من تأديب، ورعاية، ورقابة لأن الناس متفاوتون في المواهب فمنهم النبهاء القادرون على اكتشاف الحقائق و التعمق في البحث، ومنهم دون ذلك،و لكن على الجميع أن يدرك ويتعلم مالا بد منه لكن يكون ذلك إلا وفق منهج، وتعهد مرشد.

المطلب الثاني : أهمية التربية.

[1] – الدكتور جميل صليبا / نفس المرجع السابق /266/1

وللتربية أهمية بالغة التأثير في حياة الفرد والمجتمع، ويمكننا أن نلخصها في العناصر الآتية :

1- قابلية الإنسان باعتباره كائنا حيا للنمو والتكييف والتأقلم مع البيئة الإجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها. فمن الملاحظات البسيطة والمألوفة، أننا نشاهد الكائنات الحية – نباتا، أوحيوانا، يطرأ عليها في كل يوم، بل وفي كل لحظة مظاهر من التغيير، إما بزيادة أو بنقصان. وكثير منا من حاول في وقت من الأوقات أن يضع "بذرة" في حوض به تربة أو يضع فرعا صغيرا من شجرة زهرية، ثم يتعهده بالري يوما بعد يوم، فإذا بهذه البذرة الضئيلة، وهذا الفرع الصغير، قد استحال إلى شجيرة صغيرة، يلاحظ الإنسان نموها يوما بعد يوم حتى تؤتى أكلها بعد حين، وكثيرا ما يحدث أن يغفل هذا الإنسان عن الشجيرة الصغيرة، فلا يداوم على سقيها ولا يعتني بتقليب تربتها، فإذا بها تذبل و ينحني عودها و يجف ورقها. والإنسان و هو أرقى الكائنات الحية له القابلية الفطرية للتغيير، زيادة ونقصا.

2 – الظروف "الداخلية والخارجية" التي يمر بها الإنسان، والمقصود بالظروف الداخلية: عوامل الوراثة، أوعوامل الفطرة التي يولد الإنسان مزودا بها، وبالظروف الخارجية:عوامل البيئة الطبيعية، والإجتماعية، والإقتصادية، والثقافية، وغيرها مما يحيط بالفرد ويؤثر فيه تأثيرات مختلفة. ويشترك الإنسان مع بقية الكائنات الحية في القدرة على التشكل والتكييف مع البيئة الخارجية حسب مقتضيات الحال، يأخذ منها كما يعطى لها، ولا يستطيع الفرد كائنا ما كان أن يعيش بمفرده مستغنيا عن الجماعة. ولعل هذا ما قصده ابن خلدون بقوله: "الإنسان مدني بطبعه "[1]. أي ميال إلى الاجتماع بالغير والحياة في معيشة مشتركة. وعليه نستخلص مما سبق: أن التربية هي عملية إحداث تغيير في شخصية الفرد بحيث يؤدي هذا التغيير إلى تشكيل الشخصية ونموها في شتى الجوانب وفي الطريق المرغوب فيه فرديا واجتماعيا. كما أنها، أي التربية: ضرورة اجتماعية، فلا بد أن يكون الفرد عضوا نافعا في المجتمع الذي يعيش فيه، يتفاعل معه ويأخذ منه ويعطيه، كما يسهم في بنائه وتطوره، وأنها تظل معه طوال حياته، طالما كان مستمرا
في تفاعله مع الحياة.

من هنا كانت وظيفة التربية وظيفة جليلة، يتوقف تحقيقها على مدى وعي المربي وإدراكه لأهداف رسالته. من أجل ذلك جعل الغزالي للمربي أو المرشد أو المعلم وظائف عدة

[1] – ابن خلدون / المقدمة / تحقيق د. عبد الواحد وافي /مكتبة الحاج عبد السلام شقرون / القاهرة 1957 / ص 140

فقال : "وظيفة المعلم الأولى الشفقة على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى أهل بيته لقوله- عليه السلام: (إنما أنا لكم مثل الوالد لولده)[1] بأن يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الوالدين لولدهما من نار الدنيا" وهو يلخصها فيما يلي :

1 – الشفقة والرفق: أي يأخذ مريده ويحنو عليه حنو الوالد على ولده فيتدرج معه حتى يشتد ويقوى .

2 – أن يقصد انقاذه من النار، أي يجنبه كل فعل يقربه من النار.

ولذا صار حق المعلم أو الشيخ أعظم من حق الوالدين للصلب، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر في الحياة الفانية، والمعلم سبب الإعداد للحياة الباقية قال تعالى: (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)[2]. و لولا المعلم لانساق ما حصل من الأب إلى الهلاك الدائم، وإنما المعلم هو الموجه والدال على الخير المفيد للحياة الباقية الدائمة، يستوي في ذلك معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا بنية العمل ورجاء الثواب في الآخرة، حتى يحصل بين الطلاب الحب والتعاون بعيدا عن الحسد والتباغض الذي هو سمة مطالب الدنيا والتناحر عليها.

3 – أن يراعي خصائصه الفطرية: وهي أهم مبادئ التربية، وذلك بمراعاة المستوى العقلي للطالب فلا يكلفه مالا طاقة له به و ذلك اقتداء بالرسول – صلى الله عليه وسلم – (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم)[3].أي فلا نعطيهم من المعارف إلا ما يمكنهم استيعابه، فقد قال علي – رضي الله عنه– وهو يشير إلى صدره: " إن هنا لعلوم جمة لووجدت لها حملة "[4]. فهو يعني أن قلوب الأبرار قلوب الأسرار، فلا ينبغي أن يفشي المعلم كل ما يعلم إلى كل احد، هذا إن كان يفهمه المتعلم. فكيف فيما لا يفهمه، و قال عيسى – عليه السلام: " لا تعلق الجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهرة، ومن كرهها فهو شر من الخنازير "[5]

! – رواه ابوداوود والنسائي من حديث ابي هريرة

[2] – سورة الاعلى / الآية 17

[3] – رواه أبو هريرة

[4] – العلامة الشيعي آية الله الملأ زين العابدين / أنوار الولاية / ط. غير موجودة / ص 372

1– العلامة الشيعي آية الله الملأ زين العابدين / نفس المرجع السابق / ص 372

وقال كذلك " كل لكل عبد بمعيار عقله و زن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وتنتفع به وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار" [1] وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل: أما سمعت رسول الله – صلى الله عليه و سلم . يقول:" من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار"[2] فقال اترك اللجام واذهب، فإذا جاء من يفقه وكتمته فليلجمني.قال الله تعالى :

(وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ)[3] تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسره، و يقره أولى من المال، و ليس الظلم في اعطاء غير المستحق ، بأقل من الظلم في منع المستحق.

---

[1] – الغزالي / الاحياء / ج3 / ط 1 / ص21

[2] – رواه الامام احمد في مسنده من حديث ابي هريرة

[3] – سورة البقرة / الآية 5

المطلب الثالث : أهداف التربية

إن لكل جهد واع ومسئول هدفا معينا ومميزا، والتربية هي أعظم مجهود إنساني يتوقف عليه استشراف مستقبل الفرد والمجتمع، ومن ثم كانت رسالة المربي مقرونة برسالة الأنبياء والرسل، وإلا جاءت على يده البصائر حولا. ونذكر من هذه الأهداف ما يلي:

1 – إعداد الفرد إعدادا روحيا يقربه من الله تعالى.

2 – الاستعداد للحياة الأخروية بما يقدمه من صالح الأعمال.

3 – إعداده بما يجعله أن يكون نافعا ومؤثرا في مجتمعه.

وعليه فكل تربية تهدف إلى تحقيق هذه الغايات فهي التربية المنشودة عند الغزالي، لذلك نجده يدعو إلى التربية الدينية التي قوامها الخشونة والتقشف والابتعاد عن ملذات الدنيا حتى البدنية منها كالطعام الجيد واللباس الجميل والفراش الوثير، لاعتقاده أن إعداد النشء للدنيا يؤدي إلى التحاسد والتباغض و الهلاك. وعليه فإنه يمكننا إن نستخلص مما بينه حجة الإسلام الإمام الغزالي – باعتباره من أعلام الصوفية – من مراحل التربية وأهدافها وغاياتها[1]، أنها أي التربية:

1 – بمثابة القاسم المشترك بين مختلف المريدين السالكين لأي نهج قويم.

2 – وكلما كانت المناهج فيها محكمة، والأهداف واضحة، والنوايا صادقة، جاءت ثمارها يانعة.

إن الطالب لمراد الصوفية إذا كان صادق العزم، وهو يتلقى إرشادات شيخه، ويسمع نصحه, ويتفانى في تجسيد ذلك ميدانيا ملتزما بأداء أوراده من الأذكار والعبادات وحسن المعاملات، كان حقا مدركا لمرامي التصوف التي وصف الله بها نبيه الكريم فقال جل من قائل: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[2]

---

[1] – الغزالي / المرجع السابق / 21 ، 22 بتصرف

[2] – سورة القلم / الآية 4

المبحث الثالث

تعريف التصوف لغة واصطلاحا

المطلب الأول: تعريف التصوف "لغة"

وبه فرعان:

الفرع الأول: خاص برأي القدامى من اللغويين

الفرع الثاني: خاص برأي الحديثين من اللغويين

المطلب الأول : تعريف التصوف لغة

الفرع الأول : رأي القدامى

سئل الشبلي[1]-رضي الله عنه- لم سميت الصوفية بهذا الإسم فقال:"هذا الإسم الذي أطلق عليهم، اختلف في أصله وفي مصدراشتقاقه، ولم ينته الرأي فيه إلى نتيجة حاسمة بعد"[2] ومن أقدم الآراء التي قيلت ما ذكره البيروني: من أن هذا اللفظ إنما هو تحريف لكلمة سوف اليونانية التي تعني الحكمة. يقول البيروني[3] :" إن من اليونانيين من كان يري الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لإستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها إليها، وأن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره؛ فوجوده كالخيال غير حق. والحق هو الواحد الأول فقط وهذا رأي السوفية وهم الحكماء, فإن "سوف" باليونانية الحكمة و بها سمي الفيلسوف: بيلا سوفيا، أي محب الحكمة.

---

1 – هو الشيخ الزاهد أبو بكر بن جعفر بن يونس الشبلي، ولد في سامراء عام 247هـ، الموافق 861م، وكان أبوه من رجال دار الخلافة بسامراء، وهو تركي الأصل من قرية شبلية من أعمال أشرو. ونشأ الشبلي مع أولاد الأمراء والوزراء ، وانخرط في سلك الوظيفة بدار الخلافة، وحظي من الأمراء بالنعم الوافرة، وعين أميرا على (دوماند) من توابع طبرستان. وكان يرى المظالم في عمله والسعايات بين الحكام بالباطل فيؤلمه ذلك، ولا يوافق هواه ونزعته الشاعرية، وأحس بقيود الوظيفة، وأراد خلعها لأنه يرى مصيره سيئا في الدنيا والآخرة إذا أستمر بالعمل مع هؤلاء المتكالبين على الدنيا، والتقى بالرجل الصالح (خير النساج) وكان من مشاهير الوعاظ في عصره، ووجهه نحو الجنيد البغدادي.والتقى الشبلي بالجنيد البغدادي فرحب به الجنيد وأكرمه وحبب إليه العبادات والتصوف والأنصراف عن الدنيا، وأن لا يجعلها كل همه.وكان الشبلي قد جزع من العمل أميرا عند الولاة وقرر الأستقالة من عمله، فطلب منه الجنيد أن يعود إلى وظيفته ويسترضي الناس، فرجع الشبلي لعمله واقام فيها سنة، يسترضي خلالها الناس، ثم عاد إلى **بغداد**، وسلك سبيل التصوف وكان مالكي المذهب. وقد أخذ العلم على يد علماء عصره وخدم الحديث الشريف، وغلبت عليه نزعة الزهد، والتعلق بالتصوف، وكان يعرف الزهد بقوله: تحول القلوب من الأشياء إلى رب الأشياء.

وللشبلي ديوان شعر حسن ، توفي الشيخ الشبلي ليلة السبت 27 من ذي الحجة عام 334هـ، الموافق 945م، ودفن ضحى في مقبرة الخيزران، وقبره ظاهر يزار وعليه قبة، ودفن إلى جواره بعض طلابه ومحبيه. / انظر تاريخ التصوف الاسلامي / د. بدوي

2 – القشيري / الرسالة القشيرية / مكتبة صبيح واولاده / القاهرة 1965 / ص43

3 – أبوالريحان محمد بن أحمد بيروني عالم مسلم ولد في ضاحية عاصمة خوارزم أوزبكستان في شهر سبتمبر حوالي سنة 326هـ،973م، رحل إلى جرجان في سن ال25 حوالي388 هـ 962 م حيث التحق ببلاط السلطان أبو الحسن قابوس بن شمس المعالي و نشر هناك اولى كتبه و هو الاثار الباقية عن القرون الخالية و حين عاد إلى موطنه الحق بحاشية الامير ابي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه الذي عهد اليه ببعض المهام السياسية نظرا لطلاقة لسانه و عند سقوط الامارة بيد محمود بن سبكتكين حاكم عزنةعام407هـ الحقه مع طائفة من العلماء إلى بلاطه و نشر ثاني مؤلفته الكبرى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة كما كتب مؤلفين اخرين كبيرين هما القانون المسعودي التفهيم لاوائل صناعة التنجيم توفي سنة440 هـ،1048م) و اطلق عليه المستشرقون تسمية بطليموس العرب / انظر تاريخ التصوف الاسلامي / د. بدوي

ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم."[1] ويري البيروني أن التصحيف دخل هذا الإسم بعد ذلك، فقال مفسرا ومعللا: "ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم إلي الصفة، وأنهم أصحابها في عصر النبي- صلي الله عليه وسلم- ثم صحف بعد ذلك فصير: من صوف التيوس"[2] ورأي البيروني- مع جلالة قدره- لا يستقيم لسبب بسيط، وهو أن التسمية بالصوفي-كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في المقدمة -كانت موجودة قبل ترجمة الحكمة اليونانية إلى اللغة العربية. ولكن رأي البيروني، يمكن حمله على أن هذا اللفظ؛ لفظ التصوف، نشأ في الإسلام، و بعد أن عرفت الكلمة اليونانية وعرف معناها، وتداولتها الألسنة، وشاعت بين الناس، وألفت معناها العقول، أي حوالي منتصف القرن الثالث الهجري على أقل تقدير، وقتئذ شاع لفظ التصوف؛ مقترنا بالحكمة؛ وهي من مضامينه. حتى قيل عنه أنه وليد الحكمة اليونانية. مع أن الكلمة عرفت قبل ذلك بكثير، بل لقد عرفت في العهد الجاهلي على ما يرى صاحب اللمع
" السراج الطوسي "[3] ولكن إذا كان رأي البيروني لا يستقيم، فإلام نتجه في اشتقاق هذه الكلمة ؟. إن الآراء أصبحت معروفة، بل لقد كانت معروفة من قديم الزمان وصاحب الرسالة القشيرية يستعرضها، رأيا؛ رأيا، وينقضها جميعا حيث يقول:
"فأما قول من قال: أنه من الصوف؛ وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف. و من قال: إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فإن النسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفي.ومن قال:إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضي اللغة. وقول من قال: إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى:المعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف"[4]

و إذا كان صاحب الرسالة القشيرية ينتقد كل هذه الآراء؛ فإنه إذن لا يري الإشتقاق

---

[1] – د / جميل محمد ابو العلا / التصوف الاسلامي نشأته واطواره / مطبهة النهضة / القاهرة / 1894 م/ ص 15
[2] – د/ جميل محمد ابو العلا / نفس المرجع السابق / ص 43
[3] – السراج الطوسي / اللمع / تق، د/ عبد الحليم محمود / دار الكتاب الحديثة / مصر / 1985 / ص42
[4] – القشيري/ الرسالة القشيرية في علم التصوف / القاهرة 1963 / ص 216،217

ويقول:"هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال:رجل صوفي وللجماعة صوفية،ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف, وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد للإسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب"[1].

لقد استعرضنا الآراء التي قيلت في هذا الموضوع قديما، فهل يا ترى هناك من جديد؟.

ما رأي الباحثين الحديثين في أصل كلمة تصوف ؟.

الفرع الثاني: رأي الحديثين

يقول الشيخ "عبد الواحد يحي"[2] : " أما أصل هذه كلمة صوفي فقد اختلف فيه اختلافا كبيرا ووضعت فروض متعددة، و ليس بعضها أولى من بعض، و كلها غير مقبولة. أنها في الحقيقة تسمية رمزية، وإذا أردنا تفسيرها ينبغي لنا أن نرجع إلى القيمة العددية لحروفها وأنه لمن الرائع أن نلاحظ: أن القيمة العددية لحروف صوفي تماثل القيمة العددية لحروف: الحكيم الإلهي، فيكون الصوفي الحقيقي إذن، هو الرجل الذي و صل إلى الحكمة الإلهية, إنه العارف بالله، إذ أن الله لا يعرف إلا به، و تلك هي الدرجة العظمى فيما يتعلق بمعرفة الحقيقية"[3]. وقد انفرد الشيخ عبد الواحد يحي- فيما نعلم بهذا الرأي- وهو رأي لا يمكن أن ينقض بالأدلة المنطقية، ولكنه لا يمكن أيضا أن يؤيد بالأدلة المنطقية، قد يقبله قوم دون برهان, وقد ينكره قوم آخرون من غير ما حجة ولا دليل. وإذا تركنا الشيخ عبد الواحد؛ لننظر إلى الباحثين في هذه اللفظة فإننا نجدهم ينقسمون إلى فريقين لا ثالث لهما، يجاري فريق منهم أبا الريحان البيروني في أنها مأخوذة عن أصل يوناني, هي كلمة سوفيا اليونانية. و قد ذهب إلى هذا الرأي "فون هامر"[4] من المستشرقين – واعتنقه كثير من الأساتذة الباحثين، وأيده في حرارة محمد لطفي جمعة – بقوله: " أما السبب الذي جعلهم ينصرفون عن نسبة الكلمة إلى الصوف فهو أنهم يعتقدون أن نسبتها إلى الصوف يبعد

---

[1] – القشيري / نفس المرجع السابق / ص 217

[2]– هو رينيه جينو فرنسي الأصل و النشأة – اسلم وسمى نفسه عبد الواحد يحي، وكان إسلامه ثورة كبرى، هزت ضمائر الكثيرين فاقتدوا به؛ واعتنقوا الإسلام وكانوا جماعات مؤمنة تعبد الله على يقين في معاقل الكاثوليك في فرنسا وسويسرا، دافع عن التصوف الإسلامي وأشاد به، وبين أن التصوف المسيحي لا يبلغ ما بلغه التصوف الإسلامي من سمو، ورفعة. عبد الحليم محمود / المنقد من الضلال/ ص156

[3] – عبد الحليم محمود / المنقد من الضلال / دار الكتاب اللبناي / بيروت 1985 / ص 156

[4] – مستشرق الماني ولد عام 1749م،كتب مقدة ترجمة القرآن، من اقواله: القرآن ليس دستور الاسلام فحسب بل هم ذروة بيان العرب.

الصوفية عن الحكمة الإلهية؛ وينسبها إلى الظاهر والشكل على حد تعبير محمد لطفي جمعة: " يجرد هذه الفرقة المنتمية إلى الإسلام من صفة الحكمة و الفضيلة "[1] .

وعليه يمكن القول: أن أصحاب هذا الرأي يعطون قوة و تأييدا لمن يزعم أن التصوف الإسلامي وليد الفلسفة الأفلاطونية، وهو رأي لا يستقيم مع معاني اللغة العربية واشتقاقاتها ومبانيها، كما أشار إلى ذلك القشيري في رسالته.

و لقد هاجم الدكتور" زكي مبارك"[2] هذا الرأي في قوة وبمنطق سليم بقوله: " لقد كان العرب –حسبما يرى– مولعين بحفظ ما يدخل لغتهم من الألفاظ الأجنبية، ولو كان التصوف من سوفيا لنصوا عليه في كثير من المؤلفات. ثم إن كلمة سوفيا اليونانية معناها الحكمة, وكانت الفلسفة عند اليونان القدماء تهتم بالعلوم الطبيعية، وكان الكثير من فلاسفتهم أطباء, وقد ترجمتها العرب، فسموا الطب: الحكمة، وكلمة حكيم لا تزال تؤدي معنى كلمة: طبيب والفلسفة نفسها سماها العرب الحكمة، وقالوا: تاريخ الحكماء. فهم عرفوا من سوفيا: الفلسفة و الطب. أما الحكمة الروحانية، فمن البعيد أن يكونوا أخذوها، لأنهم كانوا يرون اليونان من عبدة الأوثان "[3]. ولم لا يمكن القول بأن كلمة الحكمة الروحانية، هي من قبيل بضاعتنا ردت الينا، أي أنها انتقلت إلى اليونان عبر حقب من الزمن، وهي متضمنة في كتب الوحي السماوية، والإسلام خاتم لهذه الكتب كلها فعادت الكلمة إلى أصلها، وبهذا نتجاوز كل ادعاء. إن التصوف قديم جدا عند العرب وهو أساس المسيحية لقوله تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ)[4] و لبس الصوف: كان علامة التقشف، فليس من المستبعد أن ترحل كلمة صوف إلى معابد اليونان.ثم تعود. أما الفريق الثاني من الباحثين الحديثين– وهم أكثرية – فإنه يرى أن كلمة تصوف مأخوذة من الصوف.

وعليه فإننا نرى–كما ترى الغالبية العظمى من الباحثين الحديثين– إن لفظة التصوف تنتسب إلى الصوف، وكما أنه يقال: تقمص إذا لبس القميص، كذلك يقال تصوف إذا

---

[1] – عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص 156

[2] – أديب ومفكرمصري،كتب الكثير من المقالات الادبية في مجلة الرسالة، توفي 1952

[3] – عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص 156

[4] – سورة الحديد/ الآية 27

لبس الصوف، ومن أبرز القائلين بهذا الرأي : المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق، و المرحوم الدكتور زكي مبارك, والمستشرق "مرجليوت"[1]. و إذا كانت الكلمة تنتسب إلى الملبس – و هو مظهر وشكل ورسم – فليس معنى ذلك أن التصوف مظاهر و أشكال.وليس من المحتم دائما أن يكون المعنى الأصلي للإسم هو المراد مما وضع الإسم له, إذ المعنى الأصلي قد يتطور ويتغير و يختلف؛ وقد يقصد عكسه, ومن أجل ذلك فإنه لا مجال لتخوف هؤلاء الذين لا يريدون أن ينسبوا التصوف إلى الصوف بحجة أن انتسابه إلى المظاهر يحط من شأنه.

حقيقة أن الباحثين كثيرا ما يجدون صلة وثيقة بين المعنى الأصلي للإسم، وما وضع الإسم له، وبين الإسم و المسمى، ولكن ذلك ليس مطردا. والواقع أن التصوف معنى معروفا لا شأن له بالمظاهر والأشكال. وإذا كان بعض الأشخاص لا يزالون يمارون في قيمته أو فائدته، فإنهم لا يتخذون التسمية تكأة لهذه المماراة، ولو فرضنا أنهم اتخذوها تكأة؛ لخرجوا عن سمت الباحثين. يقول الدكتور زكي: "إن التاريخ يثبت أن كلمة تصوف لم توضع في الأصل للتصوف بمعناه العادي، الذي نفهمه الآن، وإنما وضعت في المبدأ لتدل على نمط من العزوف عن الدنيا، وأنها كانت علامة الزاهدين والمتنسكين فسمي بها هؤلاء الذين انصرفوا عن الدنيا. إن العزوف عن الدنيا عادة قديمة جدا يتمسك بها بعض الناس تمشيا مع فكرة دينية، وإرضاء لشعور تنسكي. وقد حدثنا القرآن عن هؤلاء الذين يرهبون ابتغاء رضوان الله. و يتمذهب بها بعض الناس إرضاء لفكرة منطقية، و اتباعا لمذهب عقلي يرى أن السعادة في الهدوء، والهدوء لا يتأتى إلا بتحديد الرغبات، والبعد عن الشهوات، وذلك هو الزهد. وسواء أكان العزوف عن الدنيا, دينا؛ أوكان منطقيا, فإنه موجود منذ أقدم العصور. فالدين صاحب الدنيا منذ نشأة الإنسان فيها. والمنطق صاحب الإنسان منذ وجوده"[2]. لذلك فإنه يمكن القول بأن ما سبق من التعريفات لإشتقاق كلمة التصوف نلخصها فيما يلي:

لقد رأى الزهاد – بداية – في ملبس الصوف ما يحقق أهدافهم التي تتصل بالتقشف والشظف والخشونة. فهو متين رخيص خشن لا يحتاج الإنسان معه في الشتاء إلى غيره ولا

---

[1] – هو مستشرق يهودي ماكر ، جعل ديدنه الهجوم على الاسلام، تأثر به طه حسين في كتابه الشعر الجاهلي

[2] – عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص 157

يحتاج إلى تغييره كثيرا، وذلك فإنه لا يبلى بسرعة، فتصوفوا، أي لبسوا الصوف. وكان لابد من اسم يطلق على هؤلاء، وكان من السهولة بمكان أن يطلق عليهم اسم صوفية. وشاع وأصبح الزهاد يعرفون في البيئات العربية باسم الصوفية. هؤلاء الزهاد كانوا موجودين في صدر الإسلام-تدينا أو منطقيا-حتى إذا كانت "رابعة"[1] وكان "الجنيد"[2] و كان "ذو النون"[3] و ذاع التصوف، وانتشر ممثلوه عازفين عن الدنيا؛ لابسين الصوف, أطلقت الكلمة عليهم، ولم يميز الناس بين حالتين مختلفتين كل الاختلاف هما: حالة الزهد البحت. وحالة التصوف. ولم يثر الصوفية على التسمية في حد ذاتها. ومنهم من لم يرض نسبتها إلى الصوف، و ذهب في نسبتها إلى مذاهب أخرى. وإذا كانت الكلمة تنسب إلى الصوف، فهي كلمة موفقة كل التوفيق ولعل عناية المقادير: هي التي هيأت لها الجو للظهور والشيوع، إذ أنها تمت بصلة تجعلها منسجمة مع كثير من الكلمات التي تدل على معان، وثيقة الصلة بالتصوف مثل:الصفاء وصلته بالتصوف ظاهرة. والصف: الصف الأول في الجهاد ، جهاد العدو، وجهاد النفس.

والصفة: صفة مسجد رسول الله – صلى الله عليه و سلم – التي كان يعيش فيها قوم وهبوا أنفسهم للجهاد. فالصوف، والصفة ، والصف، والصفاء، هي أسماء تحمل في أبعادها دلالات لمضامين متنوعة ومتعددة كالزهد، والتواضع، والنقاء، والجرأة والتضحية والإقدام، والخشوع والتبتل. وهذه كلها وغيرها كثير تعد من ثمار التصوف الموسوم : بالصفاء, والمشاهدة. فالرسول – صلى الله عليه وسلم – حينما سئل عن الإحسان – وهو أعلى مراتب العبادة كما جاء في حديث جبرائيل– عليه السلام – قال : (....أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[4].

المطلب الثاني : تعريف التصوف "اصطلاحا"

الفرع الأول: التعريف الأخلاقي

---

[1] – هي بنت اسماعيل العدوي, وهي الزاهدة العابدة، ولدت بالبصرة عام 100 هـ ، تركت الكثير من الحكم/ أنظر / ابن العماد / شذرات الذهب /1 / 195

[2] – أبو القاسم الجنيد، شيخ الصوفية، ولد ونشأ ببغداد، صحب خاله السري السقطي والمحاسبي، درس الفقه عن ابي النور، وافتى وهو ابن العشرين، وتوفي عام 297هـ / أنظر : ابن العماد / شذرات الذهب /1 / 194

[3] – هو ابو الفيض بن ابراهيم المصري ولد بصعيد مصر وتوفي بها بالجيزة عام 245هـ ، روى الحديث عن مالك والليث بن سعد. كما ذكر ذلك بن العماد / في كتابه شذرات الذهب /1 / 193

[4] – رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب

يتجه الكثير من الناس في تعريف التصوف إلى الجانب الأخلاقي، و هذا الإتجاه شائع عند الصوفية أنفسهم، وعند غيرهم من الباحثين في التصوف, وعند المؤرخين له ونذكر الآن عدة أمثلة، نبين منها هذا الإتجاه. يقول" أبو بكرالكتاني"[1]: "التصوف: خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الصفاء "[2]. ويروي القشيري:

أن" أبا محمد الجريري"[3] سئل عن التصوف فقال: "الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني"[4]. وأحد تعريفات "أبي الحسين النوري"[5] للتصوف كما تذكره تذكرة الأولياء, ينفي عن التصوف أن يكون رسما، أو علما، و يحدده بأنه خلق فيقول:" ليس التصوف رسما, و لا علما و لكنه خلق"[6]. ثم يعلل ذلك بقوله: "لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة, ولوكان علمالحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله، و لن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أورسم"[7]. و يحدد أبو الحسين النوري في تعريف آخر الأخلاق التي يتكون منها التصوف فيقول: "التصوف:الحرية, والكرم وترك التكلف والسخاء"[8]. هذا هذا الإتجاه الأخلاقي في تعريف التصوف شائع في الشرق وفي الغرب، وهو- أيضا- شائع في الزمن القديم، و في الزمن الحديث و مع ذلك، فإنه لا يعبر عن التصوف تعبيرا دقيقا. على أن هؤلاء الذين ذكروا هذه التعاريف الأخلاقية للتصوف، ذكروا هم أنفسهم تعاريف أخرى، وذلك يدل دلالة لا لبس فيها على أنهم لم يروا كفاية الجانب الأخلاقي في تحديد التصوف, و تعريفه. والواقع أننا لو نظرنا إلى كثير من الأشخاص الذين اشتهروا بالسمو في الجانب الأخلاقي واتصفوا بأروع الصفات الأخلاقية, واتخذوا الفضيلة مذهبا وشعارا. فإننا نجدهم أشخاصا مثاليين في المحيط الأخلاقي وفي المجتمع، ولكن ليس معنى ذلك أنهم من الصوفية. ولو نظرنا في البيئة اليونانية لوجدنا داعية إلى الفضيلة و متمذهبا بها، ومحاولا نشرها بشتى الوسائل و بمختلف الطرق، سواء أكان ذلك بالدعوة الإقناعية أو"المنطق

---

[1] – هو من مشائخ الصوفية،صحب الجنيد و الخراز و النوري وجاور بكة وتوفي عام 322هـ /انظر: تذكرة الاولياء

[2] – القشيري / الرسالة القشيرية / مكتبة صبيح واولاده / القاهرة 1965 / ص46 / انظر: تذكرة الاولياء

[3] – أحد أئمة الصوفية، صحب السري السقطي، وكان يكرمه الجنيد / انظر: تذكرة الاولياء

[4] – القشيري / المرجع السابق / ص 46

[5] – من عباد الصوفية عرف بكثرة الذكر والصلاة والصيام، نشأ ببغداد وتوفي بها عام 295 هـ / انظر: تذكرة الاولياء

[6] – عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص 160 - 164

[7] – القشيري / الرسالة القشيرية / مكتبة صبيح واولاده / القاهرة 1965 / ص43

[8] – عبد الرحمن السلمي / طبقات الصوفية / دار الشعب / القاهرة 1326هـ / 19

الجدلي"[1] أو بالأسوة الكريمة، ذلك هو "سقراط"[2] ومع ذلك فإن سقراط هذا لم يكن صوفيا بالمعنى الدقيق لكلمة: صوفي. وإذا انتقلنا إلى البيئة الإسلامية، فإننا نجد "الحسن البصري"[3] – رضي الله عنه – من أروع وأجمل الشخصيات الأخلاقية العالمية لقد كان مثلا مثلا صادقا للشعور الأخلاقي في طهره وصفائه، وكان ينشر الفضيلة بوعظه المؤثر، ومنطقه القوي وسلوكه المثالي، ومع ذلك لم يكن الحسن البصري صوفيا بالمعنى الدقيق لكلمة صوفي.

على أنه من الطبيعي أن تكون الأخلاق الكريمة أساسا من أسس التصوف، وأن تكون الأخلاق في أسمى صورة من صورها ثمرة للتصوف. ومن الطبيعي أيضا أن تكون الأخلاق الكريمة شعار الصوفي فيما بين الأساس والثمرة، فهي إذن ملازمة للتصوف و للصوفي ملازمة تامة، لا تتخلى عنه ولا يتخلى عنها، ولكن ليس معنى ذلك أنها هي التصوف.

الفرع الثاني : التعريف الزهدي

وهناك اتجاه أكثر شيوعا من الإتجاه السابق: هو تعريف التصوف بالزهد, وحينما يسمع كثير من الناس كلمة التصوف يفهم منها معنى الزهد، ولا يفهم من كلمة صوفي إلا الزاهد في الدنيا، وما من شك في أن الصوفي لا يتعلق قلبه بالدنيا، ولو كان عنده الآلاف والملايين، بيد أن الزهد في الدنيا شيء، والتصوف شيء آخر، ولا يلزم من كون الصوفي زاهدا؛ أن يكون التصوف هو الزهد. ويخلط كثير من الناس بين الصوفي والعابد فإذا ما رأوا أو سمعوا عن شخص كثير العبادة، قالوا عنه إنه: صوفي ولا ريب أن الصوفي كثير العبادة فعلا. ولكنك قد تجد أشخاصا كثيرين يقيمون الصلوات المفروضة، و يكثرون من النوافل، ويداومون على العبادة، ولا يكون معنى ذلك أنهم من الصوفية ولقد غلب على الناس

---

[1] – ونعني به منطق التفكير العلمي الذي يعتمد على قوانين تغيير الظواهر والاحداث، والمتمثلة في: "صراع المتناقضات، تحول الكم الى كيف، ونفي النفي" وهذه القوانين تمثل منطق التفكير الخالص كما زعم ذلك الفيلسوف الالماني في فلسفته الجدلية ، وماركس في فلسفته المادية / راجع جميل صليبا / المعجم الفلسفي .

[2] – هو فيلسوف يناني ولد469 ق.م وتوفي عام 399 ف.م من أقواله : من صح فكره اتاه الالهام، ومن دام اجتهاده اتاه التوفيق/ ليس من الضروري ان يكون كلامي مقبولا، ولكن من الضروري ان يكون صادقا / قلة الدين وقلة الادب وقلة الندامة عند الخطأوقلة قبول العتاب امراض لادواء لها / الحياة من دون ابتلاء لاتستحق العيش / لاراحة لمن تعجل الراحة بكسله . فهذه حكم عظيمة تعبر عن رجاحة عقل صاحبها، وعن الفضائل التي كان يؤمن بها ويدعو اليها .

[3] – ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب.، وكانت امه مولاة لأم المؤمنين ام سلمة ، وكان بهية الطلعة وحسن المنطق / أنظر طبقات الصوفية

خلطهم بين الزاهد والعابد و الصوفي. لذلك نجد أن "ابن سينا"[1] حاول أن يفرق بين كل من العابد والزاهد والصوفي، وبين أهداف كل منهم. فيقول:

" المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد، والمواظب عن فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يخص باسم العابد، المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت؛ مستديما لشروق نور الحق في سره يخص باسم العارف"[2]. والعارف عند ابن سينا هو الصوفي. و يتحدث ابن سينا – كما يذكر غيره – "أن الزاهد قد يكون عابدا والعابد قد يكون زاهدا، فيمتزج الزهد والعبادة في شخص واحد، ولا يكون بعبادته و زهده معا صوفيا ولكن الصوفي لا محالة زاهد عابد. على أن هناك تفرقة حاسمة بين زهد الصوفي وعبادته وبين زهد غير الصوفي وعبادته. وهذه التفرقة إنما هي في الهدف أكثر منها في الأسلوب والمنهج"[3].

ولقد تحدثت السيدة رابعة العدوية – رضي الله عنها – عن هذا بأسلوب مؤثر وتحدث غيرها, والكل يتفق على أن زهد غير الصوفي، إنما هو هدف للاستمتاع في الآخرة، فهو نوع من المعاملة،كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة[4]. أما الصوفي فإنه يزهد في الدنيا لأنه يتنزه عن أن يشغله شيء عن الله. وعبادة غير الصوفي هدفها دخول الجنة، كأنه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة هي: الأجر والثواب فمثله كمثل الأجير, يعمل طيلة النهار ليأخذ أجره في المساء. أما عبادة الصوفي فإنها استدامة لصلته بالله تعالى، إنه يعبد الله لأنه مستحق العبادة، و لأنها نسبة شريفة إليه لا لرغبة أو رهبة. و تقول السيدة رابعة العدوية – رضي الله عنها – ما معناه:

" اللهم إن كنت أعبدك خوفا من نارك فألقني فيها، و إن كنت أعبدك طمعا في جنتك فأحرمنيها، وإن كنت أعبدك لوجهك الكريم فلا تحرمني من رؤيته"[5]. هذه المعاني الخاصة

---

[1]– هو ابو علي الحسن بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا ،ولد في قرية قرب بوخارى في ازبكستان بالاتحاد السوفياتي سنة 370 هـ / 980 م وتوفي بهمذان بايران عام 427 هـ اشتغل بالطب والفلسفة واشتهر بهما ، من أهم انجازاته في الطبيعيات وفي مجال الميكانيكا بالضبط : انواع القوى، وعناصر الحركة، ومقامة الوسط المنفوذ بينهما . له اكثر من مئاتي مؤلف من اشهرها كتاب القانون الذي جمع فيه انواع الطب القديم، وما توصل اليه هو بنفسه، بالاضافة الى اكثر من سبعمئاية وستين عقارا مع اسماء النباتات التي استحضرت منها. / أنظر طبقات الصوفية .

[2] – عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص 160 - 164

[3] – ابن سينا / الاشارات والتنبيهات / تق : سليمان دنيا / القاهرة 1958 / ص 160 بتصرف

4 – د / محمد عبد الفتاح سيد احمد / التصوف بين الغزالي وابن تيمية / دار الوفاء / المنصورة /ط 1 / 2000م / ص 16

5 – د / محمد عبد الفتاح سيد احمد / التصوف بين الغزالي وابن تيمية / دار الوفاء / المنصورة / ط 1 / 2000م / ص 26

بأهداف الزهد, والعبادة من حيث كونهما لوجه الله، إنها معان عادية عند الصوفية، وكأنها بديهية في محيطهم وفي جوهم قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)[1]. التصوف إذن ليس خلقا فحسب ولا زهدا فقط ولا عبادة مجردة. وهو وإن كان متضمنا للخلق الكريم والزهد الرفيع والعبادة المتجردة؛ فإنه مع كل ذلك شيء آخر. إن الذين يربطون بين التصوف من جانب والكرامات وخوارق العادات من جانب آخر كثيرون، ولكن التصوف ليس كرامات ولا خوارق العادات، إنه شيء يتجاوز الكرامات، ويتجاوز خوارق العادات. أن هذه الكرامات مسألة لا يأبه بها الصوفية كثيرا, بل يعتبرونها من الأشياء اليسيرة التي تبعث السرور في قلب من يجريها الله على يديه، ولكنه إذا فرح بها واكتفى تدل على أنه لم يبلغ بعد في التصوف قدما ثابتة، ولا درجات ممتازة كما أشار إلى ذلك الغزالي[2] .

الفرع الثالث: تعريفات أعلام الصوفية

وعليه ما هو إذن التعريف الصحيح للتصوف؟. نذكر الآن بعض التعريفات لشيوخ الصوفية وأعلامهم، تتجه في مجملها الوجهة الصحيحة فيما يتعلق بالمعنى الحقيقي لموضوع التصوف.

1 – قال" أبو سعيد الخراز[3] لما سئل عن الصوفي: "من صفى ربه قلبه، فامتلأ قلبه نورا ومن دخل في عين اللذة بذكر الله" [4].

2– وقال الجنيد البغدادي: "التصوف هو: أن يميتك الحق عنك و يحييك به"[5].

3 – وقال وأبو بكر الكتاني: "التصوف: صفاء و مشاهدة" [6].

4 – وسئل الإمام الشبلي عن التصوف فقال: " بدؤه معرفة الله و نهايته توحيده"[7]. و إذا إذا نظرنا إلى تعريف الكتاني، فإننا نجد أن عبارته المختصرة؛ قد جمعت بين جانبين هما

---

1 – سورة الكهف/ الآية 28

2 – د / محمد عبد الفتاح سيد احمد / نفس المرجع السابق / ص 27 بتصرف

3 – هو من مشائخ الصوفية "ت277هـ" قيل انه اول من تكلم في الفناء ، روى عنه ابومحمد الجريري، وابن علي الكتاني/ أنظر/د،محمد جلال شرف / دراسات في التصوف الاسلامي .

4 – د/محمد جلال شرف / دراسات في التصوف الاسلامي /دار النهضة العربية / بيروت1984م ص 215

5 – د / محمد عبد الفتاح سيد احمد / التصوف بين الغزالي وابن تيمية / دار الوفاء / المنصورة 2000م / 1/ 26

6 - د / محمد عبد الفتاح سيد احمد / نفس المرجع / ص17

7 – د / محمد عبد الفتاح سيد احمد / نفس المرجع / ص17

اللذان –كما يرى أبو الحسن الندوي – يكونان في وحدة متكاملة تعريف التصوف. أحدهما: وسيلة. و الثاني: غاية. أما الوسيلة: فهي الصفاء، وأما الغاية: فهي المشاهدة. والتصوف من هذا التعريف طريق وغاية. وطريقه يتضمن نواحي كثيرة تشير إليها تسميته نفسها، و لعل ذلك من الأسرار التي كانت السبب في هذه التسمية واتخاذها عنوانا على هذه الطائفة. فكأنما سميت صوفية به؛ لصفاء أسرارها ونقاء آثارها.

5 – وقال "بشر بن الحارث"[1] "الصوفي من صفا قلبه لله".[2] و قال بعضهم: " الصوفي: من صفت لله معاملته وصفت له من الله عز و جل كرامته"[3]. هؤلاء يهدفون إلى أن كلمة الصوفية إنما تشير إلى الصفاء؛ وهذه الإشارة لا تخضع لمقاييس اللغة، ومادامت إشارة فإنه من التعسف أن يجادل إنسان في أمر انسجامها مع اللغة، أوعدم انسجامها. كما أشار إلى ذلك الدكتور عبد الحليم محمود في مقدمة تحقيقه للمنقذ من الضلال للإمام الغزالي. و قال قوم إنهم إنما سموا:" صوفية لأنهم من الصف الأول؛ بين يدي الله عز و جل بارتفاع هممهم إليه، و إقبالهم بقبولهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.[4]

و هؤلاء إنما يعبرون عن إشارة الصوفية إلى الصف: أي إلى الصف الأول في العمل على الوصول إلى الله، والجهاد في سبيله. أما إشارة الكلمة إلى أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إنما تشير إلى أوصافهم من العبادة، والتهجد وعدم الطمع في الدنيا، واستعدادهم الدائم للجهاد في سبيل الله. وتشير الكلمة للصفة: أي الصفة الكريمة التي لا يتعلق فيها القلب بالمادة، وإنما يتعلق بالله تعالى. وكل ذلك إنما هو حديث عن الوسائل، على أن هذه الوسائل التي تشير إليها الكلمة لها وسائل أخرى. هذه الوسائل الأخرى منها ما يعبرون عنه بقولهم:" يملك ولا يملك[5].

و هذه الكلمة لها مدلول واسع، هو أن يتحرر الإنسان من الدنيا ويتحرر من الجاه، من الإنغماس في الملذات، من الجري وراء المال، من حب السلطان ومن حب الترف،و من كل الصفات التي تتنافى مع الفضيلة. والحاصل في هذه المسائل: أنها تؤدي إلى الصفاء فإذا

---

[1] – المروزي البغدادي ولد عام 152هـ ، اخذ عن مالك، والفضيل بن عياض، وهو من كبار مشائخ الصوفية .

[2]– د/ محمد جلال شرف / نفس المرجع السابق /ص 215

[3] – د/محمد جلال شرف / نفس المرجع السابق/ص133

[4] – د/ محمد جلال شرف/ نفس المرجع السابق/ص 135 بتصرف

[5] – ويعنون بذلك انه: لا يسترقه الطمع

ما حصل الصفاء، كان عند الإنسان استعداد كامل للمشاهدة، فيجود الله عليه بها إن شاء، هذه المشاهدة هي أسمى درجات المعرفة، وهي الغاية النهائية التي يسعى وراءها ذوو الشعور المرهف, والفطر السليمة والشخصيات الربانية، للحصول على أسمى درجات المعرفة بعد النبوة، إنها مشاهدة؛ وطريقة إلى المشاهدة.

6- الإمام الغزالي في تعريفه الطريق, والغاية يقول: "الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، و قطع العلائق كلها، و الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، و إذا تولى الله أمر القلب، فاضت عليه الرحمة، و أشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، و انكشف له سر الملكوت, وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، و تلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية"[1]. فإذا حصل ذلك كانت المشاهدة.

والقصص اللطيفة التي تصور الوسيلة إلى المشاهدة في سهولة ويسر، كثيرة ومتداولة بين الصوفية الكرام. نذكر منهاالقصة التالية: قال ذو النون: رأيت امرأة ببعض سواحل الشام، فقلت لها : من أين أقبلت رحمك الله ؟. قالت: من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفا وطمعا. قلت: وأين تريدين؟. قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. قلت : صفيهم لي فأنشدت تقول:

قوم همومهم بالله قد علقت فما لهم همم تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعت دنيا ولا شرف من المطاعم و اللذات و الولد
و لا للبس ثياب فائق أنق و لا لروح سرور حل في بلد
إلا مسارعة في إثر منزلة قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد [2]

فهذه القصة على طرافتها، فإنها تبين بوضوح جملة من الأهداف السامية التي يتطلع إليها الصوفي مثل: التعلق بحب الله تعالى، والتطلع إلى نفحاته، والزهد في الدنيا والإعراض عن زخرفها، الإعتزال عند الفتن والفرار بالدين, والمشاهدة التي هي الغاية للصوفية، هي أيضا

[1] - الغزالي / نفس المرجع السابق / ص 22 ، 23

[2] - عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص 167 بتصرف

تحقيق واقعي للتعبير الذي ننطق به في كل آونة حيثما نقول: أشهد أن لا الله إلا الله. فالشهادة هي غاية الصوفي، وهو إنما يسعى جاهدا إليها بشتى الوسائل ليحقق بالفعل مضمون ما يلفظ به قولا، حتى ينسجم قوله مع فعله. وما من شك في أن تعاريف التصوف الكثيرة التي نجدها منثورة هنا و هناك في بطون أمهات الكتب، والتي تكاد لا تحصى، إنما تعبر في أغلب الأحايين عن زاوية من زوايا التصوف، هذه الزوايا لها صلة مباشرة أو غير مباشرة, إما بالوسيلة؛ ونعني بها الصفاء على حد تعبير الكتاني أوتتصل بالغاية؛ ونعي بها كذلك المشاهدة، وهي مراد الصوفي وأمنيته المنتظرة، فلا يمكن أن يقال عنها؛ أي التعاريف المتنوعة والمختلفة، إنهاإذا ما كانت كذلك؛ إنها خطأ تام ولكن الخطأ – حسبما استفدنا من الآراء السابقة – إنما هو أخذها على أنها تعبر عن الحقيقة الكاملة. أما ما يعبر عن الحقيقة الكاملة؛ ونعني بها ماهية التصوف ومدلوله، إنما هو تعريف الكتاني للتصوف، حيث أوجز التعبير عنه في سهولة ويسر حتى كأني به جاء فيضا من إلهام رباني أنطق الله به الكتاني، حيث قال عنه: صفاء و مشاهدة.

الفصل الثاني

نشأة التصوف ومصادره

المبحث الأول

نشأة التصوف

وبه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: النشأة الفطرية

المطلب الثاني: النشأة التاريخية

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في التصوف

المطلب الأول: النشأة الفطرية للتصوف.

إن التصوف باعتباره فكرة، أو باعتباره حالة، أو صفة لسلوك إنساني، فإنه نشأ مع الإنسان منذ نشأته الأولى، وهذا القول لايحتاج إلى دليل نقلي، ولا عقلي، وإن كان كل منهما قائما. فمن المسلم به أن الإنسان منذ أن خلقه الله، وقبل أن يستلم مهامه في

الحياة،كان مفطورا على الإسلام، بما فيه من تعاليم تخص عالم الغيب وعالم الشهود، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى)[1] ، ومنذ ذلك العهد ظل الإنسان موصولا بربه، حتى اجتالته الشياطين واستمر التجاذب بينهما، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين. وعليه فالإنسان منذ نشأته الأولى، كان موصولا بعالم الغيب ومجبولا على التطلع إليه، فهو يبحث عن الوسيلة التي تحقق له القرب من الله تعالى، وهذه الغاية دعت إليها كل الأديان السماوية منذ آدم إلى نبينا محمد – عليهم أفضل الصلاة والسلام – فكل واحد منهم دعا إلى كلمة التوحيد قال تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)[2]. وهكذا كانت رسالتهم للناس أجمعين؛ هذه الرسالة كانت موجهة إلى المكلفين الذين أودع الله فيهم العقل وجعله مناط تكليفهم، وفضل به الإنسان على سائر المخلوقات. هذا العقل الذي هو من أعجب المخلوقات، جعل الله منه قدرا متساويا بين جميع المكلفين، واعيا مستوعبا مادام سليما معافى من الأعراض التي تؤدي إلى نقص في حيويته، فالناس كلهم يملكون قدرا من العقل يعرفون به معبود هم، ويميزون به بين ما ينفعهم وما يضرهم. لكن الذي يقع فيه التفاوت بينهم يعود إلى مختلف المواهب والمدارك التي تتحقق بها مختلف المعارف باعتبارها مكتسبة. لذلك نرى التفاوت بين الناس في الذكاء وقوة الإدراك، فيقال عن هذا حافظ وعن ذاك عبقري، وعن الآخر مدني، وعن غيره بدوي.

فإذا تحدثنا عن التصوف باعتباره ذلك الشعور الذي يصاحب الإنسان، وينمي فيه روح التطلع إلى عالم الغيب، فإنه يمكن القول بأن هذه الحالة لا تحتاج إلى علوم ومعارف مكتسبة حتى تحقق ذاك السمو، وذاك التشوق الإنساني إلى عالم ما وراء الطبيعة.

لكن الإنسان وهو المخلوق المفطورمنذ نشأته على الإقرار بربوبية الله تعالى، يظل محتاجا إلى هادي يأخذ بيده إذا حاد عن السبيل. ولن يجد هذا إلا في العقيدة الصحيحة النقية المنبثقة من الكتاب والسنة. هذه العقيدة في الحقيقة هي موجودة مع الإنسان منذ أن خلقه الله ونفخ فيه من روحه، وستظل معه توجه حياته، وتحدد أهدافه وتحكم حياته بل تقرر مصيره في حياته ومماته لقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

---

[1] – سورة الاعراف / الآية 172 .

[2] – سورة الاعراف / الآية 65 .

الْعَالَمِينَ)[1]، وعليه فالروح التي أسكنها الله في الإنسان، هذه النفحة الربانية وهذا السر العظيم الذي أودعه الله في القلب السليم، والنفس المؤمنة الراضية، تعتمد أساسا ومرجعا على الذي فطرت عليه في بداية مشوارها، وهكذا إذا ظل العبد طموحا إلى القرب من الله تعالى، متخذا مختلف أشكال المجاهدة من تصفية النفس وتزكيتها وتحليتها، فإنه مما لاشك فيه فستعمه الإشراقات، وتحفه الأنوار، وتغمره الرحمة ويحظى برضوان الله تعالى، ومن ثم يكون جديرا بأن يقطف ثمار الإتصال التي يرغب فيها السالك في الطريق الصوفي، إنها المعرفة الحقيقية، معرفة ما وراء الطبيعة، معرفة الله تعالى في ملكه وملكوته. وهذا النوع من المعرفة الصادقة ليس في متناول الناس جميعا، بل هي مرتبة الأنبياء والرسل ومن ورث عنهم من الصحابة, والتابعين والعلماء العاملين من أولياء الله الصالحين الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لذلك هذا النوع من الورثة من الندرة بمكان . وجل جناب الحق على أن يكون شرعة لكل وارد، وأن يصل إليه إلا الواحد بعد الواحد، كما ذكر ذلك ابن سينا في كتابه الإشارات. وهكذا اقتضت سنة الله في خلقه أن يكون الناس متفاوتين في المدارك ومختلفين في الرغبات ومتعددين في الإتجاهات والنزوات فمنهم الشقي، ومنهم السعيد قال تعالى: (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ)[2] وبقي الناس ولا يزالون على هذا القانون الإلهي حتى يرث الله الأرض من عليها.

وإذا نظرنا في تاريخ الحضارات الإنسانية فإننا نجد هذا التفاوت، فالحضارة اليونانية بلغت مستوى من التنظيم بحيث خصصت مجالا للحس، وله رجاله من علماء الطبيعة وجعلت مساحة العقل ولها أصحابها من ذوي النهى، ولقد كان علماء تلك الحضارة من أمثال : فيثاغرس، وأفلاطون، وسقراط، وأرسطو إلا نماذج تركت بصماتها وانعكست ظلالاها على ما جاء بعدها من الحضارات. وإذا نظرنا إلى الحضارة الهندية والحضارة المصرية القديمتين قدم الإنسانية، فإننا نجد فيهما أن موقع ما وراء الطبيعة إنما هو وقف على ذوي البصيرة

[1] – سورة الانعام / الآية 164.

[2] – سورة هود / الآية 118، 119.

النافذة، وما تعدد الأديرة والبيع كأماكن خاصة للقساوسة والرهبان إلا خير دليل على مكانتهم في مجتمعاتهم، وقد بلغوا درجة من القداسة حتى ادعوا تسليم صكوك الغفران لأتباعهم. عندئذ حصل الانحراف ووقع الشطط، واختلت الموازين، وازداد التسلط الكنسي، ووقع التمرد .

ولما جاء الإسلام أعاد الأمور إلى نصابها، وحرر الانسان من عبودية العباد، ودعاه إلى عبادة رب العباد. فالعقيدة الإسلامية إذن هي المتكاملة، وهي التي تروي عطش الانسان و تجيب عن أسئلته، وتحل جميع إشكالاته بما جمعت من شريعة وحقيقة، فهي الباب الذي يلج منه السالك الولهان. وقد علمنا كيف جعلت من العرب الذين كانوا يفتقرون إلى أدنى سمات الحضارة ، جعلت منهم خير أمة أخرجت للناس، وجعلت من أتباعها المبشرين والملهمين، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم. والحاصل أن نشأة التصوف لم تكل غريبة ولا دخيلة، فالتصوف الحقيقي صاحب الإنسان منذ خليقته باعتباره درجة الإحسان, وهي درجة عالية في سلم الإيمان .

المطلب الثاني :النشأة التاريخية

ظهر التصوف في العالم الإسلامي كمنحى فكري نظري بداية من القرن الثالث الهجري وذلك في عاصمة الخلافة العباسية ببغداد على أيدي رجال شهد لهم الأعداء قبل الأصدقاء بالعلم والفضل والصلاح، وأرسوا قواعد هذا التيار الحديث النشأة، ورسموا له الأسس المنهجية التي بني عليها، ولا تزال إلى الآن المصادر الأساسية لهذا العلم. وفي نهاية القرن الثالث الهجري، بدأ الصوفية ينظمون أنفسهم طوائف وطرقا، يخضعون فيها لنظم

خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق طائفة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد يسلكهم، ويبصرهم على الوجه الذي يحقق لهم كمال العلم، وكمال العمل، كما نجد ذلك في بغداد في العصر العباسي الأول عند فرقة السقطية نسبة إلى السري السقطي والطيفورية نسبة إلى أبي زيد طيفور، والخرازية نسبة إلى أبي سعيد الخراز، والمحاسبية نسبة إلى الحارث المحاسبي...ويمكن أن نقول أن طرق الصوفية كثيرة جدا، يصعب حصرها إذا ما لاحظنا جانب السرية الذي يكتنف بعضها. وأهم تلك الطرق:

الطريقة القادرية: مؤسسها الشيخ عبد القادر الكيلاني المعروف بأبي محمد محيي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الكيلاني، ويعرف جده بالاسم الفارسي "جنكي دوست" عرف بالكيلاني نسبة إلى مسقط رأسه "كيلان" بفارس وذلك سنة 470 هـ وفي سنة 488 هـ انتقل إلى بغداد أثناء خلافة "المستظهر بالله العباسي."

الطريقة الرفاعية : مؤسسها احمد بن علي بن أحمد الرفاعي، ولد سنة 512 هـ، بقرية حسني بإقليم البطائح ما بين البصرة وواسط، وقيل أن الرفاعي نسبة إلى رفاعة أحد البطون القبلية، كان خاله شيخا للطريقة الصوفية، وقد أخذ عنه وأصبح المسؤول عن الرفاعية، توفي ببلدة "أم عبيدة " سنة 578 هـ، ودفن فيها، وله مسجد معروف في القاهرة باسمه، فانتقل بذلك التصوف وتطور من ظاهرة أو مسألة فردية بين الإنسان وربه إلى ظاهرة اجتماعية طرقية كثر رجالها، وأتباعها كثرة ظاهرة، ومع مرور الزمن تطور التصوف العملي وانتشر, وأصبحت الظاهرة الصوفية حقيقة لدى الأوساط الشعبية حيث كثر عدد الأتباع والمريدون، والتفوا حول شيخ، ونسجوا حوله هالة من التقديس والتبجيل.

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في مجرى التصوف

ويتضمن بعض آراء المستشرقين حول نشأة التصوف، بالإضافة إلى أثر القوميات المنضوية في المجتمعات الإسلامية، ومالهم من ثقافات متنوعة، تزامنت مع حركة النشر والطباعة فكانت بمثابة عوامل لها تأثيرها في منحى التصوف ونشأته.

الفرع الأول : العوامل الخارجية.

ونعني بها تلك التي ساعدت مختلف الوافدين من مللهم ونحلهم على الإندماج في بوتقة الحضارة الإسلامية، وهي تلك الفيئات التي أسلمت أوانضوت في المجتمعات الإسلامية و

قد استصحبت مها موروثها الثقافي والإجتماعي، فهي لا شك أن لها أثرها – سلبا أو إيجابا، أخذا أوعطاء – على واقع الأمة الإسلامية، لذلك وجدنا من يحاول من المستشرقين وغيرهم من الذين يكتبون في التصوف الإسلامي، يحاولون رد الحياة الروحية الصوفية في الإسلام إلى مصدرأجنبي بحت هندي أو يوناني ...الخ، أو إلى عدة مصادر منها القرآن أو حياة الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – ويحاول بعضهم أن يظهر بمظهر الإعتدال فيرى أن العامل الأول في نشأة التصوف، إنما كان القرآن وحياة الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – ومنهما استمد التصوف بذوره الأولى، ثم كانت الثقافة الأجنبية الهندية أو اليونانية أو الفارسية أو المسيحية هي التي أثرت فيه وجعلته يتطور وهي التي أمدته من الآراء. وبرغم أن الإستاد لويس ماسينيون[1]. يقول في صراحة: " أما دراسة مصادر التصوف فإن الشقة بيننا وبين استكمالها ما زالت بعيدة "[2] .

1 – آراء المستشرقين حول نشأة التصوف.

لقد حاول المستشرقون ومن نهج نهجهم أن يعزوا نشأة التصوف إلى مصدر معين، أو إلى مصادر مختلفة يشترك فيها المصدر الإسلامي أو لا يشترك. فهذا:

أ – رأي ميركس: التصوف مذهب دخيل في الإسلام مأخوذ، إما من رهبانية الشام، وإما من أفلاطونية اليونان الجديدة.

---

[1] – لوي ماسينيوس أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين, ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا, والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر , زار العالم الإسلامي أكثر من مرة, وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى, وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري, والمجمع العلمي العربي في دمشق, متخصص في الفلسفة والتصوف الإسلامي, ومن كتبه: (العلاج الصوفي الشهيد في الإسلام), صدر في سنة 1922 وله كتب وأبحاث أخري عن الفلسفة والتصوف, وهو من كبار محرري "دائرة المعارف الإسلامية"

[2] - د/ محمد جلال شرف / دراسات في التصوف الاسلامي /دار النهضة العربية / بيروت1984م/ ص 215

ب – رأي جونس. إما من زرادشتية الفرس، وإما من فيدا الهنود، ويأخذ المستشرقون بعضهم في مناقشة البعض، ويهدم بعضهم آراء بعض، بل إن الشخص الواحد منهم يغير رأيه فيختلف باختلاف فترات حياته.

ج – فالمستشرق ثولك، مثلا: يذهب في أول حياته إلى أن التصوف الإسلامي إنما هو مأخوذ عن أصل مجوسي، ثم يعدل عن ذلك إلى الطريق المقابل ويرى أن التصوف وكل ما فيه من الأقوال ، يمكن الرجوع بها إلى تعاليم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وسيرته ويقول الأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفي: " لما بدأت حركة طبع الكتب في مصر والهند وغيرهما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدأ يتدفق سيلها من مطبعة بولاق الأميرية خاصة، تغير مجرى البحث العلمي لا في التصوف وحده، بل في جميع فروع الدراسات الإسلامية.

وتغير إذن رأي " ثولك"، وتغيرت بذلك أدلته وأسانيده، كما اعتبر في فترة حياته الأولى، أن أدلته وأسانيده فيما يتعلق بالمصدرالمجوسي للتصوف الإسلامي حاسمة. فقد اعتبر في فترة حياته الثانية، أن أدلته وأسانيده في المصدر الإسلامي للتصوف حاسمة أيضا. وإذا كان الأمر فيما يتعلق بثولك، يمكن الاعتذار عنه، بأنه وجد في فترة، لم تكن الكتب الصوفية ميسورة كل اليسر. ومتناولة بالشكل الذي كان عند غيره، فبماذا يمكن الاعتذارعن غيره خصوصا من كتاب العرب الذين سايروا المستشرقين؟..

د – أما المستشرق نيكلسون: يتحدث عن التصوف، فيرجع نشأته إلى عوامل خارجة عن الإسلام، عملت عملها ابتداء من القرن الثالث الهجري، وأهم هذه العوامل وأبرزها في نظره، هو الأفلاطونية الحديثة المتأخرة التي كانت شائعة في مصر والشام إلى عهد ذي النون المصري ومعروف الكرخي[1]. وإذا أردنا تصوير رأي نيكلسون بقلمه

في هذه الفترة فإننا نراه يقول: " ولكني على يقين من أننا إذا نظرنا في غالب الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف بمعناه الدقيق، استحال علينا أن نرد أصله إلى عامل هندي، أو فارسي، ولزم أن نعتبره وليدا لإتحاد الفكر اليوناني، والديانات الشرقية، أو بعبارة أدق وليدا لإتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والديانات المسيحية"[2]. ثم يتحول نيكلسون

---

[1] - د/ محمد جلال شرف / نفس المرجع السابق / ص 215 – 220 بتصرف

[2] - د/ محمد جلال شرف/ نفس المرجع السابق / ص 215

عـن هـذا الـرأي، حينمـا يكتـب مـادة التصـوف في دائـرة معـارف "الـدين والأخـلاق" فيقول:"وقد عولجت مسألة نشأة التصوف الإسلامي، حتى الآن معالجة خاطئة، فذهب كثير من أوائل الباحثين إلى القول بأن هذه الحركة العظيمة التي استمدت حياتها وقوتها من جميع الطبقات والشعوب التي تألفت منها الإمبراطورية الإسلامية، يمكن تفسير نشأتها تفسيرا علميا دقيقا؛ بإرجاعها إلى أصل واحد: كالفيدانتا الهندية، أوالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، أوبوضع فروض تفسر جانبا من الحقيقة لا الحقيقة كلها. ويشرح الأستاذ لويس ماسينيون فكرة نيكلسون الأخيرة، فيقول :" وقد بين نيكلسون: أن اطلاق الحكم بأن التصوف دخيل في الإسلام غير مقبول، فالحق أننا نلاحظ منذ ظهور الإسلام أن الأنظار التي اختص بها متصوفة المسلمين، نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن، والحديث وتعليمهما والمواظبة عليهما. وتأثرت بما أصاب هذه الجماعة من أحداث وما حل بالأفراد من نوازل. ويتابع الأستاذ ماسينيون شرح فكرة نيكلسون، فيقول: "على أنه إذا كانت مادة التصوف اسلامية عربية خالصة، فمما لا يخلو من فائدة أن نعترف بالمحسنات الأجنبية الوافدة إلينا التي أدخلت عليه، ونمت في كنفه أي: التصوف"[1] ، وفكرة نيكلسون هذه تقريبا هي نفس فكرة الأستاذ ماسينيون, فما سينيون يرى: أن التصوف لا يرجع إلى مصدر واحد، وإنما يرجع أولا: إلى القرآن وهو أهم المصادر التي استمد منها التصوف نشأته وحياته. والمصدر الثاني هو: الحديث و الفقه وغيرهما من العلوم العربية الإسلامية. أما المصدر الأخير فهو: الثقافة العلمية الأجنبية العامة، التي وجدت في البيئة الإسلامية في عهودها الأولى. هذه الاختلافات الكثيرة التي استفاض فيها الكاتبون وكونوا فيها الفصول الطوال واستنفدوا فيها الجهد؛يعود سببها – في تقديرنا – إلى اختلاف وجهات النظر حول تأثير العوامل الداخلية أوالخارجية في عمليتي التطوير والتقليد، ومثال ذلك: الكاتب، أوالشاعر، أوالمفكر على وجه العموم الذي يستمد ثقافته من البيئة الخارجية يتكون ويتشكل بما يقرأ، وبما يدور حوله، وبما يتشربه من بيئته. ونتاجه الثقافي، وإبداعه الفكري، يكون أثرا للبيئة الخارجية. اللهم إلا إذا كانت له أصالته المنبثقة والمتشبعة من محيطه الداخلي والتي تسمو به، وتعصمه من أن يكون صدى للوسط الخارجي الذي يعيش فيه.

[1] - د / عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص 211

الفرع الثاني: العوامل الداخلية: بعد أن ذكرنا وجهات النظر المختلفة والمتباينة أحيانا حول نشأة التصوف وأثرها فيه، كتلك المنجزة عن الفعل الخارجي، فإنه يمكن القول بأن العوامل الداخلية والمحيطة بالشخص في بيئته الأصلية التي نشأ فيها، هي أقوى تأثيرا وأعظم سلطانا في توجيه السالك أكثر من اتصاله بعامل خارجي، لأن الإستعداد الشخصي الفردي و الفطري موجود عنده؛ ومهيأ بحكم ما استصحبه من موروث، وما اكتسبه من تربيته. ويكفيه أن يسلك عمليا هذا الطريق بكلمة، أو فكرة، أو إشارة، أو حادثة من الحوادث فيأخذ فعلا في سيره نحو الله – تعالى– مصداقا لقوله سبحانه وتعالى:(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي)[1]. هذا العزم المصمم الذي يتمثل في هذه الكلمة الكريمة لا بد له من الإستعداد الفطري الذي لا تغني عنه فلسفة أفلاطونية ولا "فدانتا هندية"[2] ولا "زرادشتية فارسية"[3]. وقد يكون المتجه إلى التصوف قارئا للأفلاطونية الحديثة أو لا يكون، وقد يكون على علم بعقائد الهند أو لا يكون, فالمتخصص في الأفلاطونية الحديثة لا يفيده تخصصه هذا في أن يكون صوفيا، وكذلك الأمر في المتخصص في عقائد الهند.

وقد قرأ الإمام الغزالي كتب الصوفية أنفسهم، ويحدثنا بذلك فيقول:" فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: " قوت القلوب" لأبي طالب المكي – رحمه الله – وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشلبي، وأبي يزيد البسطامي– رحمهم الله – وغير ذلك من كلام يمكن أن يحصل عن طريقهم بالتعليم والسماع "[4]. ولكن ذلك لم يجعل منه صوفيا وقتئذ. ولم يكن الإمام الغزالي بهذه الكتب ولا بمطالعته لفلسفة اليونان, ودراسته لها دراسة عميقة صوفيا، ولكنه تبين أن أخص خواصهم – على حد تعبيره – مالا يمكن الوصول إليه بالتعليم؛ بل بالذوق والحال وتبدل الصفات. وليس التصوف – إذن – ثقافة كسبية تتأثر بهذا الإتجاه أو ذاك، وإنما هو ذوق ومشاهدة وتهذيب النفس بالأخلاق الفاضلة، وتصفية القلب لذكر الله – تعالى – وهذا هو جوهر المنشأ المنبعث من الذات. وهو في نفس الوقت، أخص خصائص التصوف؛ إنه شعور لا يمكن التعبير عنه

---

[1] – سورة الصافات / الآية 99

[2] - أصله في [فديك] ثقافة على الأقلّ حتّى 2000 قبل المسيح. هو ثالث دين كبيرهندوسي.وهوقاعدة الروحانيّة من فدس و بالتّالي [فدا] فضيلة ، [فديك] فلسفة هندوسيّة ./ أنظر دي بور/ تاريخ الفلسة في الاسلام/ 50

[3] – معتقد فارسي مجوسي / أنظر دي بور/ تاريخ الفلسة في الاسلام/ 50

[4] – د / محمد عبد الفتاح سيد احمد / التصوف بين الغزالي وابن تيمية / دار الوفاء / المنصورة / ط 1/ 2000م / ص 15

فإن الإنسان يصل فيه إلى درجات يضيق عنها نطاق الكتابة فلا يحاول أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه. والذي لابسته تلك الحالة – على حد تعبير الإمام الغزالي– لا ينبغي أن يزيد على أن يقول[1]:

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر .

وعليه المشاهد الصوفية إذن ليست ثقافة كسبية، لا يتأتى التحدث عن مصادرها الخارجية – ووضع المسألة – مسألة نشأة ومصادر التصوف، موضع البحث والنظر والدراسة، إنما هو وضع يتأتى بعد الاستعداد الفطري الذي يسهم في الإتجاه نحو التصوف والنزوع إليه، أما الذوق الصوفي، والشعور الصوفي، والمعرفة الصوفية، فإنها منح وفيوضات و إمدادات من الله تعالى.

المبحث الثاني

مصادر التصوف

وبه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم

المطلب الثاني: سيرة الرسول

. صلى الله عليه وسلم .

وبه فرعان :

الفرع الأول: سيرة الرسول قبل البعثة

[1] – د / محمد عبد الفتاح سيد احمد/ نفس المرجع السابق / 15

الفرع الثاني: سيرة الرسول بعد البعثة

المطلب الثالث: سيرة الصحابة من أهل القرآن

وأصحاب الصفة

وبه فرعان :

الفرع الأول: سيرة أهل القرآن

الفرع الثاني: سيرة أصحاب الصفة

المطلب الرابع: سيرة الخلفاء الراشدين

والتابعين لهم

وبه فرعان :

الفرع الأول: سيرة الخلفاء

والفرع الثاني: سيرة التابعين

المطلب الأول: القرآن الكريم

لقد حث القرآن الكريم على الزهد في الدنيا و الإعراض عنها ، وبين لنا في الكثير من آياته حقيقة الدنيا وشأنها وأنها لعب ولهو وزينة، وأن الآخرة هي الدار الباقية الحقيقية والمرجوة من الصالحين الأوابين قال تعالى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[1] وقال تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ

[1] – سورة العنكبوت / الآية 64

أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[1] فالقرآن الكريم حافل بكثير من الآيات التي تحث على الزهد والتقشف والتحذير من مغبة الدنيا باعتبارها فانية وزائلة, وإنما العبرة بالدار الآخرة التي إليها معادنا وأن المتأمل في آي القرآن يجد فيها الدعوة الصريحة إلى قيام الليل والمواظبة على الذكر قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[2] قال المفسرون : الذين يذكرون الله بألسنتهم وقلوبهم في جميع الأحوال، حال القيام والقعود والإضطجاع. ولايغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم لإطمئنان قلوبهم واستغراق سرائرهم في مراقبته. فمن هذه المعاني الجليلة والحكم الربانية استلهم الصوفية أورادهم ومناسكهم وطريق زهدهم واعراضهم عن الدنيا, فكان كلام الله وحبله المتين هو عصمتهم ومصدر إلهاماتهم, ومرجع تسلياتهم على ماينالهم من الأذى قال تعالى: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)[3]

ففي الآية دعوة إلى التحمل والصبر والإحتساب لله, وهذه المعاني هي عند الصوفية من دعائم مقام الصبر الذي وعد الله عليه بجزيل العطاء كما ورد في معنى الحديث القدسي عن الصبر والمشقة في الصيام قوله تعالى: فهو لي وأنا أجزي به، ذلك لأن من خصائص الصوم الصبر عن مختلف الشهوات والملذات من المطعم والمشرب، وهي في نفس الوقت مكابدة تقتضي من الصائم الصبر الجميل. كما ذكر القرآن الكثير من المقامات التي يتنسك بها الصوفية بدءا بالتوبة, والخوف والرجاء, والشكر والتوكل, والرضا والمراقبة وهي كلها متضمنة قي التقوى, قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[4]

فهذا فيض من قيض القرآن العظيم، كما نجد الكثير من خصائص التصوف والصوفية قد جاءت بها الأحاديث القدسية والنبوية من ذلك ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : (يقول الله عز وجل : أنا عند ظني عبدي بي وأنا معه حين يذكرني

---

[1] – سورة الحديد / الآية 20-21

[2] – سورة آل عمران / الآية 191

[3] – سورة طه / الآية 130

[4] – سورة الحجرات / الآية 13

إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[1] وفي حديث قدسي آخر قوله تعالى: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصربه ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)[2]

المطلب الثاني : سيرة الرسول– صلى الله عليه وسلم–

لاشك أن أول مصادر التصوف هو القرآن الذي استمد منه الرسول– صلى الله عليه وسلم– تربيته لقوله: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[3]، ثم ربى عليه الصحابة حتى كان الواحد منهم يقرأ عشر آيات من القرآن فلا يتجاوزها حتى يعمل بها، لذلك أردنا في هذا المطلب أن نذهب مباشر للإستشهاد من حياة الرسول– صلى الله عليه وسلم– باعتبارها الجانب العملي و التطبيقي للقرآن الكريم، لقوله تعالى:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)[4] وقوله: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ)[5]. ونحن إذ نقوم بهذا فإننا ننطلق من مسلمة لدى المؤمنين بكتاب الله وسنة رسوله

---

[1] – رواه مسلم في الذكر والدعاء رقم 2675

[2] – رواه البخاري في الرقاق رقم: 6502

[3] – أورده الامام الشوكاني في الفوائد المجموعة رقم 1020

[4] – سورة النحل / الآية 44

[5] – سورة الاحزاب / الآية 21

الكريم وإنما أردنا بذلك أن نثبت لمن كان في قلوبهم مرض من خصوم الإسلام والمؤيدين لهم. أن التصوف الإسلامي الحقيقي منبعه القرآن وسيرة الرسول الكريم.

الفرع الأول : سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة

وعليه فإنه يمكن القول بأن حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم- قبل البعثة كانت مليئة بأحداث لها جوانب روحية عميقة؛ أثرت كل التأثير على تهيئة نفسه وروحه وقلبه حتى جعلته مستعدا لإستقبال الوحي. وكانت هذه الحياة قدكونت شخصية الرسول- صلى الله عليه وسلم- تكوينا خاصا، مهدت له مكانته الممتازة بين كفار قريش حتى سمي بالأمين، ولا يخفى علينا حادثة الحجر الأسود، وتنازع القبائل في الحصول على شرف حمله، ووضعه في مكانه المناسب في الكعبة، حتى جاء محمد وأنقذ الموقف برأيه السديد وكم كان لهذا الموقف من أثر نفسي ممتاز على مشايخ القبائل من ناحية؛ وعلى تأكيد مكانة محمد في نفوس العرب من ناحية أخرى. فلقد كان محمد – قبل البعثة وقبل الوحي – يذهب إلى غار حراء بعيدا عن صخب الحياة العربية الجاهلية, وبعيدا عن ضجيج الحياة المادية، وألوان الترف والنعيم فيها، ولم تكن حياته في هذا الغار نبيا ولا رسولا، بل كان يعبد الله على ملة ابراهيم الحنيف.

" كان محمد يقيم طوال شهر رمضان من كل عام ليس معه من الزاد إلا القليل، وكان يقضي وقته متأملا بعين قلبه كل ما امتلأ به الكون من آيات صنع الله "[1].

فكأنه كان يفتش عن شيء آخر، بعيدا كل البعد عن آلهة قريش التي لا حول لها ولا قوة لقد شك في عبادة الأصنام، وشك في معظم عادات العرب الجاهلين، وكان هذا الشك هو المنهج الموصل إلى اليقين المطلق. وهو حالة نفسية جعلته يقضي وقته، مسرحا طرفه في أرجاء الوجود، وقد ظل على هذه الحال من الإعتزال والتعبد والتأمل في غار حراء حتى صفت نفسه, ودق حسه وصقلت مرآة قلبه، وتهيأت له الرؤيا الصادقة. فما هي هذه الرؤيا الصادقة التي اختص بها محمد – صلى الله عليه وسلم – دون سائر المتعبدين من العرب على ملة ابراهيم ؟. هذه أمنا عائشة زوج الرسول- صلى الله عليه وسلم – تقول: " الرؤيا الصادقة هي أول ما ابتدىء به رسول الله من الوحي. وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي جبل حراء فيتحنث فيه، وهو تعبد

[1] – عبد الحليم محمود / الرسول لمحات من حياته / مطبعة صفيح / القاهرة 1985م / 138

الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فتزوده لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الحق فيه "[1]. فمن حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في غار حراء استمد الصوفية مشروعية العزلة والخلوة, والزهد والتقشف في العيش والفرار من صخب الدنيا بالإضافة إلى التأمل و التفكر في ملكوت الله، فكانت حياته بحق مصدرا ثانيا جامعا بعد القرآن الكريم .

الفرع الثاني : سيرة الرسول بعد البعثة.وهكذا أتيح لمحمد – صلى الله عليه وسلم – صفاء الروح، ونقاء السريرة حتى صار مستعدا للوحي، وأهلا للرسالة، حينئذ هبط عليه الملك، الذي أخذ يضمه، ويرسله عدة مرات، وهو في كل مرة يأمره بالقراءة؛ ومحمد يجيبه بقوله: (ما أنا بقارئ) حتى أمره الملك، ولقنه قوله تعالى:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[2]. وكانت هذه القراءة، هي بداية عهد جديد في حياة محمد — صلي الله عليه وسلم – وفي حياة الأمة العربية بأسرها؛ بل الإنسانية جمعاء.

وهي حياة انطوت على أسمى معاني الجهاد والصبر، وأرقى مبادئ الأخلاق، وأقوى دعائم الإيمان واليقين، وكانت حياة محمد— صلى الله عليه وسلم– هذه قبل البعثة وبعدها قد تميزت بالتحنث و"الخلوة"[3] والإكتفاء بالقليل من الزاد، والإكثار من المجاهدات والرياضيات، وهي حياة تمثل الصور الأولى المشرقة للحياة التي كان يحياها الزهاد والعباد والصوفية فيما بعد، وهي حياة تتسم بالأذواق، والمواجيد، والمقامات والأحوال، والكشف, والإشراق، وهي وقف على الصوفية دون غيرهم، وهي سبيلهم إلى كشف الحقيقة، وطريقهم إلى الله، وسبيلهم الوحيد لمعرفته؛ معرفة إلهامية, تأتي القلب مباشرة, وهي معرفة لدنية.قال تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)[4] وهو العلم الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج وأساس هذه المعرفة الخاصة بالصوفية هو اصطفاء الله لهم، وهو أيضا المحبة المتبادلة بين العبد وربه، ولا شك في أن الصوفية هم المصطفون الأخيار، وكان خلق الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو خلق القرآن, فقد سئلت أمنا عائشة عن

---

[1] – عبد الحليم محمود / الرسول لمحات من حياته / نفس المرع السابق / ص 138

[2] – سورة العلق / الآية 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5

[3] – الخلوة ونعني بها العزلة والتفرغ للعباة وهي نوع من التربصات عند الصوفية . / انظر اللمع / ص 136

[4] – سورة الكهف / الآية 64

خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت "كان خلقه القرآن "[1] تعني موافقة القرآن. ولا يخفى علينا أن أخلاق الرسول – صلى الله عليه وسلم – هي أساس كل طريق صوفي, وكل حياة روحية. فقد وصف لنا أبو سعيد الخدري أخلاق الرسول قائلا : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعقل البعير، ويعلف الناضح، ويقم البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب, ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم، ويطحن معها إذا هي عييت، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير ويسلم مبتدئا وكان لا يرد من دعاه ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وكان لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة طلق الوجه بساما, من غير ضحك، متواضعا من غير ذلة، جوادا من غير سرف, رقيق القلب، دائم الإطراق، رحيما بكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع "[2]. ولا شك في أن هذا الخلق النبوي له أكبر الأثر في تربية المجتمع العربي وتأكيد الحس الاجتماعي وتكوين الشخصية الفردية تكوينا سليما.

فقد شعر الفقراء والعبيد بإنسانيتهم, وكرامتهم, ووجودهم, وحياتهم داخل هذا الدين الجديد, بل كان من خلق الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما يعتبر عند الصوفية من أهم مقامات وأحوال الطريق الروحي إلى الله. فالمقام هو الموضع الذي يقيم عنده الصوفي, أو المنزلة التي يقف عندها, والمقام يكتسب بالمجاهدة والرياضة، أما الحال فهي صفة ترد على الصوفي دون انتظار لها لأن الحال موهبة من الله لا تستمر وقتا طويلا فالصوفي ابن وقته، ولذلك يقال المقامات مكاسب, والأحوال مواهب، والمقام يشير إلى التمكين، والحال يدل على التلوين، وكان أهم هذه المقامات, أو الصفات الراسخة في نفس الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهي جزء لا يتجزأ من شخصيته، هي الحياء والسخاء, والتوكل, والرضا, والذكر، والشكر, والحلم, والصبر, والعفو، والتواضع والخشوع, والإخلاص, والصدق، والزهد, والقناعة, والخوف, والرجاء ثم المجاهدة. ويذكر السراج الطوسي أن أصل جميع ما تكلم فيه الصوفية من علم الباطن أربعة أحاديث[3] : حديث عبد الله بن عباس أنه قال: أخذ الرسول بيدي وقال لي:"يا غلام أحفظ الله يحفظك "[4].

---

[1] – رواه الترميذي وقال حديث حسن

[2] – الطوسي / اللمع / ط . القاهرة 1960 / ص 136

[3] – الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 138

[4] – واه الترميذي من حديث ابن عباس

وحديث وابصة: " الإثم ما حاك في صدرك والبر ما اطمأن إليه نفسك"[1]وحديث النعمان بن بشير عن النبي- صلى الله عليه وسلم: " الحلال بين والحرام بين و بينهما أمور مشتبهات "[2]، وقوله: "لا ضرر ولا ضرار في الإسلام "[3]. كما كان للصوفية قدوتهم في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يرفع راية الجهاد في سبيل الله، والجهاد يعد أعظم مراتب التضحية؛ بل هو ذروة سنام الإسلام ورهبانية أمته، يقول الرسول- صلى الله عليه وسلم: (لا رهبانية في الإسلام ورهبانية أمتي الجهاد)[4] .

فصدر الحديث ينفي فيه النبي الكريم الرهبانية عني الأمة المحمدية, ويعني بها تلك التي تدعوا إلى اعتزال الدنيا، وما فيها من مجالات حيوية لها علاقة بمصالح العباد، ثم بين في بقية الحديث نوع الرهبانية المقصود في الإسلام، بأنها الجهاد بشطريه الأصغر والأكبر وهو أعلى مراتب التضحية والفداء، بهذا فرق بين الرهبانية في الإسلام, وبين رهبانية النصارى التي ابتدعوها لأنفسهم, واعتزلوا الحياة في ديرهم, وصوامعهم، بل الرهبانية في الإسلام، هي جهاد في كل ميادين الحياة، ونية خالصة طاهرة، وعن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أخذ الصوفية المتمسكون بالكتاب والسنة هذا الطريق.

---

[1] – رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان

[2] – رواه البخاري ومسلم والنووي في الاربعين من حديث النعمان بن بشير

[3] – الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 138

[4] – ذكره ابن اسحاق الكليني من حديث امراة عثمان بن مظعون/ انظر : الكافي / دار الكتب الاسلامية / طهران 1365هـ /ص 120 / والكلاباذي / التعرف لمذاهب أهل التصوف / ص22

المطلب الثالث : سيرة أهل القرآن وأصحاب الصفة .

الفرع الأول: سيرة أهل القرآن: وهم طائفة القراء من الأنصار، كانوا يصلون بالليل بل كانوا يلازمون الأعمدة ليلا، يتهجدون ويدرسون القرآن، وكانوا الطبقة الأولى من النساك والعارفين والعباد الذين انقرض معظمهم على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يتدنسوا بما فتح الله عليهم من زهرة الدنيا "[1]. وقد وصفهم عبد الله بن مسعود بقوله بأنهم: " حملة القرآن، وينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون, وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، بل ينبغي له أن يكون باكيا محزونا،حكيما عليما، ولاينبغي له أن يكون جافيا ولا صخابا ولا صياحا"[2]، وكان للقراء الدور الهام في غزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم– ثم في حروب الردة، وكان نداؤهم في الحروب: " يا أصحاب القرآن زينوا القرآن بالفعال "[3]. وقد استشهد الكثير منهم في حروب الردة، وقد عاشوا فرقة زاهدة في عهد الخلفاء الثلاثة.

---

[1] – ابن جوزي / صفة الصفوة / القاهرة 1355هـ / 1 / 27 بتصرف

[2] – ابن جوزي / نفس المرجع السابق / ص 27 بتصرف

[3] – ابن جوزي / نفس المرجع السابق / ص27 بتصرف

الفرع الثاني:سيرة أهل الصفة. وهم طائفة من الصحابة عرفت بالزهد، ونسب إليها التصوف فيما بعد, فهي طائفة أهل الصفة. في عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – في المدينة. أما سبب تسميتهم بأهل الصفة فإن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد بنى الصفة في ظلال مسجد المدينة لضعفاء المسلمين وفقراء المهاجرين. فجعل المسلمون يأتون إليهم بما استطاعوا من خير وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأتيهم فيقول :" السلام عليكم يا أهل الصفة فيقولون:وعليكم السلام يا رسول الله، فيقول :

" كيف أصبحتم, فيقولون: بخير يا رسول الله، فيقول: أنتم اليوم خير من يوم يغدو في حلة ويروح في أخرى, وتسترون بيوتكم كما تسترالكعبة " فقالوا نحن يومئذ خير يعطينا الله تعالى فنشكر. فقال الرسول: " بل أنتم اليوم خير "[1] .

وكان أعيان مكة يكرهون الإجتماع بالرسول – صلى الله عليه وسلم – في وجود أهل الصفة لفقرهم ومظهرهم، ورائحتهم ، وكاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يستمع إليهم، ولكن الله نهاه عن ذلك. فعن سلمان الفارسي – وهو أحد رجال الصفة – أنه قال:" جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عيينة بن حصين، والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المسجد، ونحيت عنا هؤلاء، وروائح جبا بهم – يعنون أبا ذر, وسلمان, وفقراء المسلمين وكان عليهم جباب الصوف، لم يكن عندهم غيرها، وكان يخرج منها رائحة الضأن من شدة الحر– جلسنا إليك، وخالصناك وأخذنا عنك. فأنزل الله عز وجل:(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًاوَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا)[2]. يتهددهم بالنار. أي الأعيان, فقام نبي الله – صلى الله عليه وسلم – يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، فقال الرسول:(الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم

---

[1] – أبو نعيم / حلية الاولياء / القاهرة 1932م / 1 /123

[2] – سورة الكهف / الآية 27 ، 28

من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات)[1]، بل كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يقوم من مجلسه، إذا جلسوا حوله حتى يقوموا، وكان إذا صافحهم لم ينزع يده من أيديهم قبلهم، وربما كان يفرقهم على أهل الجدات والسعة على كل واحد على مقداره يبعث بهم، مع الواحد ثلاثة، ومع الآخر الأربعة والخمسة , وربما كان ينقلب سعد بن معاذ بثمانين منهم إلى بيته فيطعمهم، ومن المؤرخين من يجعلون عدد أهل الصفة مماثلا لعدد أهل بدر، فكان عددهم كما جاء في الخبر نيفا وثلاثمائة. وقد وصفهم أبو موسى الأشعري – وكان من أهل الصفة —

بقوله : " كان يشبه رائحتنا، رائحة الشاة من لبس العباء "[2].

وليس أدل على منزلتهم أيضا عند مؤرخي التصوف القدماء من قول أبي نعيم الأصبهاني حين وصفهم بأنهم: " قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض وعصمهم من الإفتتان بها عن العروض، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء، كما جعل من تقدم من الصحابة أسوة للعارفين من الحكماء. لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا يلههم عن ذكرالله تجارة ولا مال، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا، ولا يفرحوا إلا بما أيدوا به من العقبى, كانت أفراحهم بمعبودهم ومليكهم، وأحزانهم على فوت الإغتنام من أوقاتهم وأورادهم"[3].

ولعل هذا الوصف، هو الذي أوحى إلى بعض مؤرخي التصوف القدماء أن يعتبروا الصوفية هم بقية من بقايا أهل الصفة الذين كانوا على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقد سمي الصوفية بالغرباء تشبها بأهل الصفة الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد, بأنهم كانوا يخرون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين. فإننا سنذكرهنا بعض شخصيات أهل الصفة الذين اتصف كل واحد منهم بصفة خاصة به، تصح أن تكون مثالا ونموذجا حيا، احتذاه الصوفية بعد ذلك فمن هؤلاء؟.

1 – سلمان الفارسي: وقد اشتهر عند الصوفية بأنه صاحب الشد والتلقين، فهو مسرح من مسارح العلم اللدني، ويقال أيضا أنه أول من تكلم عن فكرة الخلافة في الأرض والنورالمحمدي, فهل نجد مثل هذه الفكرة عن الخلافة الروحية عند صوفية في الإسلام؟. لا

---

[1] – أبو نعيم / نفس المرجع السابق / ص 124

[2] – الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 184

[3] - الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 184

شك في أننا إذا أخذنا معنى الشد والتلقين "أي الأخذ والعطاء من الشيخ" على أنه هو أساس العلاقة المتبادلة بين الشيخ والمريد، فإننا سنلمح حتما ظهور هذه الفكرة منذ نشأة الطرق الصوفية وتطورها، ابتداء من الحارث المحاسبي، حتى تصل إلى أوج عظمتها عند أبي بكر الكتاني[1].

2 – حذيفة بن اليمان : و يجمع معظم مؤرخي طبقات الصوفية من أمثال السراج الطوسي، وأبي طالب المكي، وابن الجوزي: بأن حذيفة بن اليمان قد خص بعلم المنافقين بل عرف بصاحب سر رسول لله – صلى الله عليه وسلم – الذي يؤكد أن العلم الإسلامي له طبيعتين هما: الظاهر، والباطن، وإفراد حذيفة من بين الصحابة بمعرفة علم النفاق، وبسرائر العلم ودقائقه، فيه أكثر من دليل على هذه الطبيعة الخاصة التي تميز به العلم الإسلامي على غيره من العلوم، فقدكان عمر، وعثمان، وأكابر صحابة الرسول – صلى الله عليه وسلم – يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، ويرجعون إليه في العلم الذي خص به. أما سبب تفرد حذيفة بهذا العلم السري، هو ما قاله عن نفسه: " كان الناس يسألون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الخير، وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركني"[2] ومعنى هذا القول أن التصوف موضوعه أسرار القلوب، وما يعرض لها من دقائق الرياء والنفاق، وسوف يتكرر هذا النموذج عند صوفية المسلمين وخاصة عند "أبي هاشم"[3] الزاهد, وهو أول من لقب بالصوفي، والذي تعلم منه سفيان الثوري دقائق الرياء. فلذلك يجد الصوفية في مثل هؤلاء قدوتهم، وأسوتهم في سلوكهم الصوفي.

---

[1] - الكلاباذي / التعرف لمذاهب أهل التصوف / دار الاتحاد العربي للطباعة / القاهرة 1982 / ص8،9

[2] – رواه البخاري ومسلم من حديث حذيفة بن اليماني وذكر ابن حجر في الفتح والامام النووي في شرح مسلم

[3] – إن أول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة 150هـ، ثم تتالت التسمية في كثير من العباد والزهاد وأهل الإقبال على الله بالتجرد، وعلى النفس بالإصلاح، أمثال أبي حازم سلمةَ بن دينار المخزومي، والمعافى بن عمران، والفضيل بن عياض، ومعروف الكوفي، وبشربن الحارث الحافي، والحارث بن أسد المحاسبي، وأبي يزيد البسطامي، وأبي بكر الوراق، وسهيل بن عبد الله التستري، وأبي القاسم الجنيد بن محمد./ انظر الصلة بين التصوف والتشيع /كامل مصطفى الشيبي / بغداد 1963 / ص290

3 – البراء بن ملك : فقد قال عنه الرسول – صلى الله عليه وسلم – (كم ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك)[1] فقال البراء:" اللهم فإني أقسم عليك لما رزقتني الشهادة ورزقت أصحابي الفتح"[2]، فاستشهد البراء وفتح الله عليهم. ومسألة القسم هذه لها مكانة ممتازة في التصوف الإسلامي، وذلك لأن استجابة القسم هي من أخص خصائص أولياء الله المقربين الذين أكرمهم وجعلهم من المصطفين الأخيار فأصبحوا في الصف الأول، حينئذ أظهر على أيديهم الكرامات كبشرى لهم في الحياة الدنيا، و لهم في الآخرة الحسنى.

المطلب الرابع : سيرة الخلفاء والتابعين

الفرع الأول: سيرة الخلفاء

وقد خصصناه للصحابة الخلفاء الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي – رضي الله عنهم أجمعين – وقد أردنا أن نقتصر الحديث عنهم بإعتبارهم الصفوة من الصحابة الأجلاء, ولأن الحديث عن جمع الصحابة أكبر من أن تحويه المجلدات، وموضوع بحثنا لا يتسع لذلك.

1– أبو بكر الصديق: لقد كانت حياة الصحابة حياة الخوف والرجاء، حياة التهجد والبكاء، استمعوا إلى القرآن خاشعين متضرعين، وكانوا مزيجا من السادة والعبيد ومن الأغنياء والفقراء، ولكنهم كان يجمعهم هدف واحد, ومظهر نفسي واحد، هو قراءة القرآن بحزن وخوف؛ بل كان الصحابة هم رهبان الليل, وفرسان النهار، يدرسون القرآن بتأمل, وتفكير وتدبر بالليل، ولكنهم لم يكونوا كرهبان النصارى، فليس من سنة الإسلام تعذيب النفس، وإهمال الأسرة، وعدم السعي. إن الحياة الروحية في عهد الصحابة كانت تتسم بالزهد المعتدل القائم على الكتاب والسنة. ولقد كان الصحابة أنفسهم نماذج صادقة للحياة الروحية التي كان يحياها زهاد المسلمين، وصوفية الإسلام السنيون. فعلينا إذن تتبع المظاهر النفسية لحياة الزهد, والتصوف عند الصحابة واحدا بعد الآخر. لذلك

---

[1] – أخرجه الترميذي في المناقب من حديث ثابت عن أنس بن مالك

[2] – السراج الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 187 و أبو نعيم في الحلية /ج / 364

اعتبر الصوفية من أهل السنة مجموعة الصحابة أصلا من أصول تصوفهم, فنراهم يعالجون حياة كل منهم من زاوية الزهد والتصوف، يقول أبو بكر
الواسطي الصوفي المشهور:" إن أول لسان الصوفية ظهرت في هذه الأمة على لسان أبي بكر هي:"إشارة" فاستخرج منها أهل الفهم لطائف توسوس فيها العقلاء "[1]. والسبب في أن الصديق الأول للرسول – صلى الله عليه وسلم – هو أول لسان الصوفية حين خرج من جميع ملكه، وزهد في ماله. قال له النبي الكريم:(ماذا خلفت لعيالك) قال أبو بكر:" الله ورسوله "[2]. وهذه الإجابة القلبية النفسية الروحية الزكية إن دلت على شيء، فإنما

تدل على أنها إشارة, ولفتة جليلة لأهل التوحيد في حقائق التفرد. فقد وفى الصديق بما عاهد عليه الله من تمام الصدق وقوة الإيثار، فزهد في كل ماخلا الله العظيم ورسوله الكريم، فلم يمسك سوى المحبوب عنده، وهو الله ورسوله. وذلك بالتأكيد تصوف وروحانية في أعلى مراتبها، وأسمى معانيها، وأنبل مظاهرها النفسية عند الصديق، وعند الرسول– صلى الله عليه وسلم – بل كان أبو بكر إذا أكل طعاما فيه شبهة، أي ليس من باب حلال، ثم علم به استقاءه من بطنه قائلا :" اللهم لا تؤاخذني بما شربته العروق وخالط الأمعاء " وفي رواية أخرى أنه كان يقول :" والله لولم تخرج إلا مع روحي لأخرجتها "[3]. ولقد كانت حياة أبي بكر كلها تسير على نهج القرآن متأثرا بآياته, فنراه يختار من بين آيات القرآن ثلاث آيات نلمح فيها معظم تعاليم التصوف. فقد روي عنه أنه قال " ثلاث آيات من كتاب الله اشتغلت بها عما سواها, أحدها: قوله تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ)[4]. فعلمت أنه إن أرادني بخير، لم يقدر أحد أن يرفع عني غيره, وإن أرادني بشر لم يقدر أحد أن يصرف عني غيره " وهكذا يؤمن أبو بكر بالقدرخيره وشره حلوه ومره، وهو أصل من أصول العقائد الإيمانية التي غرسها الرسول الأمين في صحابته. والآية الثانية قوله تعالى:

[1] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 168- 169
[2] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 168- 169

[3] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 171- 172
[4] – سورة يونس / الآية 107

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)[1]، فاشتغلت بذكر الله عن كل مذكورسوى الله. وهذا الأمر هو أساس الطريق الصوفي كله، بل هو أفضل ما في التصوف مصداقا لقوله تعالى:

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[2]. أما الآية الثالثة فقوله تعالى:(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)[3] فوالله ما هممت برزقي منذ قرأت هذه الآية"، وهذا القول داخل في مقام التوكل, وهو من أجل المقامات عند الصوفية. وبهذه الآيات الثلاثة، لخص لنا أبو بكر الصديق التصوف السني المبني على هدي القرآن والسنة, والذي يؤكده ماحكاه أبو القاسم الجنيد شيخ الصوفية قائلا:" أن أشرف كلمة في التوحيد قول أبي بكر:

سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته "[4] تفسير هذه العبارة كما يقول القشيري صاحب الرسالة: "هو أن أبا بكر الصديق لا يقصد أنه لا يعرف الله بل العجز عن معرفة الله عند المحققين هو عجز عن الوجود دون المعدوم, وذلك مثل المقعد فهو عاجز عن قعوده، إذ ليس له كسب ولا فعل, والقعود موجود فيه, وكذلك العارف المؤمن الموحد لله، عاجز عن معرفته، والمعرفة موجودة فيه بأنها ضرورية"[5]. إن قول أبي بكر يعتبر من أسمى أنواع المعرفة المتصلة بقضية التوحيد، والمستمدة من قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا)[6]. فالعارف الموحد الحقيقي – من هذا المنظور– هو العاجز عن إقامة الدليل والبرهان على الذات وينصرف بفكره إلى ما في الكون من بديع صنع الله، إذن معرفة الله معرفة ضرورية يقينية، وبتعبير الصوفية هي معرفة قلبية شهودية، ذوقية، كشفية, فهي معرفة إيمانية مباشرة، مستمدة من قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا). وقد أورد أبو نعيم الأصبهاني تفسيرا روحانيا لأبي بكر، اختص به عن سائر أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذا التفسير بآيتين من القرآن، وهو موقف يختص به الصوفية دون الفقهاء؛ من حيث أن الصوفية يهتمون بالتأويل الباطني للقرآن بينما تمسك الفقهاء بظاهر النص. فقد قال أبو

---

[1] – سورة البقرة / الآية 151

[2] – سورة الرعد / الآية 29

[3] – سورة هود / الآية 6

[4] – القشيري / نفس المرجع السابق / ص 136

[5] – القشيري / نفس المرجع السابق / ص 136

[6] – سورة آل عمران / الآية 193

بكر لأصحابه: " ما تقولون في هاتين الآيتين ": قوله سبحانه وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)[1].وقوله تعالى:(الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)[2]. قالوا:ربنا الله ثم استقاموا فلم يدينوا، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم بخطيئة قال: " لقد حملتموها على غير المحمل، ثم قال:" قالوا ربنا الله ثم استقاموا, فلم يلتفتوا إلى إله غيره، ولم يلبسوا إيمانهم بشرك". والحقيقة أن ما ذكره أبو نعيم قد ورد في تفسير بن كثير بقوله: إن الصحابة لما قرأ عليهم النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله تعالى: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ). شق عليهم ذلك وقالوا من منا يا رسول الله من لم يظلم نفسه.

فنزل قوله تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[3]. لتبين لهم بأن الظلم المذكور في الآية، إنما هو المقصود بالشرك. فالصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين– هم أولى الناس وأحق بفهم القرآن وتأمل معانيه، فقد سمعوه من الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحضروا تنزيله, والتزموا منهجه في حياتهم، فكان الواحد منهم يقرأ عشرا من الآيات فلا يتجاوزها حتى يعمل بمقتضاها، قدكانوا قرآنا يمشي. وبهذا يمكن القول بأن سيرة الصحابة يمكن اعتبارها أصلا للتصوف الحقيقي المبني على الكتاب والسنة, وإن لم يكن التصوف وقتهم معروفا بمصطلحه النظري إلا أنه عمليا كان سائدا فيهم.

2 – **عمر بن الخطاب**: عرف عن الخليفة الثاني أنه أساس الزهد, والتصوف القائم على الذوق والعلم اللدني، فعلى الرغم من أنه إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، لأنه كان شديدا في الحق، فسمي بالفاروق، وأنه مع ذلك كان الناسك حقا من حيث أنه كان يعيش عيشة تقشف لا مثيل لها بين الصحابة والخلفاء، وكان لعمر بن الخطاب مقام معلوم عند أهل التصوف، وقد احتلت تلك الصورة الصوفية عندهم مكانة حياة الرجل الزاهد حقا، "كان للحق مائلا، وبالحق صائلا، وللأثقال حاملا, ولم يخف دون الله طائلا. بل كان لأهل الحقائق أسوة, وذلك لمعاني خص بها أكثر من غيره: لبس المرقعة والخشونة، وترك الشهوات, واجتناب الشبهات، اظهار الكرامات، وقلة المبالاة من لائمة الخلق عند انتصاب الحق ومحق الباطل، ومساواة الأقارب والأباعد في الحقوق,

---

[1] – سورة فصلت / الآية 29

[2] – سورة الانعام / الآية 83

[3] – سورة لقمان / الآية 12

والتمسك بالأشد من الطاعات "[1]. فقد قيل: " إن عمرا خطب الناس وهو خليفة, وعليه إزار فيه ثنتا عشررقعة. وفي رواية عن أنس: أنه كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع "[2]. وقد عبرت عن ذلك حفصة ابنة عمر حيث قالت لأبيها: " يا أمير المؤمنين لواكتسبت ثوبا هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير "[3]. ولكن أمير المؤمنين لم يوافقها على ذلك, بل عبر عن تمسكه بهذه الحياة أسوة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحبة أبي بكر، مما يصح أن يكون مثالا للصوفية يحتذونه.

فقال لها: "إني سأخاصمك إلى نفسك, أما أنك تذكرين ما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يلقى من شدة العيش, وكذلك أبو بكر. فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها:" أما والله لأشركنهما في مثل عيشهما الشديد لعلي أدرك عيشهما الرخي"[4].

فهذا ما اختص به عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من لبس المرقعة والخشونة وترك الشهوات والشبهات. أما إظهار الكرامات فقد ذكر عنه أنه كان يخطب فصاح قائلا في وسط خطبته: "يا سارية الجبل – وسارية في معسكر على باب نهاوند – فسمع صوت عمر, وأخذ نحو الجبل, وظفر بالعدو, وقيل لسارية: كيف علمت ذلك؟. فقال: سمعت صوت عمر يقول: يا سارية الجبل الجبل "[5]. وقد روي عن عمر أيضا أنه قال:"ما ابتليت ببلية إلا كان لله علي فيها أربع نعم: إذ لم تكن في ديني، وإذ لم تكن أعظم منها وإذ لم أحرم الرضا فيها، وأن أرجوا الثواب عليها "[6]. وقال عمر:" لوكان الصبر والشكر بعيرين لم أبالي أيهما ركبت "[7]. ومعنى هذا القول أن البلاء والنعمة عنده سيان، فلا فرق أن يصبر على ما ابتلاه الله به، أوأن يشكره على ما أعطاه وحباه. ويلخص لنا الخليفة الثاني الطريق الصوفي السني الذي يقوم على الشريعة في أربعة أمور أساسية :

أولها: أداء فرائض الله تعالى.

---

[1] – أبو نعيم / نفس المرجع السابق / 1 / 38

[2] – السراج الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 174

[3] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 168- 169

[4] – ابن الجوزي / نفس المرجع السابق / 1 / 108

[5] – الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 173

[6] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 173 - 174

[7] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 174

والثاني: اجتناب محارم الله.

والثالث: الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله.

والرابع: النهي عن المنكر اتقاء غضب الله.

وهكذا تتسم الحياة الروحية عند عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بالتمسك بما فرضه الله خوفا من غضب الله وعقابه، وطمعا في ثوابه وجنته. ويجسد عمر هذا الشعور الرباني بذكر عبارة يصف فيها قوما بصفات, هي أقرب ما تكون من سمات الصوفية حيث يقول :" إن لله عبادا يميتون الباطل بجهره، ويحيون الحق بذكره، خافوا فلا يأمنون وأبصروا من اليقين ما لم يعاينوه " [1] .

3 – عثمان بن عفان: وليس من العجب – أيضا – أن يوضع عثمان بن عفان في صورة صوفي، ولكن صوفية أهل السنة تولوا الجميع فقالوا عنه: " ثالث القوم القانت ذوالنورين, الخائف ذوالهجرتين، والمصلي إلى القبلتين، غالب أحواله الكرم والحياء والحذر, والرجاء. حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشر بالبلوى، ومنعم بالنجوى"[2]. وكان لعثمان شيئان ليس لأبي بكر وعمر مثلهما:

– صبره على نفسه حتى قتل مظلوما.

– وجمعه الناس على المصحف.

وقد سمي بذي النورين لجمعه بين ابنتي رسول الله– صلى الله عليه وسلم – رقية وأم كلثوم، وقد اعتبره الصوفية فيما بعد مختصا بالتمكين, والتمكين من أعلى مراتب المتحققين، ومما يدل على تخصيصه بذلك وبالثبات والإستقامة أيضا ما روي عنه أنه لم يبرح من موضعه, ولم يأذن لأحد بالقتال, وما وضع المصحف من حجره إلى أن قتل وسال الدم على المصحف وتلطخ بالدم؛ ووقع الدم على موضع هذه الآية من قوله تعالى: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[3] ولا شك أن حب الله والإيمان بوحدانيته ومراعاة ومراعاة صالح المسلمين، قد ترك أثرا نفسانيا بالغا عند الخليفة عثمان بحيث جعلاه لا يشعر بالألم لشدة فنائه في الله، وإذا كان كل صوفي روحاني لا بد له أن يكون زاهدا في

---

[1] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 175

[2] – الشعراني / الطبقات الكبرى / مكتبة صبيح / القاهرة / د ، ت ، ط /1/ 17

[3] – سورة البقرة / الآية 136

المال، أو أن يخرج عن أمواله كما فعل أبو بكر, وعمر وكثير من الصحابة والتابعين والمتصوفة، فما هو موقفنا من عثمان الخليفة الثالث, وحرصه على جمع المال – إذا جاز لنا وصفه بذلك – لا شك أن هذه الخاصية التي كانت لعثمان لم تكن من أجل صالحه الخاص, أوطمعا في أن يكنزه؛ بل كان لخدمة الإسلام

و المسلمين. فقد سئل بعض المتقدمين عن الدخول في السعات فقال: " لا يصح إلا للأنبياء والصديقين، والدخول في السعة التي هي من أحوال الصدقين أن يكون داخلا في الأشياء خارجا منها، وأن يكون مع الأشياء بائنا عنها"[1].

وهذا وصف عثمان بن عفان؛ لأنه قد روى عنه قوله :" لولا أني خشيت أن يكون في الإسلام ثلمة أسدها بهذا المال ما جمعته "[2].

وقد تكرر مثل هذا الحادث عند الصوفية، فقد كره بشر بن الحارث الحافي أن يتكسب "منصور بن عمار"[3] الواعظ من وراء وعظه، ولكن كانت حجته في ذلك أنه يفرق هذه الأموال على الفقراء والمحتاجين. وعند عثمان بن عفان تتطور المعاني الروحية الحقيقية الداخلة في التصوف كأساس له، وهو تطور يختلف عما شاهدناه عند عمر وأبي بكر فقد روي عن عثمان أنه قال: " وجدت الخير كله مجموعا في أربعة أولها: التحبب إلى الله بالنوافل. ثانيا: الصبر على أحكام الله. ثالثا: الرضا بتقديرالله. رابعا: الحياء من نظر الله"[4], فجمع لنا بعبارته هذه أهم مقامات التصوف وسماته، فتحببه إلى الله بالنوافل إنما هو تأكيد للحديث القدسي القائل: (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها)[5]، ثم ذكر لنا مقاما هاما هو الصبر، وكأنه كشف الحجاب، واستشرف المستقبل بأنه سوف يصاب ببلوى ويصبر عليها، فيكون مصيره الجنة التي بشره الرسول– صلى الله عليه وسلم – بها. ولم يأمر المسلمين بالقتال من أجله يقينا منه بصدق الوعد، وحرصا منه على وحدة الأمة, فصبر

---

[1] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 176

[2] – ابو نعيم / نفس المرجع السابق / 1 / ص 55

[3] – هو من متصوفة بغداد وتوفي بها 225هـ وقد عرف بحسن الكلام في الوعظ وترقيق القلوب / انظر ابن النديم / الفهرست

[4] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 177

[5] – رواه البخاري من حديث ابي هريرة

واحتسب أمره لله والتزم الصبر. ولاشك أن الصبر يقتضي الرضا بحكم الله وتقديره. وكل هذا لا يكون إلا على أساس الحياء من الله تعالى وحده فلا يشكوا لغيره .

4. الإمام علي بن أبي طالب:

أما علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين، وزينة الشباب الذي عرف باسم:" رباني الأمة "[1] لأنه لم يعرف الكفر، ولا الشرك مطلقا، ولم يشارك قريشا في أعمال الجاهلية أبدا, بل لم يكن يعرف سوى الخير فقط، وقد تربي في بيت النبوة الطاهر، فاستحق أن يكون كبير عباد المسلمين وزهادها وكبير علمائها. وكان الإمام علي يعيش حياة الفقيه العابد يجمع القرآن ويتلوه، وكان الشيخان أبو بكر وعمر يلجاءان إليه في الفتاوى والقضايا الهامة التي لم تحدث من قبل؛ مثلما حصل في قضية المرأة التي وضعت حملها في ستة أشهر, فتدخل علي وأنقذ الموقف وبين أن ذلك ممكن، وقرأ قوله تعالى: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)[2]. أي أن مدة الحمل الممكن ستة أشهر، ومدة الرضاع حولين كامل، لمن أراد أن يتم الرضاعة, فالإمام علي بحق كان مفتاح كل معضلة حتى قيل: " قضية ولا أب الحسن لها" أي إذا تعسر أمر، ولم يوجد له حل. لهذا كله فقد وضع الصوفية علي بن أبي طالب في المكانة الأولى من مشايخهم فهو: " باب مدينة العلم والعلوم، ورأس المخاطبات ومستنبط الإشارات، سيد القوم، محب المشهود، ومحبوب المعبود، راية المهتدين ونور المطيعين، وولي المتقين، وإمام العادلين"[3]، فقد قال الرسول- صلى الله عليه وسلم - فيه: (أنا دار الحكمة وعلي بابها)[4]. ما يقوله كثير من الصوفية المسلمين أن الله قد وهب عليا العلم

---

[1] - - ابو نعيم / نفس المرجع السابق / ج1 / ص 61 - 67

[2] - سورة الأحقاف / الآية 14

[3] - - ابو نعيم / نفس المرجع السابق / 1 / ص 61 - 67

[4] - رواه الترمذي وابو نعيم من حديث عمر بن عبد الله الرومي / السيوطي في الجامع الصغير قي باب حرف الالف رقم 2704

اللدني، وهو علم الباطن الذي يقذفه في القلب بلا واسطة. فهذا إمام الصوفية وسيد الطائفة أبو القاسم الجنيد يقول في علي:" رضوان الله تعالى على أمير المؤمنين علي لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة، ذاك امرؤ أعطي العلم اللدني والعلم اللدني هو العلم الذي اختص به الخضر. قال الله تعالى:

(وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)[1] ويتضح مما سبق أن أمير المؤمنين عليا له خصوصيته من بين جميع أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بمعاني جليلة وإشارات لطيفة، وألفاظ ومفردات وعبارات، وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم, وغير ذلك مما سئل عنه قيل له:" بما عرفت ربك ؟. فجاء جواب علي يحقق بكل تأكيد معنى التوحيد السني عند صوفية الإسلام حين قال: بما عرفني نفسه لا تشبهه صورة، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعد، بعيد في قربه، فوق كل شيء، ولا يقال شيء تحته، وتحت كل شيء، ولا يقال فوقه. أمام كل شيء، ولا يقال شيء أمامه، داخل في الأشياء، لا كشيء، ولا من شيء،ولا في شيء ولا بشيء سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره "[2]. وقام رجل إلى علي بن أبي طالب، فسأله عن الإيمان فقال: "الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، و اليقين، والعدل، والجهاد. ثم وصف الصبر على عشر مقامات وكذلك اليقين والعدل والجهاد، ووصف كل واحد منها على عشر"[3]. فالإمام علي بحق مدينة العلم، إنه بحر زاخر باللؤلؤ والياقوت والمرجان, وحكمه الجليلة تجمع الخير كله. فقد روي عنه أنه قال:" الخير كله مجموع في أربعة: الصمت, والنطق، والنظر، والحركة. فكل نطق لا يكون في ذكر الله فهو لغو, وكل صمت لا يكون في فكر فهو سهو,وكل نظر لا يكون في عبرة فهو غفلة, وكل حركة لا تكون في تعبد الله فهي فترة, فرحم الله عبدا جعل نطقه ذكرا، وصمته فكرا، ونظره عبرة، وحركته تعبدا، ويسلم الناس من لسانه ويده " [4]. فهذه الحكم كلها مستوحاة من فهم الإمام علي- رضي الله عنه- للقرآن الكريم من مثل قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[5] . وقد روي أن صاحبا لأمير المؤمنين

---

[1] - سورة الكهف / الآية 64

[2] - السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 379

[3] - السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 379 - 380

[4] - السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 379 - 380

[5] - سورة الانعام / الآية 164

– رضي الله عنه– يقال له همام كان رجلا عابدا، فقال له يا أمير المؤمنين: " صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم, فكان جواب علي ملخصا لصفات العابدين المتقين، أي صفات الزاهدين والمتصوفين حيث قال:" المتقون هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ومشيتهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب, وخوفا من العقاب. عظم الخالق في أنفسهم, فصغر ما دونه في أعينهم, قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة، وأنفسهم عفيفة، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون دواء دائهم فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، وتطاوعت نفوسهم إليها شوقا، وظنوا أنها نصب أعينهم, وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول أذانهم. وأما النهار فحلماء علماء أبرارا أتقياء قد براهم الخوف بري القداح [أي رقق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت] ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض" [1]. فالإمام علي – رضي الله عنه– بهذا الوصف الجامع لأولياء الله المتقين، قد ذكر وبين كل أصول مقامات الصوفية: من الزهد،والخوف، والرجاء، لذلك عد الصوفية الإمام سيدهم وقدوتهم–كغيره من الصحابة الأجلاء – في سيرهم بما جاء فيها من عبر وعظات تجعلهم بحق مصدرا للصوفية والتصوف، لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الهادين المهدين من بعدي عضوا عليها بالنواجد)[2] . يمكننا أن نلخص ما استفدناه من الحياة الروحية عند الصحابة الأربعة الذين وصفهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقوله: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)[3] ونبين كيف كانوا قدوة لبقية الصوفية، ونجمع ذلك كله في نص السراج الطوسي :

---

[1] – علي بن ابي طالب / نهج البلاغة / شرح الامام محمد عبد / القاهرة 1958م / ص 241 – 242

[2] – رواه احمد، وابو داوود، وابن ماجة ، والترمذي

[3] – رواه الدارقطني في الفضائل ، وابن عبد البر في العلم، من حديث جابر

" من ترك الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك، وجلس على بساط الفقر والتجريد بلا علاقة فإمامه أبو بكر، ومن أخرج بعضها وترك البعض لعياله ولصلة الرحم وأداء الحقوق فإمامه فيها عمر ابن الخطاب، ومن جمع لله ومنع لله وأعطى لله وأنفق لله فإمامه فيها عثمان بن عفان، ومن لا يحوم حول الدنيا وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها وهرب منها فإمامه في ذلك علي بن أبي طالب "[1].

الفرع الثاني: سيرة التابعين

1- **الحسن البصري:** ولا شك في أن الحسن البصري هو أول من نهج سبيل علم التصوف وفتق الألسنة به، ونطق بمعانيه وأظهرأنواره، وكشف قناعه، وكان يتكلم فيه بكلام لم نسمعه من أحد من إخوانه فقيل له: " يا أبا سعيد إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك, فممن أخذت هذا ؟. فقال: حذيفة بن اليمان"[2] ولهذا كله كان قوام الحياة عنده هو الزهد في الدنيا والإعراض عن جاهها، والإقبال على الله والتوكل عليه والخوف منه. ويمثل الحسن البصري دون أدنى شك نوعا خاصا من الحياة الروحية هو الزهد المتصف بالخوف الدائم، فقد قال فيه صاحب الحلية: " حليف الخوف والحزن، ألف الهم والشجن، عديم النوم والوسن، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن الفقيه الزاهد المتشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا "[3] . وعلى الرغم من معاصرة الحسن البصري لعدد كبير من الصحابة إلا أنه في ميدان الزهد والتصوف كان متأثرا –كما قال هو– بحذيفة بن اليمان الذي خص بعلم المنافقين، وقد كان الحسن أحد المذكورين، وكانت مجالسه مجالس الذكر، يخلو فيها مع إخوانه وأتباعه من النساك والعباد، وكان يحدث أصحابه في خواطر القلوب وفساد الأعمال، ووساوس النفوس"[4] وكان من خيار التابعين بإحسان، وكانت أمه مولاة لأم سلمه زوج النبي– صلى الله عليه وسلم–

---

[1] – – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 182

[2] – – ابو نعيم / نفس المرجع السابق / 2 / 131 – 132

[3] – ابو نعيم / نفس المرجع السابق / 2 / 131- 132

[4] – الشعراني / نفس المرجع السابق / 1 / 25

وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان أبو قتادة العدوى يقول: " عليكم بهذا الشيخ، فوالله ما رأينا أحدا لم يصحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أشبه بأصحاب رسول الله منه. وكانوا يقولون كنا نشبهه بهدي إبراهيم الخليل في حلمه وخشوعه, ووقاره وسكينته، فكان على شمائله "[1].

ومما يؤكد رسوخ قدم الحسن في هذا الزهد القائم على الوعظ الخلقي, أن الإمام عليا دخل جامع البصرة، وجعل يخرج القصاص ويقول: "القصص بدعة حتى انتهى إلى حلقة شاب يتكلم في جماعة فاستمع إليه فأعجبه كلامه، فقال يا فتى أسألك عن شيئين فإن خرجت منها تركتك تتكلم على الناس وإلا أخرجتك كما أخرجت أصحابك فقال: سل يا أمير المؤمنين فقال: أخبرني ما صلاح الدين وما فساده ؟. فقال: صلاح الدين الورع وفساده الطمع. قال: صدقت تكلم فمثلك يصح أن يتكلم على الناس"[2], وبعد أن أباح علي بن أبي طالب الوعظ والكلام للحسن البصري، نراه يحاول التمييز بين أن يلبس الصوف كعلامة على الزهد والورع، أو أن يكون مدعاة للكبرياء والخيلاء، حينئذ يحدد لنا سمات التصوف السني الحقيقي فيقول:" من لبس الصوف تواضعا لله–عز وجل–زاده نورا في بصره وقلبه، ومن لبسه للتكبروالخيلاء كور في جهنم مع المردة "[3].

وقيل له مرة " الفقهاء يقولون كذا وكذا فقال: وهل رأيتم فقيها قط بأعينكم ؟. إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، البصير بذنبه، المداوم على عبادة ربه عز وجل "[4] وقوله: " "المحب سكران لا يفيق إلا عند مشاهدة محبوبه "[5]. وقد لخص الحسن البصري بأقواله هذه كلها المراحل المختلفة للتصوف الذي يبدأ بالتواضع، وترك الرياء إلى الزهد في الدنيا، ومداومة العبادة، ثم حب الله حبا يؤدي إلى السكر المفقد للوعي, والشعور الذي لا يفيق منه المحب إلا إذا

---

[1] – د/ زكي مبارك / التصوف الاسلامي / 2 / القاهرة 1938م

[2] – د/ زكي مبارك / نفس المرجع السابق / ص 12

[3] – الشعراني / نفس المرجع السابق / 1 / 26

[4] – د / زكي مبارك / نفس المرجع السابق / ص 12

[5] – – الشعراني / نفس المرجع السابق / 1 / 27

وصل إلى بغيته المنشودة، وغايته السامية، وهي رؤية الله ومشاهدته، رؤية قلبية في الدنيا يشعر من خلالها بمراقبة الله. كما نراه أعطى معنى عميقا باطنيا وروحيا لكلمة "فقيه" في الفكر الإسلامي فالفقيه كما- يتصوره – إمام التابعين وشيخ الصوفية، هو الذي يجمع إلى جانب علم الظاهرعلم الباطن. وهو الذي يعمق الشريعة بالحقيقة، هو الذي يثبت العلم بالعبادة الدائمة، والزهد في الدنيا.

فالفقيه إذن عند الحسن البصري، هو العالم العابد والزاهد الصوفي، ولذا نرى أن علم التصوف أصبح كعلم مستقل له: قواعده، ونظرياته، وأفكاره، يقوم في مواجهة كل أنواع الفكر الإسلامي المختلفة. و إنما كتب له ذلك منذ عهد الحسن البصري. لذلك نجد السراج الطوسي يلخص لنا مذهب الحسن البصري في التصوف بما يلي: " إن أكثر ما ينفع الناس من تعلم الآداب عاجلا، وأوصلها آجلا، هو التفقه في الدين، فإنه يصرف إليه قلوب المتعلمين، والزهد في الدنيا فإنه يقرب المرء من ربه"[1]، فمثل هذه المبادئ التي تنير الطريق أمام الفقيه العابد الزاهد إلى الله، ما أحوج السالك في نهج التصوف إليها بالإضافة إلى ذلك كله أن الحسن البصري كان يتلمس طريقه إلى الله مستعينا بالمثل الأعلى الذي وجده عند الصحابة جميعا، فلا شك أن هؤلاء الصحابة هم الذين كانت الدنيا أهون على أحدهم من تراب قدميه، بل أهون من جناح بعوضة، كما جاء في الأثر، و هم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة. ويقول الحسن:" لقد رأيت أقواما يمسي أحدهم وما يجد عنده إلا قوتا فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني لا أجعلن بعضه لله – عز وجل- فيتصدق ببعضه وإن كان أحوج مما يتصدق به عليه "[2]. بل يمكن لنا أن نحدد بوضوح أدق وصف وأبلغه لهؤلاء الأمجاد من الصحابة من خلال وصف الطوسي لهم: " أنهم لازموا الكد والعبر ... وصبروا على مدة الأجل القصير عن متاع الغرور الذي إلى الفناء يصير، ونظروا إلى عاقبة مرارتها ولم ينظروا إلى عاجل حلاوتها "[3]. وهكذا ألزم

[1] – السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق/ ص 194

[2] – ابو نعيم / نفس المرجع السابق / ج4 / ص 137

[3] – ابن الجوزي / المرجع السابق / ج3 / 156

الصحابة أنفسهم الصبر، وأنزلوا الدنيا من أنفسهم بمنزلة الميتة التي لا يحل الشبع منها إلا في حالة الضرورة إليها، فأكلوا منها بقدر ما يرد النفس ويقي الروح. فقد رأوا: " الدنيا نتنة وجيفة فعافوها، وزهدوا نتنها، وكم كانوا يعجبون من الآكل منها شبعا"[1].

ومن هنا يمكننا أن نتساءل عن رواد الدنيا، وإقبالهم عليها، وتهافتهم وتكالبهم عليها غير مبالين بالحل والحرمة. " أما ترى هؤلاء لا يخافون من الأكل، أما يجدون ريح النتن؟. ومن العجب حقا أن نجد قوما استعجلوا الصبر، ولم يجدوا عن الدنيا مناصا، فلم يدخل أنوفهم الريح المنتنة، لأنهم نشأوا في ريح الإرهاب النتن فلم يجدوا نتنه, ولم يعرفوا أذاه، فعاشوا فيه ما عاشوا ولم يجدوا عنه بديلا" [2]. هنا يحق للحسن البصري أن يقول عن نفسه حين صور لنا حياة الصحابة بكل ما فيها من سمات الزهد، والتصوف الحقيقي القائم على الكتاب والسنة فيقول: " لقد أدركت أقواما ما أنا عندهم إلا لص "[3]. وهذا منه احتقارا لنفسه، وتواضعا منه للصحابة الكرام، أهل المفازة والتقى، ولهذا نراه يكثر البكاء حزنا وخوفا، حتى صار الخوف والحزن سنة للناس جميعا, مؤكدا ذلك بقوله في وصف حالة القارئ للقرآن الكريم: " والله يا بن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به، ليطولن في الدنيا حزنك ويشتد في الدنيا خوفك، وليكثرن بكاؤك "[4]. ولا شك في أن علة الخوف عند الحسن البصري هو ما ذكره القرآن من مشاهد يوم القيامة وليس هذا فحسب، بل كان سببه أيضا هو الحزن على قصر الحياة فدفعه ذلك إلى الخوف من الموت، فكان يجزع أشد الجزع عند التأمل فيه، يراه مخيفا قاسيا، وخوفه لم يكن من الموت من حيث هو, بل مما بعده من الوقوف أمام الديان، وقد أداه هذا الخوف إلى التشوق إلى الحياة الزاخرة إلى الخلود السرمدي في حضرة الله تعالى وفي جنانه ونعيمه فنجده يصف الدار الدنيا بأنها: " قاتلة للنفوس جميعا فلا تبقي أحدا ولا تذر، فعجبا أن يتعلق بهاالمتعلقون، ويفرح بها الفرحون وليست هي إلاوهما

[1] – د / سامي النشار / نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام / الاسكندرية 1970 / 3 / 13-14
[2] – ابو نعيم / نفس المرجع السابق / 4 / 137 - 138
[3] – ابن الجوزي / المرجع السابق / 3 / 156
[4] – ابن الجوزي / المرجع السابق / 3 / 156

وسرابا"[1]. ولذا كله يرى الحسن البصري المحزون الباكي الخائف، أن أهم خطوة في طريق الزاهد والمتصوف هو: تصفية النفس، وهذه التصفية تقوم على إحياء القلب وصلاحه، والقلب هو المسيطر على الجوارح، وهو الذي يسبب الدمعة الغاسلة للخطايا.

وهنا يقول ابن الجوزي عن الحسن البصري مادحا له: "بينما كان الحسن في المسجد إذ أخذ يتنفس نفسا شديدا وبكى حتى ارتعدت منكباه ثم قال:"لوأن بالقلوب حياة، ولوأن بالقلوب صلاحا لأبكيتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة، ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر منه، عورة بادية، وعين باكية من يوم القيامة "[2].
حينئذ يضع الحسن البصري لتلامذته ومريديه أصول العبادة الحقة القائمة على محاسبة النفس فيقول لهم:" أن المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله – عز وجل– وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة "[3]. بل يؤكد الحسن البصري لتلامذته: " أن المؤمن في وثاق القرآن؛ يحول بينه وبين التهلكة. المؤمن أسبر في الدنيا ولكنه يسعى في فكاك رقبته"[4]. بعد أن اتضح طريق التصوف عند إمام الصالحين الحسن البصري أخذ تلاميذته، ومريدوه يعمقون هذا العلم الجديد، وكانت تعاليم الشيخ هي الأساس الأول عندهم، وهي الصورة الأولى على طريق الزهد والتصوف. هذه التعاليم هي: الحزن والبكاء. الحزن على أوصاب الدنيا، وأوضارها وقصرها، والبكاء على الذنوب والمعاصي والخطايا التي غرق فيها الناس في مجتمع البصرة يومها, ولم يقف تلامذة الحسن مكتوفي الأيدي بل أخذوا على عاتقهم مهمة الوعظ والإرشاد، متمسكين بأهم جانب في التصوف وهو جانب الأخلاق والدفاع عن الدين ومبادئه. فلم يعزلوا أنفسهم عن المجتمع، كما هو حال رهبان النصارى، بل خرجوا ينذرون الناس، ويشاركون في إرساء قواعد متينة للمجتمع الإسلامي، لا يهابون بطش السلطان. وجمعوا الأموال لا من أجل

---

[1] - ابو نعيم / نفس المرجع السابق / 4 / 138 - 139

[2] – ابن الجوزي / المرجع السابق / 3 / 157

[3] – ابن الجوزي / المرجع السابق / 3 / 158

[4] – ابن الجوزي / المرجع السابق / 3 / 158

شهواتهم بل من أجل خدمة الإسلام و المسلمين، كما كان يفعل الخليفة الثالث عثمان بن عفان, ولكن كان ذلك بصورة مختلفة إلى حد ما. فهذا هو أول تلميذ للحسن البصري.

2 – مالك بن دينار:

لقد كان وفيا لشيخه فاقتفى أثره في مسلك الزهد، والإعراض عن الدنيا،كان يدخل على الحكام يعظهم ويقبل هداياهم، ثم يفرقها على الفقراء ويعتق بها الرقيق، وكان يعاتبه في ذلك " محمد بن واسع ". التلميذ الآخر للحسن البصري الذي تحرج كلية عن الدخول على أمراء البصرة. حينئذ يسأل محمد بن واسع، مالك بن دينار : "مالك قبلت جوائز السلطان؟. فأجابه مالك : سل جلسائي، فقالوا: يا أبا بكر اشترى بها رقابا اعتقهم فقال له محمد بن واسع: أنشد الله أقلبك الساعة له على ما كان قبل أن يجزيك قال اللهم لا قال: ترى أي شيء دخل عليك ؟. فقال مالك لجلسائه إنما مالك حمار إنما يعبد الله مثل محمد ابن واسع "[1]. وهكذا يضرب مالك بن دينار لتلامذته مثلا رائعا في التواضع حين فضل صديقه على نفسه، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل كان مالك بن دينار لا يخشى أمراء البصرة فكان يدخل عليهم ويعظهم ويخوفهم من عذاب النارويفعل نفس الشيء مع أصحاب العشوروالخراج، ويتشدد معهم لكي يمنع آذاهم عن الناس. وكان أساس هذا الطريق الذي اختص به الصوفية والزهاد والعباد من المسلمين هو القرآن الذي يحملهم على ذكر الله، وعدم التكالب على الدنيا، حينئذ يخاطب المسلمين قائلا: " يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم، فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض فإن الله ينزل الغيث من السماء على الأرض فيصيب الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر, فيا حملة القرآن ماذا زرع الله في قلوبكم"[2].ولما كان اهتمام مالك بن دينار مرتبطا بالقرآن، فإنه كان يكثر دائما من الذكر بإعتباره وسيلة ناجحة في الوعظ والإرشاد، والتمسك بالمبادئ الأخلاقية، ولهذا نراه يشير في مواقف متعددة إلى آيات من التوراة حيث يقول:" قرأت في

---

[1] – ابن الجوزي / المرجع السابق / 3 / 192

[2] – ابن الجوزي / المرجع السابق / 3 / 197

التوراة أيها الصديقون:تنعموا بذكر الله في الدنيا فإنه لكم في الدنيا نعيم،وفي الآخرة جزاء عظيم"[1].

ثم يقول على لسان التوراة : " سبحوا الله أيها الصديقون، بأصوات حزينة. يا ابن آدم : لا تعجز أن تقوم بين يدي في صلاتك باكيا، فإني أنا الذي اقتربت لقلبك، وبالغيب رأيت نوري"[2]. واهتمام مالك بالذكر جعله يؤكد للعلماء والعباد بأن حب الدنيا يخرج من قلب العالم بحلاوة ذكر لله، لقوله تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)[3] وقوله تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًاوَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[4]

---

[1] – ابو نعيم / نفس المرجع السابق / 2 / ص 358 - 360

[2] – ابو نعيم / نفس المرجع السابق / 4 / ص 359 – 360

[3] – سورة ق / الآية 45

[4] – الذاكرون الله كثيرا والذاكرات، يقول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الأحزاب:44 ويقول الله تعالي: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)البقرة :و 152 يقول النبي – صلي الله عليه وسلم: (سبق المفردون) قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: (الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) مسلم / وعندها تتحقق معية الله لعباده الذاكرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله : سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم– يقول: (قال ربك عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه) رواه أحمد ومن يحقق ذلك ينأي عن حسرة يوم القيامة وإن كان من أهل الجنة فعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – (ليس يتحسر أهل الجنة إلا علي ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها) الطبراني / ولذا كان من جواب النبي صلي الله عليه وسلم على سائله : أي الأعمال أحب إلي الله عز وجل بقوله : (أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل) ولكن..... أين القلب من الذكر ؟ يقول الحليمي في المنهاج : المراد بالذكر ليس هو الذكر باللسان وحده، ولكنه جماع اللسان والقلب، والذكر بالقلب أفضل من الذكر باللسان، لأن الذكر باللسان لا يردع عن شئ، والذكر بالقلب يردع عن التقصير في الطاعات والتهافت في المعاصي والسيئات، وكان أبو الدرداء يكثر من قوله : إن لكل شئ جلاء وجلاء القلوب ذكر الله عز وجل، وفيما رواه مسلم قول النبي – صلي الله عليه وسلم– (لا يقعد قوم يذكرون الله إلاحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) وكلها آثار لا تتحقق إلا في القلب، فلنداوم علي ذكر الله، و من المداومة علي الذكر ألا ينقطع من مكان لآخر، ولا يرتبط بمكان معين سواء كان في العمل أو البيت أو المسجد ، فيما رواه البخاري ومسلم : عن أبي موسي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر فيه مثل الحي والميت) ومن المداومة علي الذكر كذلك ، ألا ينقطع بحال من الأحوال ، فيما رواه الترمذي عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – قال: (من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ، ومن قام مقاما لم يذكر الله فيه كانت عليه ترة، ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة) بالذكر تغلب الشيطان ، صراع الشيطان مع الذكر محله القلب والغلبة للذاكرين، فعن أنس أن النبي– صلي الله عليه وسلم– قال: (إن الشيطان واضع خطمه في قلب ابن آدم فإذا ذكر خنس وإذا نسي التقم قلبه) أبو نعيم في الحلية/ وقد وجب ذلك على العبد أن يحافظ علي الذكر في قلبه، لأنه مازال يذكر حتي يبرئ من النفاق لقوله – صلي الله عليه وسلم – (إنه ليغان على قلبي وأني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) رواه مسلم ومن علاجات الإمام الحسن البصري، أن جاءته امرأة فقالت : يا أبا سعيد إني إذا أتيت الذكر رق قلبي، وإذا تركته أنكرت نفسي قال: اذهبي حيث يصلح قلبك ويوم أن جاءه رجل يقول : يا أبا سعيد أشكو إليك قساوة قلبي قال : أذبه بالذكر، و من تذوقات الذاكرين قول مالك بن دينا: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل .

وقوله سبحانه وتعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْوَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون ِ)[1]

مبحث الثالث

من حياة الصوفية

وبه أربع مطالب :

المطلب الأول: الصوفية والعبادة

المطلب الثاني: الصوفية

والتكاليف الشرعية

المطلب الثالث: الصوفية والعلم

المطلب الرابع: الصوفية والعمل

[1] – سورة البقرة / الآية 152

المطلب الأول: الصوفية والعبادة.

إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفضله على كثير ممن خلقه ليكون عبدا لله رب العالمين، ذلك لأن الإنسان لا يتأتى له أن يلج باب الله، أو يسير في الطريق إليه، إلا بالعبودية الخالصة لله وحده لا شريك له. قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[1]، فإذا خلصت العبودية لله سبحانه، وأصبح الإنسان من عباد الله الأصفياء وحقق بذلك مضمون قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[2] فإن الله – سبحانه – لا يجعل للشيطان عليه سبيلا، مصداقا لقول لله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا)[3]. وعليه إذا حقق الإنسان العبودية لله، فإن الله يتولاه بإمدادات من المعرفة، إنه سبحانه يقول عن موسى وفتاه: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَاوَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)[4] إنه حقق مفهوم العبودية؛ فكان ثمرة ذلك أن غمره الله بالرحمة وأفاض عليه أنواره، وفتح له منابع العلم والحكمة. وليست المعرفة وحدها هي ثمرة التحقق بالعبودية، بل إن للتحقق بالعبودية ثمارا كثيرة سامية. فأيوب – عليه السلام – يقول الله عنه: (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[5]. لقد طال مرض أيوب حتى بلغ منه الجهد مبلغه، ولكنه صبر وثبت وشكر, لسانه رطب بذكر الله تعالى، حتى رفع الله عنه البلاء وجعله أوابا، شأنه في ذلك شأن

---

[1]– سورة والذاريات / الآية 56.

[2] – سورة الفاتحة / الآية 5.

[3] – سورة الإسراء / الآية 65.

[4] - سورة الكهف / الآية 65.

[5] – سورة ص / الاية 41 ،42 ،43 ، 44

إخوانه من الأنبياء والرسل منذ آدم إلى سيدنا محمد – عليهم السلام–ولكنهم صبروا على ما أوذوا حتى جاءهم نصر الله.

وقد حقق سيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم– العبودية كاملة وتامة. فكانت صلاته وكانت نسكه، وكانت حياته بأكملها، وكان موته لله رب العالمين لا شريك له مصداقا لقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)[1]. رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سيد ولد آدم في العبادة، والأخلاق، فأتاه الله عز الدنيا و الآخرة. ومتابعة لرسول الله – صلى الله عليه و سلم – و اقتداء به، سار الصوفية على سنته وهديه. يقول السهروردي في وصفه للصوفي: " الصوفي: هو الذي يكون دائم التصفية، لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار، بتصفية القلب عن شوائب النفس و يعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقارينقى من الكدر، وكلما تحركت النفس، وظهرت بصفة من صفاته أدركها ببصيرته النافذة، وفر منها إلى ربه. فبدوام تصفية جمعيته وبحركة نفسه وتفرقته كدره فهو قائم بربه على قلبه، و قائم بقلبه على نفسه. قال الله تعالى: (كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ)[2]. وهذه القوامة لله على النفس هي التحقيق بالتصوف "[3]. و يقول في موضع آخر: " و الصوفي يضع الأشياء مواضعها، ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم، ويقيم أمر الحق مقامه, ويستر ما ينبغي أن يستر، و يظهر ما ينبغي أن يظهر، و يأتي بالأمور في مواضعها بحضورعقل وصحة، وتوحيد، وكمال معرفة، ورعاية صدق واخلاص"[4] . فالسهروردي من خلال هذا التشخيص والبيان لما ينبغي أن يكون عليه الصوفي، من صفاء القلب وهدوء البال ومعالجة النفس، ونظرته وتقديره لمختلف الأمور المتعلقة بالخالق والمخلوق. يبين لنا بأن العبادة كل متكامل، وهي متضمنة لجميع أركان

---

[1] – سورة الأنعام / الآية 162 .

[2] – سورة المائدة / الآية 8

[3] – السهروردي / عوارف المعارف / دار الكتاب العربي لبنان / ط 2 / 1983 / ص 58 بتصرف

[4] – السهروردي/ نفس المرجع السابق / ص 132 .

الإسلام وقواعده " عقيدة، وشريعة وأخلاقا " كما بين ذلك المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في سيرته بالقول والفعل والإقرار. فالصوفية أدركوا ذلك، وفهموا أن العبادة كما تكون في المحراب، تكون على ظهر الجواد، ولأجل ذلك أخذوا أنفسهم بالتأسي بالرسول– صلى الله عليه و سلم – فيما دق من الأمور وما جل منها، وفي اليسير من أعمالهم والعظيم منها –كيف لا وهو إمام الأنبياء وسيد الشهداء – ومن أمثلة ذلك: الجهاد في سبيل الله، بالنفس والنفيس ذلك لأن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، فالمجاهدون بصدق، الشهداء منهم مع الأنبياء والصديقين وحسن أولائك رفيقا. وعليه فإن طبيعة البحث لا تسمح لنا بالتعرض بإسهاب لجهاد الصوفية — بإعتباره أعلى مراتب العبادة بمفهومها الشامل– ومعانقتهم للسيوف في سبيل نصرة الحق، وإزهاق الباطل، ولكننا نكتفي هنا ببعض النماذج من حياة بعضهم: كان "شقيق البلخي"[1]. وهو من قمم الصوفية الشامخة يسارع إلى خوض المعارك لا يبالي على أي جنب كان في الله مصرعه. أنظر إليه خائضا المعارك, محاربا العدو, مسلحا بإيمانه، وثقته في الله، وعدته الحربية، شاهرا سيفه, فارسا بكل ما تتطلبه كلمة الفروسية من معنى, هادئا مطمئنا، كامل الثقة بالله. ولقد وصلت ثقته بالله إلى حد أنه – وهو لا يرى إلا سيوفا مصلتة، ورقابا تقطع ورؤوسا تتساقط – يقول لمن بجواره في هذا الجو: كيف ترى نفسك ؟. ترى نفسك في سعادة شبه سعادتك في الليلة التي زفت فيها امرأتك إليك ؟. فأجابه الذي بجواره: لا، والله. فقال شقيق: لكني والله، أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زفت فيها امرأتي إلي لقد كان سعيدا بجهاده، ومات شهيدا في معركة الشرف والبطولة في ساحة الجهاد. وشخص أخر– هو من قمم الصوفية أيضا إنه "حاتم الأصم"[2] كان يدخل المعارك ويخوضها من غير خوف ولا فزع. لقد كان كيانه كله في ثقة مطلقة بالله، وهذه الثقة تتجلى حينما أخذوه أسيرا, وطرحوه أرضا وجثم العدو على صدره ليذبحه, في هذه الحالة يصف شعوره، فيقول:" لم يشتغل قلبي بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى في فبينما هو يطلب السكين التي يذبحني

[1] – هو أبو علي شقيق بن إبراهيم ت 194 ، من مشائخ خرسان ، تلميذه حاتم الأصم

[2] – هو أبو عبد الرحمان حاتم بن علوان المعروف بالأصم من أكابر مشائخ خرسان

بها أصابه سهم فقتله وقمت سليما معافى"[1]. قام سليما معافى ليعاود المعركة من جديد. وإذا تصفحنا التاريخ فإننا نجد كبار المؤمنين، وصفوة الصوفية في قلب المعركة.

لقد تركوا بيوتهم وأسرهم, وهبوا مندفعين ملبين لداعي الجهاد ليساهموا في النصر والاستشهاد في سبيل الله، ولتكون الجنة تحت ظلال سيوفهم. ولقد كان أبو الحسن الشاذلي، وهو من صفوة الصفوة الصوفية قد تجاوز الستين، وكان قد كف بصره، ولم يمنعه ذلك من الخروج مجاهدا في سبيل الله أسوة بسلف الأمة، الذين كانوا يتنافسون على الخروج ويتبارون في ارتشاف المنايا حوما كالعطاش يوم الورود. وذهب الشيخ مساهما في المعركة بقدراستطاعته لقد كانت المعركة شغله بالنهار، وشغله بالليل، لقد كانت تشغله مستيقظا فيمر بسمته الوقور- والنور يشرق من محياه – بين الجنود مشجعا وحاثا ومبشرا بالنصر وبالجنة. فإذا ما جن الليل أخذ يبتهل إلى الله سبحانه وتعالى متضرعا خاشعا, راجيا التوفيق والنصر للأمة الإسلامية أسوة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وإلحاحه في الدعاء في ساعتي: العسر واليسر. وفي ليلة من الليالي رأى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – في رؤيا طويلة وأصبح – رضي الله عنه – يبشربالنصر. ولم تكن هذه الموقعة الأولى التي أسهم فيها "أبو الحسن الشاذلي"[2] – رضي الله عنه – إذا تصفحنا تاريخ الصوفية- مرة أخرى- وجدنا الصوفي الشهير: "الأمير عبد القادر"[3] الجزائري كان من كبار الصوفية،

---

[1] – المقريزي/ السلوك لمعرفة دول الملوك / دار الكتاب القاهرة / 1996 م/ /1 198/ انظر : عوارف المعارف/ ص 208

[2] – هو من مواليد 571هـ بقبيلة الاحماس المغربية، انتقل إلى تونس ، اخذ بيعة الصوفية على شيخه عبد السلام مشيش ، رحل إلى مصر وتوفي بصحراء مصر قي طريقه إلى مكة سنة 656 هـ ، شارك في معركة المنصورة في عهد الملك الأيوبي نجم الدين في مواجهة الحملات الصليب

3- ولد عبد القادر بالقطنة قرب معسكر عام 1808م، تلقى تربيته بالزاوية التي كان يتكفل بها أبوه محي الدين ثم تابع دراسته بأرزيو و وهران على يد علماء أجلاء حيث أخذ منهم أصول العلوم الدينية، الأدب العربي، الفلسفة التاريخ الرياضيات، علم الفلك و الطب. وكان على علم و دراية تامين بعلماء أمثال أفلاطون، أرسطو، الغزالي، ابن رشد كما تبينه كتاباته. وقد تفانى طوال حياته في تجديد علمه و إثراء ثقافته. وفي عام 1826 عمره لم يتعد الثامنة عشر،يقوم بمعية والده برحلة نحو البقاع المقدسةلأداء فريضة الحج ليتجه بعدها لبغداد قصد زيارة ضريح الولي بعبد القادر الجيلاني، مؤسس جمعية القادرية التي تضم زاوية القطنة. مما يسمح لهما بالابتعاد عن سيطرة باي وهران الذي كان متخوفا من النفوذ العقائدي الذي كان يتسم به كل من محي الدين و ابنه عبد القادر. بعد الاستيلاء على مدينة الجزائر عام 1830م من طرف الفرنسيين، شارك محي الدين وابنه عبد القادر المقاومة الشعبية التي خاضها الأهالي الجزائريون. و قد أثبت خلالها عبد القادر شجاعة

ومن كبار القادة في ساحة الوغى ولقد حارب الاستعمار في الجزائر، وفعل بإيمانه القوي، وصوفيته العميقة الأفاعيل وضرب أروع المثل في الشجاعة والإقدام، ولقد بدأ الحرب بأفراد قلائل, سرى إيمانه وإقدامه فيهم، فتمثلت فيهم البسالة في أسمى مظاهرها وأعظم معانيها، وأخذ عددهم يزداد شيئا فشيئا على مر الأيام. أما أسلحتهم : فقد كانت ما يحصلون عليه من أسلحة العدو. ولقد وجه الأميرعبد القادر النداء تلو النداء للأمة الإسلامية من أجل الدعم بالعتاد فكانت المساعدات التي قدمت إليه لم تكن في مستوى التطلعات التي كان يصبو إليها وأن الأمير بجهاده قي الحقيقة كان على ثغر من ثغور الأمة الإسلامية. لقول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[1] وقوله تعالى: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)[2].إن على الأمة الإسلامية أن تقوم بالنصرة وتدعيم أواصرالأخوة مصداقا لقوله تعالى:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[3] ولقوله – صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله)[4] وقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[5] و (مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى)[6].

ولم يثن كل ذلك الأمير عبد القادر عن مواصلة الجهاد والكفاح ضد المستعمر، وحينما أسر كرمه الأعداء أنفسهم لشجاعته وشهامته ومروءته، ولما حالت الظروف القاهرة بينه

وحنكة نادرتين. تجتمع بعدها قبائل المناطق الغربية لاختيار قائد لها يدافع و إياهم على البلاد حيث يقع اختيارهم على محي الدين. غير أن هذا الأخير يعتذر بسبب سنه المتقدمة و يقترح، بدلا منه ابنه عبد القادر الذي و بإقبال كبير يبايع أميرا عليهم في تجمع ضخم بتاريخ 21 نوفمبر 1832م/ أنظر: د/ سعد الله / آراء حول تاريخ الجزائر .

[1] – سورة الانبياء / الآية 91.

[2] – سورة المومنون / الآية 53 .

[3] – سورة الحجرات / الآية 10 .

[4] – رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة . رضي الله عنه .

[5] – رواه البخاري ومسلم من النعمان بن بشير

[6] – رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري

وبين الجهاد والتضحية – وذلك بعد الأسر– مكث في دمشق يدرس التصوف متخذا "الفتوحات المكية "[1] كتابه المفضل في الشرح و التفسير.

وفي أثناء إقامته بدمشق، ألف كتاب "المواقف" وهو كتاب في التصوف عريق بين فيه وجهة النظر الصوفية في مختلف الموضوعات. إذن من خلال هذا العرض الموجز لبعض مواقف الصوفية تتضح لدينا جملة من النتائج:

– أن أهل التصوف السني، هم أهل كتاب وسنة.

– أن التصوف المشروع، لا يدعو للعزلة والإنكماش.

– أن التصوف يحث على التضحية والفداء.

– أن التصوف أعلى درجات الإيمان، ومن مراتب ألاحسان .

فهذه المعاني كلها تؤكد لنا بأن التصوف الحقيقي إنما هو من صميم الدين. وأن التصوف كان عمليا موجودا في عهد الصحابة والتابعين. وأن العبرة بالفعل والقصد ولا مشاحة في الأسماء والمصطلحات وإن تعددت وتنوعت. فإذا نظرنا لما صدر من صفوة الصوفية من أفعال وسلوكات، ثم عرضناها على الكتاب والسنة، وقارناها بسيرة السلف الصالح للأمة لم نجد فيها فعلا محظورا، ولا أمرا مخالفا لأصل الإسلام وقواعد الإيمان.

[1] - هو من تأليف الشيخ محيي الدين بن عربي المعروف بـ (الصوفي) أو (الشيخ الأكبر) تمييزا له عن ابن العربي المالكي القاضي، شغل أقلام الباحثين ما بين مادح وذام، وذلك لما كان عليه من مقام عظيم يوجب المدح، ولما ورد في كتبه من شطحات قد توجب الذم . أما هذه الشطحات فهي إما من دس الحاسدين عليه – وقد وقع ذلك كثيرا– أو من العبارات العالية والمصطلحات الخاصة التي لا يفهمها إلا أهلها لذا فإن القراءة في هذا الكتاب يجب أن تسبق بالتعمق في العقيدة . أما كتابه هذا فقد قسمه إلى ست فصول : 1– المعارف، 2– المعاملات، 3– الأحوال، 4 - المنازل، 5– المنازلة، و 6 – المقامات.

المطلب الثاني : الصوفية والتكاليف الشرعية

أما فيما يتعلق بالتزام الشريعة، فإننا نبتدئ بذكر كلمة للإمام و الفقيه الأصولي المفسر الاسفراييني صاحب كتاب : " التبصير في الدين" و هو من أئمة أهل السنة المعنيين أشد عناية بالرد على كل من يخالف مذهب أهل السنة، إنه يذكر ما يمتاز به أهل السنة عن غيرهم من الخوارج والروافض والقدرية. فيذكر أن ما امتاز به أهل السنة هو: "علم التصوف و الإشارات، ومالهم فيها من الدقائق والحقائق، لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ، بل كانوا محرومين مما فيه: من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة "[1]. وقد ذكر "أبو عبد الرحمن السلمي"[2] من مشايخهم ما يقرب من ألف، وجمع إشاراتهم وأحاديثهم. ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب إلى شيء من بدع القدرية والروافض والخوارج، وكيف يتصور فيهم من هؤلاء، وكلامهم يدورعلى التسليم والتفويض والتبري من النفس، والتوحيد بالخلق والمشيئة. وأهل البدع ينسبون الفعل والمشيئة والخلق والتقدير إلى أنفسهم، وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد يقول الإمام الغزالي متحدثا عن المجاهدة في تخلية النفس وتحلية القلب: "إن الطريق إلى ذلك إنما هو: تقديم المجاهدة، أو محو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها والإقبال بنكهة الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم. و إذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب و انشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت، و انقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق

---

[1] – ابو مظفر الاسفراييني/ التبصير في الدين / تق: محمد زاهد الكوثري / القاهرة / ص16

[2] – عبد الرحمان السلمي/ طبقات الصوفية / تق: كمال يوسف الحاج / مصر 1983 م / ص132 م

الأمور الإلهية، فليس على العبد إلا الإستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة، والتعطش التام، والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة "[1].
فهذه الفتوحات الربانية إنما هي محض منح وعطايا من الله تعالي لمن اتبع أمره، واجتنب نهيه، وحد حدوده، وجاهد نفسه وحملها على السير في مسالك الطاعات.

وعن هذا يقول ابن خلدون: "و قد كان الصحابة– رضي الله عنهم – على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية "[2].
وفي فضائل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي – رضي عنهم – كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيرى علي ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم. بعد هذه التوطئة الموجزة عن مكارم القوم والتي كانوا يتجنبون الحديث عنها إنما أردنا من خلال الإشارة إليها أن نلفت الإنتباه إلى ما كان عليه أهل التصوف من صفاء السريرة, وصلاح السيرة وما كان لهم ذلك إلا بالتزام الشريعة. يقول أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : " من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فهو بدعي إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تعبا به"[3]. ومن أجمل كلماته في هذا قوله: " ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان، ومتابعة السنة، فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفترکذاب أو ذوخطأ في العلم والعمل بالصواب, كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب, وخلع الرضا"[4]. وكل الصوفية انتهجت هذا المنهج ومن هؤلاء مثلا: أبو يزيد البسطامي الذي يقول في قوة حاسمة, وفي منطق صادق: " لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود و أداء الشريعة"[5]. ولقد تحدث الإمام الجنيد أكثر من مرة فيما يتعلق بالصلة بين التصوف والشريعة، ومما قاله في ذلك:

---

[1] – الغزالي / المنقد من الضلال / مقدمة في قضية التصوف / تق: عبد الحليم محمود / القاهرة 1963 م / ص 40
[2] - ابن خلدون / المقدمة / تق : د/ عبد الوافي / القاهرة 1957م / 312
[3] – د/ عبد الحفيظ فرغلي / التصوف والحياة المعاصرة / المطابع الاميرية / القاهرة 1984م / ص 179
[4] – د/ عبد الحفيظ فرغلي / نفس المرجع السابق / ص 179
[5] – عبد الرحمان السلمي/ نفس المرجع السابق / مصر 1983 م / ص27 م

" الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول – صلى الله عليه وسلم – واتبع سنته، ولزم طريقته، ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب و السنة "[1]. فهذه الشهادات من أعلام الصوفية خير دليل على مدى تمسكهم بالإسلام " شريعة وعقيدة، وأخلاقا", وأن ما اتهموا به إنما هو محض افتراء, وتجن على الصوفية والتصوف وأن من يدعي الإنتساب إليهم وهو على غير الكتاب والسنة فهم منه براء. ولقد كان الإمام الغزالي في سلوكه و في قوله وفي حياته الخاصة والعامة يلتزم الشريعة و يقول:

"إن المحققين قالوا: لورأيت إنسانا يطير في الهواء, ويمشي على الماء، وهو يتعاطى أمرا يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان"[2]. والواقع أن المثل الأعلى للصوفية على بكرة أبيهم إنما هو رسول الله – صلى الله عليه و سلم – وهم حريصون على أن ينهجوا نهجه وأن يسيروا على منواله, فهو إمامهم الأسمى في كل ما يأتون وما يدعون، وهم يتابعونه مهتدين في ذلك بقول الله سبحانه وتعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[3]. فقد تبين مما سبق أن الطريق إلى الله هو التحقق بالعبودية في أعلى مراتبها, وهي درجة الإحسان التي يشعر فيها العبد بمراقبة الله في كل حال كما جاء في الحديث الشريف عند السؤال عن الإحسان:

(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[4]. وقد سار الصوفية في هذا الطريق، فأثمر لهم ثمارا سامية كثيرة: منها إلتزام الشريعة والذود عن حياضها.

---

[1] – عبد الرحمان السلمي/ نفس المرجع السابق / مصر 1983 م / ص27 م

[2] – عبد الفتاح محمد سيد احمد / التصوف بين الغزالي وابن تيمية / دار الوفاء / ط1 / القاهرة 2000م / ص 170

[3] – سورة الاحزاب / الآية 21

[4] – رواه البخاري من حديث عمر، و هو أعلى مراتب الاسلام.

المطلب الثالث: الصوفية والعلم

وقد أردنا من خلال هذا أن نذكر بأن الصوفية أهل عبادة، وعبادة الله لا تكون على جهل. وعليه يقتضي ذلك أن يكون الصوفية جهابذة في العلم الرباني، فهم يمثلون العلم الإسلامي في قمته, وفي جميع فروعه: في الفقه، وفي التفسير، وفي الأخلاق. وإذا أردنا أن نتحدث عن القمة العلمية الشامخة التي لا تضارع فيما اجتمع لديها من علوم مدروسة ومحكمة؛ فيها الإتقان، والإبداع والإستنتاج, والتبصر المدرك الواعي للعقل الحصيف, أعني شخصية الشيخ الأكبر" محي الدين"، فإن الحديث عنها يستغرق مجلدات وإن مقارنات مؤرخي الفكر بين الشيخ الأكبر وغيره من الغربيين والشرقيين تصعد به إلى القمة.

والشيخ الأكبر يذكرنا دائما بحجة الإسلام الغزالي الذي جمع في إحيائه أربعين كتابا كل منها له استقلاله، وله ذاتيته، وألف منها- بإحكام محكم- كتابه" إحياء علوم الدين "

ولقد انهار تحت قلمه في سهوله ويسر عباقرة الفكر الفلسفي فتهافتوا وانهاروا، وأتى عليهم كتابه النفيس "تهافت الفلاسفة " فأخمد حجة الإسلام تهافت الفلاسفة على الشرق الإسلامي. و للإمام الغزالي: " أكثر من ثمانين كتابا ورسالة في الأصول والفقه والتوحيد و الفلسفة والتصوف. ولا تزال كتبه تقرأ وتتداول. ولازال حديثنا مستمرا بشأن المكانة العلمية للصوفية, وهذا الجنيد: لقد كان الكتاب اللغويون والأدباء يحضرون مجلسه لألفاظه، والفقهاء لتقريره، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه، والمتكلمون لتحقيقه، والصوفية لإشاراته وحقائقه. يقول صاحب الرسالة القشيرية عنه : "وكان فقيها على مذهب أبي ثور وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة "[1].

و يروي الإمام القشيري عن أبي الحسين علي بن ابراهيم الحداد يقول: "حضرت مجلس القاضي أبي العباس بن شريح فتكلم عن الفروع و الأصول بكلام حسن، عجبت منه

[1] – د / عبد الفتاح محمد سيد احمد / التصوف بين الغزالي وابن تيمية / دار الوفاء / ط1/ القاهرة 2000م / ص 170

فلما رأى إعجابي قال: أتدري من أين هذا ? قلت: يقول به القاضي. فقال: هذا ببركة مجالسة أبي القاسم الجنيد "[1].

وإذا ذكر الجنيد ذكر أستاذه: "الحارث المحاسبي" وقد كان الحارث متفقها في الدين والعربية كأحسن ما يكون الفقيه لقد كان فقيها، وكان محدثا، وكان متكلما، وكان عالما في الأخلاق، وكان صوفيا، ولقد أسهم بقوة في حل المشاكل التي وجدت في عصره باحثا و مرشدا ومجادلا بالتي هي أحسن وهاديا إلى الحق، والحق في نظره هو ما كان عليه الرسول – صلى الله عليه و سلم – و أصحابه. وألف المحاسبي الكثير من الكتب في شتى مجالات العلوم. وليأخذ الإنسان الصوفي من هؤلاء الذين ذكرهم السلمي في طبقاته أو الذين ذكرهم القشيري في رسالته، أوالذين تحدث عنهم صاحب الحلية، فسيجد أنهم قوم اتخذوا من العلم عبادة، وعكفوا على دراسته تقربا إلى الله سبحانه. و ما كان علم الكتب هو غايتهم الأخيرة، و إنما مع علم الكتب كان طموحهم إلى العلم الوهبي أو اللدني أو الإلهامي, وهو العلم الذي يمنحه الله لبعض عباده الصالحين، العلم الذي سافر موسى– عليه السلام – لأجله وتحمل المشقة والمعاناة ليلتقي مع عبد من عباد الله تعالى, علمه الله تعالى من لدنه علما قال سبحانه عن موسى وفتاه : (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)[2].

هو علم يمنحه الله لمن حقق له العبودية. ولأن هذا العلم الرباني هو مطمحهم ومبتغاهم فإنه لا يتأتى إلا بإخلاص العبودية لله، ولأن إخلاص العبودية لله، لا يأتي كذلك إلا بأن يكون الإستغراق في العمل بنية التقرب " صلاة، وذكرا، و صياما " من الأسس الجوهرية في حياة الإنسان. إن الصوفية أقبلوا على العمل بعلم وبصيرة. " لقد أخذوا الكتاب بقوة وكانوا أتقياء فأفاض الله عليهم من إلهاماته واتسم ما دونوه بطابع الروحانية وبالنضرة. وكانت الصورة الحية المثالية لثمار إلهاماتهم هي كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام، و

[1] – د / عبد الفتاح محمد سيد احمد / نفس المرجع السابق /171

[2] – سورة الكهف / الاية 65

كتاب الحكم لإبن عطاء الله "[1]. ومن خلال هذا يتضح لنا أنه كان لكتبهم الأثر الكبير الواضح في الهداية على مر العصور.

المطلب الرابع: الصوفية والعمل

قد يتساءل البعض عن مكانة العمل والسعي في الأرض واكتساب الرزق في حياة الصوفية؟. لقد ذكرنا آنفا أن الصوفية أخذوا العلم مقرونا بالعمل وشكلوا بينهما تلازما فلا يذكر أحدهما إلا والآخر تبع له لقوله – عليه السلام: (لايحل لإمرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم ما حكم الله فيه)[2]. لذلك فإننا نكتفي هنا بذكربعض ألقاب الصوفية التي تتضمن الإجابة عن مثل هذا الإشكال: فلقب القصار, والوراق، والخراز والخواص ، والحلاج، والزجاجي، والحصيري, والصيرفي، والمقرئ، ثم الفراء. كلها ألقاب مأخوذة من مهن كانت لأصحابها, كانوا يكتسبون بها أرزاقهم أسوة بالأنبياء – عليهم السلام – فقد كان المسيح نجارا،كما رعى رسولنا محمد – عليه وعلى سائر الأنبياء والرسل أفضل الصلاة وأزكى السلام – الغنم لقريش على قراريط.

ولقد كان الصوفية كغيرهم منهم الفقير، ومنهم الغني،، ومنهم العازفين عن الثراء العريض ومنهم أصحاب الثروات التي يؤدون فيها حق الله, وينفقون منها في سبيله على السائل والمحروم قال تعالى: (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)[3]. وأنهم أحرص الناس على ايتاء حق المال يوم حصاده كما قال عنهم الله تعالى في محكم تنزيله: (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)[4]. وهذا مثلا أبو الحسن الشاذلي– رضي الله عنه – وهو من صفوة الصفوة الصوفية، كانت له مزارع. ونقول مزارع بالجمع، لنتابع في هذا التعبير حديث المؤرخين عنه وكان له حصاد ودراس، وكانت له ثيران وكان يتاجر، ومن دعائه المشهور: "اللهم وسع علي رزقي في دنياي، ولا تحجبني بها عن أخراي، اللهم اجعلها في أيدينا ولا

---

[1] – د / عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق /19

[2] – رواه ابو داوود والترمذي

[3] – سورة المعارج / الآية 24 ، 25

[4] – سورة الانعام / الآية 142

تجعلها في قلوبنا "[1]. والفرق بين الصوفية وغيرهم في هذا هو أن الدنيا لا تستعبدهم وإنما تستعبد غيرهم. أنهم لا يلقون بقيادتهم إلا لله سبحانه وتعالى فلا يلقون بقيادتهم إلى مال, أو جاه أو منصب أو رياسة, أو غير ذلك مما يذل له أهل الدنيا، و أهل الأهواء الذين يتخذون دنياهم وأهواءهم آلهة يعبدونها من دون الله

إنهم أغنياء أو فقراء تحققوا بقوله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)[2]. وابن عطاء الله السكندري يقص علينا قصة ثري صوفي تحقق بالآية القرآنية الكريمة, فلم يمنعه ثراؤه الضخم العريض أن يكون صوفيا. يقول ابن عطاء الله: " قال بعض المشايخ كان رجل بالمغرب من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجهاد والإجتهاد وكان عيشه مما يصيده في البحر, وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا الشيخ: إذا دخلت إلى بلد كذا فاذهب إلى أخي فلان فأقرئه مني السلام، وتطلب الدعاء منه لي فإنه ولي من أولياء الله تعالى. قال: فسافرت حتى قدمت تلك البلدة، فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك, فتعجبت من ذلك, وطلبته فقيل لي: هوعندالسلطان فازداد تعجبي، وبعد ساعة وإذا هوآت في أفخر ملبس ومركب وكأنما هو ملك في موكبه. قال: فازداد تعجبي أكثرمن الأول قال: فهممت بالرجوع وعدم الإجتماع به، ثم قلت: لا يمكنني مخالفة الشيخ فاستأذنت فأذن لي فلما دخلت رأيت ما هالني من العبيد، والخدم، والشارة الحسنة. فقلت له: أخوك فلان يسلم عليك. قال: جئت من عنده، قلت : نعم، قال: إذا رجعت إليه قل له إلي كم اشتغالك بالدنيا وإلي كم إقبالك عليها, وإلي متى لا تنقطع رغبتك فيها؟. فقلت: هذا والله أعجب من الأولى, فلما رجعت إلي الشيخ قال: اجتمعت بأخي فلان قلت: نعم قال: فما الذي قال لك؟. قلت: لا شيء قال: لا بد أن تقول لي فأعدت عليه ما قال فبكى طويلا وقال: صدق أخي فلان، هو غسل الله قلبه من الدنيا، وجعلها في يده وعلى ظاهره

---

[1] – رواه الترمذي وابوداوود من حديث ابي هريرة ، رضي الله عنه .

[2] – سورة الحديد / الاية 23

وأنا أخذها من يدي، وعندي إليها بقايا التطلع، آه "[1]. هذه القصة تلفت انتباهنا إلى أهمية القلوب التي يتوقف على اصلاحها صلاح الدارين، فهي دليل خيرات العبد، ومفاز أعماله، لقوله – عليه السلام:

(ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسدكله)[2]

وليس عيبا أن يملك الرجل الصالح المال الوفير، بل الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: (نعم المال للرجل الشاكر)[3]. وقال:(إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)[4] فهذا الولي الغني الذي ورد ذكره في سياق القصة الآنفة، قد فقه الحديث وعمل بمقتضاه؛ فأظهر نعم الله عليه. وهذا الإمام الشعراني متحدثا عن جرأة، وشجاعة، وقوة الحجة والبيان عند الشيخ شمس الدين الدمياطي في مواجهة السلطان المملوكي، فيقول: " ومنهم شيخنا وقدوتنا إلي الله تعالي الإمام الصالح الورع الزاهدشمس الدين كان في الجامع الأزهر أيام السلطان" قانصوه الغوري"وكان– رضي الله عنه – مهابا عند الملوك والأمراء ومن دونهم. زاهدا ورعا مجاهدا، صائما قائما آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر. وقد حضرت مجلس وعظه في الجامع الأزهر مرات فرأيته مجلسا تفيض فيه العيون, وكان إذا تكلم أنصتوا جميعهم, وكان يحضرها أكابر الدولة فكان كل واحد يقوم من مجلسه متخشعا صغيرا ذليلا, وكان إذا مر في شوارع مصر يتزاحم الناس علي رؤيته، وكان من لم يحصل ثوبه, رمى بردائه من بعيد على ثيابه، ثم يأخذ رداءه فيمسح به على وجهه. أعاب مرة على السلطان الغوري في ترك الجهاد فأرسل السلطان خلفه، فلما وصل إلى مجلسه قال للسلطان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – فلم يرد عليه – فقال: إن لم ترد السلام؛ فسقت وعزلت.فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم قال له السلطان: علام تعيب علينا بين الناس في ترك الجهاد, وليس لنا مراكب نجاهد فيها؟. فقال: عندك المال, فطال بينهما الكلام, فقال الشيخ للسلطان: قد نسيت نعم الله عليك وقابلتها بالعصيان, أما تذكر حين كنت نصرانيا، ثم أسروك وباعوك من يد الي يد، ثم من الله عليك بالحرية والإسلام، ورقاك إلي أن صرت سلطانا على الخلق، وعن قريب يأتيك المرض الذي لا

---

[1] – د / عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق /21

[2] – رواه ابو بكر بن ابي الدنيا في باب الاخلاص

[3] – رواه البخاري ومسلم

[4] – رواه البيهقي والترمذي رقم 2963

ينجح فيه طب ثم تموت وتكفن، ويحفرون لك قبرا مظلما ثم يدس أنفك هذا في التراب، ثم تبعث عريان, عطشان, جوعان، ثم توقف بين يدي الحكم العدل الذي لايظلم مثقال ذرة, ثم ينادي المنادي: من كان له حق أو مظلمة على الغوري فليحضر, فيحضر خلائق لا يعلم عددها إلا الله تعالى..."[1] وللشيخ مصنفات منها: "شرح منهاج النووي " في الفقه و شرح "الستين مسألة " و "كتاب القاموس" في الفقه، و شرح "قطعة من الإرشاد " "لإبن المقري" – رضي الله عنه – "وكان متواضعا مع من قرأ عليهم القرآن، وهو صغير ولم يصده ما وصل إليه من العلوم والمعارف والشهرة عن ذلك. و لقد رأيته مرة راكبا فنزل وقبل يد أعمى تقوده ابنته فقلت له: من هذا ؟. فقال: هذا أقرأني – وأنا صغير – حزبين من القرآن, فما أقدر قط أن أمر عليه و أنا راكب"[2].

فمن خلال القصة التي عرضناها يمكن القول بأن الصوفي الصادق لايخشى في الله لومة لائم، فالشيخ قام للسلطان واعظا، ومذكرا إياه بيوم العرض على الله, ولما كانت الكلمة نابعة من قلب امتلأ إيمانا وخشية، كان لها أثرها في النفس، ووقعها في القلوب وفعلها على الجوارح. ثم إننا نلمس المكانة العلمية المرموقة التي كان يتبوؤها علماء الصوفية بالإضافة إلى أخلاقهم وحسن معاملتهم، وصولة أقلامهم عند مقارعة خصومهم.

---

[1] – د / عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق /22

[2] – د / عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق /22

المبحث الرابع

المسلك الصوفي

وبه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: مسلك الحب لله ولرسوله

الفرع الأول : مقام الاقتداء بالرسول الكريم

المطلب الثاني: مقام التوبة وشروطها

الفرع الأول: مقام التوبة

الفرع الثاني: شروط التوبة

المطلب الثالث: مقام الورع والزهد والتوكل والرضا

وبه فرعان:

الفرع الأول: مقام الورع و الزهد

الفرع الثاني: مقام التوكل و الرضا

المطلب الأول: مسلك الحب لله ولرسوله

إن الصوفية لهم مسلك روحي يسيرون فيه، وهذا المسلك يعتمد"أساسا، ومنهاجا وغاية" على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. و قد ذكرنا في غير هذا الفصل نماذج من سيرة الرسول- صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين- رضوان الله عليهم أجمعين- و بعض الكلمات لكبارالصوفية تؤكد وتوضح اعتمادهم على القرآن الكريم في سيرهم إلى الله تعالى. وهذا السبيل قد جربه الصوفية، فثبتت ثماره عن طريق التجربة أيضا. وجوهرالمسلك الصوفي هوالموسوم: "بالمقامات والأحوال"[1]. والمقامات: هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله، فيقف فيها فترة من الزمن مجاهدا في إطارها حتى يهيئ الله سبحانه وتعالى له سلوك الطريق إلى المنزل الثاني لكي يتدرج في السمو الروحي من شريف إلى أشرف و من سام إلى أسمى. و ذلك مثلا: كمنزل التوبة الذي يهيئ إلى منزل الورع, ومنزل الورع يهيئ إلى منزل الزهد. وهكذا حتى يصل الإنسان إلى منزلة المحبة وإلى منزلة الرضى. وهذه المنازل لا بد لها من جهاد وتزكية، ولذلك يقولون عنها مكتسبة. إنها اجتهاد في الطاعة، ومواصلة في التسامي في تحقيق العبودية لله سبحانه. أما الأحوال فإنها: النسمات الروحية التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة ثم تمر تاركة عطرا، تتشوق الروح إلى تنسم أريجه وذلك مثل: الأنس بالله. وسواء أكنا بصدد المقامات, أم بصدد الأحوال، فإن الصوفية قد اختلفوا فيها بين مجمل لها ومفصل ولكن الملاحظ أنهم في وصف المقامات, والأحوال لايتعارضون. واختلافهم إذن ليس اختلاف تناقض وتعارض؛ وإنما هو اختلاف بسط و إيجاز.

و يقول الإمام أبونصرالسراج الطوسي عن المقامات:"والمقامات مثل: التوبة، والورع والزهد، والفقر، والصبر، والرضا، والتوكل، وغير ذلك، و أما الأحوال: فهو ما يحل بالقلوب، أوتحل

[1] - الغزالي / تهذيب الاحياء / تق: د/ عبد السلام هارون / القاهرة 1974م / 2 / 211

به القلوب من صفاء الأذكار" [1] و قد حكي عن الجنيد – رحمه الله – أنه قال:" الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم"[2].

و يقول الإمام القشيري عن المقامات: "والمقام: ما يتحقق به العبد بمنازلته، أي بنزوله فيه وبما اكتسب له من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف, ويتحقق به بضرب تطلب و مقاساة تكلف. فمقام كل واحد: موضع إقامته عند ذلك و ما هو مشتغل بالرياضة له. وشرطه: أن لا يرتقي من مقام إلى آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن من لا قناعة له لا يصلح له التوكل, ومن لا توكل له لا يصح له التسليم. وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد. وأما الحال عند القوم: معنى يرد القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب, ولا اكتساب لهم من طرب أوحزن أوبسط أوقبض أوشوق أوانزعاج، أوهيبة أواحتياج. فالأحوال:مواهب والمقامات:مكاسب. والأحوال تأتي من غيرالجهد، والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام ممكنا في مقامه, وصاحب الحال مترق عن حاله "[3].

فهذه المقامات التي جعلها الصوفية معالم في طريق السالك والمريد منهم، هي في نفس الوقت شروط لكل مؤمن صادق النية والعزم, وفي هذا المقام فكل مؤمن صوفي؛ وكل صوفي مؤمن، ولا فرق بينهما إلا في الإلتزام، ودرجات الترقي، وبلوغ المفازة، بنسيم الأحوال التي تنقل العبد الصوفي إلى مراتب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه .

---

[1] – الغزالي / فس المرجع السابق/ 211

[2] – الغزالي / فس المرجع السابق/ 212

[3] – الامام القشيري / المرجع السابق / 54

و هذا الطريق الصوفي الذي نتحدث عنه؛ يستند إلى مقياس يزن به الصوفي نفسه وهو: الإقتداء برسول الله – صلى الله عليه و سلم– ولا يتأتى الإقتداء به– صلوات الله و سلامه عليه– ما لم يملأ حب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– جميع أقطار النفس. ولأجل ذلك جعل الله حب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– مقدما على حب ماسواه, يقول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[1]. في هذا الآية بيان فضل الجهاد, والإشارة إلى راحة النفس وعلاقتها بالأهل والمال وقال المفسرون: هذه الآية في بيان حال من ترك الهجرة، وآثر البقاء مع الأهل والمال. وفي الحديث الصحيح: إن الشيطان قعد لإبن آدم ثلاثة مقاعد: قعد له في طريق الإسلام فقال: أتذر دينك ودين آبائك وتسلم فخالفه وأسلم. وقعد له في طريق الهجرة فقال له : أتذر أهلك ومالك فتهاجر, فخالفه ثم هاجر. وقعد له في طريق الجهاد فقال له:تجاهد فتقتل، وتنكح أهلك، ويقسم مالك، فخالفه فجاهد فقتل.فحق على الله أن يدخله الجنة)[2] وقال– صلى الله عليه وسلم: (غزا نبي من الأنبياء فقال: لا يتبعني رجل تزوج امرأة ولما يبن بها، أو بنى دارا ولم يسكنها)[3] فيه إشارة إلى من تعلق قلبه بشيء من هذه المذكورات فإنه لايصلح للجهاد في سبيل الله؛ لأن الله لايقبل من العمل إلا ماكان خالصا له. وعن عبد الله بن هشام قال: (كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و هو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال : والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال ر سول الله – صلى الله عليه و سلم– لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر: فأنت الآن أحب إلي من نفسي, فقال: رسول الله– صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر)[4]

---

[1] – سورة التوبة / الآية24

[2] – رواه الشيخان في صحيحيهما

[3] – رواه الامام البخاري من حديث ابي هريرة

[4] – رواه الامام البخاري

وقـول الرسـول- صـلى الله- الآن يـا عمـر, أي: الآن وقـد صارالرسـول-صـلى الله عليـه وسلم- أحب إليك من نفسك, فقد استقامت أمور الإيمان عندك، وصرت إلى ما أحب الله ورسوله، ومحبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تتضمن-كشرط أساسي جوهري- اتخاذه- صلى الله عليه وسلم – قدوة في السلوك و العمل. إنما هي متابعته في إسلام وجهه لله سبحانه و تعالى. لقد باع رسول الله – صلى الله عليه و سلم – نفسه و ماله لله سبحانه فكان بذلك أسوة حسنة لأصحابه، ومن اتبع هديه، متأسين به قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1].لقد اشترى الله في عقد الإيمان النفس والمال بثمن هو الجنة، فإذا بخل المؤمن بنفسه في سبيل الله فقد أخل بعقد الإيمان. وإذا بخل بماله في سبيل الله فقد أخل بعقد الإيمان. وحب رسول الله – صلى الله عليه و سلم- إذن: إنما هو إيثار ما يحب واتباع هديه، و العمل بسنته، وإيثار كل ذلك على الآباء، و الأبناء، و غيرهم مما يحبه الإنسان من أشخاص أو من أشياء. وفي هذا يقول رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فيما رواه الإمام البخاري:(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده و الناس أجمعين)[2]، فحب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – مرجعه إلى صفات كريمة سامية عليا تمثلت فيه – صلى الله عليه و سلم – طيلة حياته. والآية الكريمة و الأحاديث الشريفة التي رويناها تدل كلها دلالة صريحة على أنه إذا تعارضت أمور الدين مع المصلحة الشخصية، أومع أمور الدنيا، فإنه يجب على المؤمن أن يؤثر أمور الدين على غيرها. يقول الإمام الرازي: "إذا وقع تعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين، و بين جميع مهمات الدنيا، وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا"[3]. يقول الزمخشري عن الآية الكريمة التي صدرنا بها هذا الحديث ما معناه:"و هذه آية شديدة لا ترى أشد منها،كأنها تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من

---

[1] – سورة التوبة / الآية 111

[2] – رواه الامام البخاري

[3] – الامام الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / تق : سامي النشار/ القاهرة 1938م/ 96

التصلب في ذات الله، والثبات على دين الله، ما يجعله يؤثر دينه على الآباء، و الأبناء، و الإخوان، و العشائر، والمال، و المساكن، وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله.. أم أن الشيطان يغويه من أجل حظ من حظوظ الدنيا، فلا يبالي كأنما و قع على أنفه ذباب فطيره.. "[1] وعليه فإن الحب الصادق له – صلى الله عليه و سلم – يتمثل حقيقة في المحاولة الصادقة لإلتزام صفاته – صلى الله عليه و سلم – في النفس و العمل على ترسيخها في المجتمع.

الفرع الأول: مقام الإقتداء بالرسول الكريم.

إن حب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – يستلزم لا محالة التأسي به – صلى الله عليه و سلم – يقول الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[2]. إن الأسوة برسول – الله صلى الله عليه وسلم – خير ما يحقق النجاة في الدنيا و الآخرة. فرسول الله – عليه الصلاة والسلام – هو المثل الكامل الواقعي والتطبيقي للدين الإسلامي. إنه الصورة الحية للقرآن الكريم وفي ميسور كل إنسان الإقتداء به إذا توافرت فيه ثلاث شروط بينتها الآية الكريمة, أولها: أن يرجو الله, ورجاء الله يبينه الله سبحانه بقوله: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)[3] فتحقق الرجاء من الله أن يخلص الإنسان وجهه لله في العبادة، وأن يكون من ذوي الأعمال الصالحة، وإلا كان رجاؤه في الله شكلا لاحقيقة له، وظاهرا لاجوهر له. أما الذين لا يرجون لقاء الله، فيصفهم الله تعالى بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آَيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[4] و هؤلاء لا نصيب لهم في الإقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث لم يتوفر فيهم الشرط. والشرط الثاني: أن يرجو الإنسان اليوم الآخر. ورجاء اليوم الآخر هو رجاء النجاة فيه. ورجاؤه إذن إنما هو بالعمل للنجاة لقوله تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ

---

[1] – الزمخشري / تفسير الكشاف/ دار المصحف / القاهرة1987م / 2 / 187 .

[2] – سورة الاحزاب الآية 21

[3] – سورة الكهف / الآية 110

[4] – سورة يونس/ الآية 7- 8

مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[1]. ومن لا يرجو اليوم الآخر، فليس له في الإقتداء برسول الله – صلى الله عليه و سلم – من نصيب.

أما الشرط الثالث: الذي يجب أن يتوفر في الإنسان، حتى يكون مقتديا برسول الله – صلى الله عليه وسلم– فهو أن يذكر الإنسان الله كثيرا. وقد حدد الله الذكر بالكثرة ونص عليها سبحانه بقوله جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)[2] وقوله: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا)[3]. والذكر الكثير من سمات الأوابين لله حقا. والذكر الكثير من سمات أصحاب العقول الراجحة الذين يذكر الله سبحانه, أن من صفاتهم التفكر للعظة والإعتبار في خلق السموات والأرض. ومن صفاتهم الذكر في جميع حالاتهم التي هم عليها و ذلك كله على أساس من الإيمان الخالص. يقول الله تعالى في أسلوب رائع و في معان تتسلسل نورا و تتلألأ ضياء:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبرار رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)[4]. و يعقب الله على ذلك بقوله: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ)[5] فإنه إذا توفرت في الإنسان هذه الشروط فقد أصبح جديرا بالتأسي برسول الله – صلى الله عليه و سلم – و أصبح بذلك من الذين يحبهم الرسول ويحبونه حقا، و المرء مع من أحب يوم القيامة .

---

[1] – سورة الشعراء/ الآية 88،89

[2] – سورة الاحزاب / الآية 41 -42

[3] – سورة الاحزاب / الآية 35

[4] – سورة آل عمران / الآية190 ،191، 192، 193، 194

[5] – سورة آل عمران / الآية 195

المطلب الثاني: مقام التوبة وشروطها.

الفرع الاول: مقام التوبة: إذا أراد الإنسان أن يتأسى برسول الله – صلى الله عليه و سلم – يحاول أن يقترب ما استطاع من مفهوم الآية الكريمة: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ)[1]. فيجعل حياته كلها " قولا، وعملا واعتقادا " لله رب العالمين. ولكن كيف يتأتى له ذلك وماذا عليه أن يفعل، ماهي الخطوة الأولى التي يخطوها وماهي الطريق التي يسلكها، وماهي الغاية التي ينشدها، وما هي الثمرة التي يرجوها؟.. أيكون ذلك بداية بعملية التخلية للنفس من كل الشوائب ثم تحليتها وتزكيتها بكل خلق فاضل؟. إذا كان كذلك فالسبيل الوحيد المحقق له هو ما نص عليه القرآن الكريم ودل عليه في أكثر من آية إنه التوبة: لقد أمر الله في القرآن بالتوبة و حث عليها وحبب فيها وترك بابها مفتوحا للعبد ما لم يغرغر. و الواقع أنها اللبنة الأولى في الطريق إلى الله, وهي اللبنة الأولى في طريق إسلام الوجه لله. يقول أبو يعقوب يوسف بن حمدان[2]– رحمه الله – " أول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله تعالى: التوبة و سئل عنها فقال: التوبة الرجوع من كل شيء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم"[3]. و لقد فتح الله باب التوبة على مصراعيه تفضلا منه و رحمة، بقوله سبحانه في حديث قدسي وبأسلوب كله رأفة: (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل و النهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم)[4]. و يقول رسول الله– صلى الله عليه و سلم:

---

[1] – سورة الانعام / الآية 162

[2] – محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان ، الإمام المحدث، أبو العباس الأموي، المعقلي النيسابوري الأصم كان أبوه من أصحاب إسحاق بن راهويه ، وكان كما قال أبو عبد الله الحاكم : من أحسن الناس خطا، مات سنة سبع وسبعين ومائتين

[3] – السهروردي / المرجع السابق / ص 424

[4] – رواه الامام مسلم في صحيحه/ رقم الحديث 2577

(كل ابن آدم خطاء و خير الخطائين التوابون)[1] وما من شك في أن توبة العوام –كما يقول: ذو النون– رضي الله عنه– هي من الذنوب، و أما توبة الخواص فإنها من الغفلة وتصل التوبة في سموها حتى تكون جامعة مما سوى الله تعالى.

ورسول الله– صلى الله عليه وسلم – يخبر أن الله سبحانه وتعالى: يفرح بتوبة عبده المؤمن ويعرفنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ربنا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا عند ثلث الليل الأخير فينادي: (ألا هل من مستغفر فاغفر له ألا هل من تائب فأتوب عليه)[2] ويقول الله سبحانه وتعالى في صورة من تجلي الرحمة و سعة من شمول الرأفة بالعباد: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[3]. ثم يبين الطريق إلى المغفرة و الرحمة بقوله سبحانه و تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ)[4].أي: ارجعوا إلى الله بالتوبة واسلام الوجه له.ثم بين لهم– مرة أخرى– الطريق الصحيح الذي يلي التوبة إذا صدقت بقوله تعالى: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)[5]. والله سبحانه وتعالى بهذا يدعو الذين صدقوا في توبتهم ليبتغوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم. و إذا صدقت التوبة فإن هذا الصدق يستلزم استقامة العبد على الطريق. والله سبحانه كما يسر على التائبين المنيبين إليه، سد على الذين بين لهم الطريق باب المعاذير فيما بعد مبينا لهم عاقبة أمرهم, وخسران سعيهم بقوله تعالى: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[6]. ثم بين الله

---

[1] – رواه الامام الترمذي وحسنه الشيخ الألباني

[2] – رواه البخاري ومسلم

[3] – سورة الزمر / الآية 53

[4] – سورة الزمر / الآية / 54

[5] – سورة الزمر / الآية / 55

[6] – سورة الزمر / الآية / 56، 57، 58، 59

الله سبحانه و تعالى حال الكافر و المؤمن يوم القيامة بقوله: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1]

لقد تبين لنا مما سبق أن على السالك إلى الله تعالى أن تكون أول خطواته هي التوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى في السر والعلانية بكل صدق وإخلاص طوية. فإذا حصل ذلك منه ألزم نفسه بإتباع أحسن ما نزل من ربه على نبيه الكريم وهو القرآن الكريم والسنة المطهرة. لذلك نجد السلف الصالح – رضوان الله عليهم– كانوا يبدؤون أعمالهم الهامة بالتوبة الخالصة النصوح. لقد كانوا يبدؤون شهر رمضان بالتوبة ويبدؤون الحج بالتوبة. و الرحلة المباركة، رحلة"الإسراء و المعراج" بدأت بشق الصدر وشق الصدر بالنسبة لنا إنما هوالتوبة الخالصة النصوح، لأن التوبة طهر وتطهر فلا يبقى للشيطان معها حظ. وإذا تاب الإنسان فإن ذلك يكون بمثابة إتيان ملكين يشقان عن صدره و يغسلانه بالثلج والبرد أو بماء زمزم أي: يطهرانه. إن التوبة تطهر الإنسان من المعصية إنها تجب ما قبلها أي تزيله و تمحوه.والتوبة التي من هذا النمط لها شروط لا بد من توافرها حتى تهيء الإنسان لشق الطريق إلى الله تهيئة موفقة.

الفرع الثاني : شروط التوبة. يقول الإمام "النووي"[2] " قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة

[1] - سورة الزمر / الآية / 60-61

[2]– هو صاحب أشهر ثلاثة كتب يكاد لا يخلو منها بيت مسلم وهي " الأربعين النووية " و"الأذكار" و "رياض الصالحين"، وبالرغم من قلة صفحات هذه الكتب وقلة ما بذل فيها من جهد في الجمع والتأليف إلا أنها لاقت هذا الانتشار والقبول الكبيرين بين الناس

شروط أحدها: أن يقلع عن المعصية. والثاني: أن يندم على فعلها. والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالا, أو نحوه رده إليه وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها. و يجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي"[1]. وقد تظاهرت دلائل الكتاب و السنة واجماع الأمة على وجوب التوبة. هذا فيما يتعلق بالتوبة وما لها من شروط وضوابط. أما إتباع أحسن ما أنزل الله فإنه يبدأ بما كان يبدأ به رسول الله – صلى الله عليه و سلم – مع الداخلين في الإسلام، ونعني مواد البيعة. ومن المبايعات التي بايع عليها رسول الله – صلى الله عليه و سلم – أصحابه ما كان قبل فتح مكة، بل قبل الهجرة إلى المدينة كما في بيعة العقبة، فيها قال الرسول – صلى الله عليه و سلم – لمن حضر من الأنصار فيما ذكره"ابن إسحاق: (بايعوني على السمع و الطاعة في المنشط والمكره و النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافوا لوم لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم
وأبناءكم ولكم الجنة)[2] و قال– صلى الله عليه و سلم – وكان حوله جمع من أصحابه: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا و لا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم و لا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله و من

وقد عزا كثير من العلماء ذلك إلى إخلاص النووي – رحمه الله– فرب عمل صغير تكبره النية، هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزَام، النووي نسبة إلى نوى، وهي قرية من قرى حَوْران في سورية، ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذاهب وكبير الفقهاء في زمانه .ولد النووي رحمه اللّه تعالى في المحرم 631 هـ في قرية نوى من أبوين صالحين، ولما بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ القرآن وقراءة الفقه على بعض أهل العلم هناك، وصادف أن مرَّ بتلك القرية الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي، فرأى الصبيانَ يُكرِهونه على اللعب وهو يهربُ منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن، فذهب إلى والده ونصحَه أن يفرّغه لطلب العلم، فاستجاب له .وفي سنة 649 هـ قَدِمَ مع أبيه إلى دمشق لاستكمال تحصيله العلمي في مدرسة دار الحديث، وسكنَ المدرسة الرواحية، وهي ملاصقة للمسجد الأموي من جهة الشرق .وفي عام 651 هـ حجَّ مع أبيه ثم رجع إلى دمشق وفي سنة 676 هـ رجع إلى نوى بعد أن ردّ الكتب المستعارة من الأوقاف، وزار مقبرة شيوخه، فدعا لهم وبكى، وزار أصحابه الأحياء وودّعهم، وبعد أن زار والده زار بيت المقدس والخليل، وعاد إلى نوى فمرض بها وتوفي في 24 رجب ولما بلغ نعيه إلى دمشق ارتجّت هي وما حولها بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفاً شديداً

[1] – الامام النووي / رياض الصالحين / مكتبة الغزالي/ بيروت /بذون ت/ ص18

[2] – ابن هشام / السيرة النبوية / دار القلم / بيروت / بدون ت / ص 75

أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له و من أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)[1] فبايعناه على ذلك. و قد تحدث القرآن الكريم عن بيعة النساء ، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2] وكانت البيعة عقب فتح مكة، بعد بيعة الرجال ويتحدث"ابن جرير"[3] عن هذه البيعة فيقول: " ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة الرسول- صلى الله عليه وسلم- على الإسلام فجلس لهم على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله و لرسوله، فيما استطاعوا. فلما فرغ من بيعة الرجال, بايع النساء قائلا: (بايعني على ألا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف ثم قال- صلى الله عليه وسلم – "لعمر": بايعهن و استغفر لهن الله إن الله غفور رحيم)[4], وروي عن جرير بن عبد الله[5] – رضي الله عنه- قال (بايعت رسول الله – صلى الله عليه و سلم- على إيقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم).

المطلب الثالث: مقام الورع والزهد و التوكل والرضا.

الفرع الأول: مقام الورع والزهد .

---

[1] – رواه الامام البخاري بسنده عن عبادة بن الصامت / وذكره ابن هشام / المرجع السابق / ص 76

[2]– سورة الممتحنة / الآية 12

[3] – ابن جرير *الطبري إمام المفسرين، هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ولد سنة 224 هـ ، في بلدة آمل عاصمة طبرستان ببلاد فارس.له كتاب تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك),و تفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن*

[4] – الطبري/ تاريخ الأمم و الملوك/ *بيروت المكتبة العلمية / 1991/ 2 / 702- 703. ...*

[5] – هو جرير بن عبد الله البجلي, سيد بجيلة. أبو عمرو. أسلم في العام الذي توفي فيه رسول الله- صلى الله عليه وسلم – فيه قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- حين أقبل وافدا عليه: يطلع عليكم خير ذي يمن وكأن على وجهه مسحة ملك, فطلع جرير ولما دخل على النبي- صلى الله عليه وسلم- أكرمه وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. بعثه الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى ذي الكلاع وذي رعين باليمن, فهدم بيت أصنام خثعم, وكان يسمى الكعبة اليمانية. أبلى بلاء حسنا في فتوح العراق, وكان مددا لأبي موسى الأشعري في فتح تستر وهمدان. نزل الكوفة ثم تحول إلى قرقيسيا ومات فيها سنة 51هـ وقيل سنة 54هـ. وقيل أيضاً أنه مات في السراة (في قرية القضاة من بني عبدالله من أبا النعيم). ووصفه الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه – بيوسف الأمة لجماله/ انظر ابن الأثير /أسد الغابة /1/ 233

1 – مقام الورع: إن صدق التوبة يستلزم لا محالة الورع, والورع: هو أن يترك الإنسان كل ما فيه شبهة, ولا نتحدث عن ترك الحرام. وذلك أن التوبة الصادقة إنما هي توبة عن الحرام كل الحرام. وتوجيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متناسق في ذلك مع القرآن من ذلك ما أخرجه الشيخان عن "النعمان بن البشير"[1] قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (إن الحلال بين والحرام بين وما بينهما أمور لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وأن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب)[2].ومن ذلك ما رواه" الحسن بن علي"[3]– رضي الله عنهما– قال: (حفظت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم– دع ما يريبك إلى مالا يريبك)[4] ويقول الإمام النووي معناه: " اترك ما تشك فيه، وخذ مالا تشك فيه"[5]. وعن"عطية بن عروة السعدي"[6] الصحابي– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه و سلم : (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس له به حذرا مما به بأس)[7] و الورع يكون في الحديث والقلب والعمل. أما في الحديث: فإنه التورع عن اللغو بجميع ضروبه إنه ترك كلمات الفضول، وترك كل حديث ليس من شأنه إلا ضياع الوقت دون فائدة أو ثمرة. والورع في الحديث ليس سهلا، ويقول فيه الإمام القشيري: " الورع في المنطق

---

[1] – هو أبو عبدالله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أمير وخطيب وشاعر قدير. أمه عمرة بنت رواحة أخت الصحابي عبد الله بن رواحة. هو أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة للأنصارفي السنة الثانية. فحملته أمه إلى النبي– صلى الله عليه وسلم فحنكه وبشّرها بأنه يعيش حميداً ويقتل شهيداً ويدخل الجنة. توفي عام 65 للهجرة

[2]- رواه الامام الترمذي وقال حديث حسن / والامام النووي / رياض الصالحين / ص 267

[3] – *أبو محمد* الحسن بن علي بن *أبي طالب جده رسول الإسلام محمد بن عبدالله من ابنته فاطمة ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة ومات سنة 50 للهجرة ودفن في البقيع ..*

[4] – رواه الترميذي و قال حديث حسن صحيح

[5] - الامام النووي / رياض الصالحين / مكتبة الغزالي/ بيروت /بذون ت/ ص268

[6] – من بني سعد قال الوليد بن مسلم حدثنا بن جابر حدثني عروة بن محمد بن عطية السعدي عن أبيه عن جده قال وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من بني سعد بن ليث. فقال لي ما أنطاك الله فخذ ولا تسأل الناس شيئا فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة وإن مال الله مسؤول. ومنطي: [بعنى معطي في نغة تميم كما ذكر ذلك صاحب القاموس المحيط في مادة النطو] يكلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا .

[7] – رواه الترمذي وابن ماجة

أشد منه في الذهب والفضة "[1]. ولا تدخل الغيبة والنميمة فيما نحن فيه وذلك لأن العبد ينشد ما يسمو به إلى القرب من الله، لا ينزل إلى مستوى الآثام واقتراف الذنوب. و الورع في القلب هو عدم انشغاله بالتوافه من الخطرات ويتسامى الورع في القلب حتى يصل إلى ما يقوله الإمام الشبلي وهومن كبار أئمة التصوف: " الورع: أن تتورع عن كل ما سوى الله "[2] أما الورع في الأفعال فإنه يتضمن التحري فيما يتعلق بالمأكل، والمشرب, والملبس، حتى يكون كل ذلك من حلال طيب، ولقدكان السلف الصالح-رضوان الله عليهم- يتحرون في ذلك ما استطاعوا, وذلك أن النور في القلب والصفاء في العبادة، و التيسير فيما يأتي الإنسان وفيما يدع, كل ذلك له علاقة قوية بطيب المطعم، والمشرب, والملبس. والهدي النبوي كله يحث على ذلك, ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تجمع بين توجيه القرآن الكريم وتوجيه الرسول- صلى الله عليه وسلم- مايلي: عن ابن عباس- رضي الله عنه- قال: تليت هذه الآية عند النبي- صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا)[3]. فقام سعد ابن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة. فقال: (يا سعد أطب مطمعك تكن مستجاب الدعوة و الذي نفس محمد بيده أن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به)[4].

و عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :(أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: يا أيها

---

[1] – القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن/ الرسالة القشيرية في علم التصوف/ القاهرة 1948 م. /94

[2] – عبد الحليم محمود / ص183

[3] – سورة البقرة / الآية 168

[4] – رواه الشيخان من حديث ابن عباس.

الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحا إني بما تعملون عليم)[1]. وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)[2] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يارب ومطعمه حرام و مشربه حرام و ملبسه حرام و غذي بالحرام فأنى يستجاب له لذلك)[3]، وتروى لأئمتنا في هذا الجانب قصص منها ما يلي: يقول " أبو علي الدقاق "[4]: "كان الحارس المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة, ضرب على رأس اصبعه عرق, فيعلم أنه غير حلال"[5]. وقال: "إن بشر الحافي دعي إلى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمد يده, فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات, فقال رجل يعرف ذلك عنه: إن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة "[6] . فهذه حال من صفت مشاربهم فألهمت جوارحهم، وغدا نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم. إن ما سبق عرضه من تعريفات لمفهوم الورع بإعتباره من أهم خطوات السالكين إلى الله، لايقل عنه ما ذكره أئمة الصوفية بشأنه, فهذا القشيري يقول: " أما الورع فإنه: ترك الشبهات"ويقول" إبراهيم بن أدهم "[7]: "والورع "والورع ترك كل شبهة وترك مالا يعنيك"[8] وقال "أبو سليمان الداراني"[9]: "الورع: أول الزهدكما أن القناعة طرف من الرضا"[10]

و يقول "يحي بن معاذ": "الورع على وجهين: ورع في الظاهر وهو: أن لا يتحرك إلا لله تعالى وورع في الباطن وهو: أن لايدخل قلبك سوى الله تعالى"[11] ودخل الحسن البصري

---

[1] – رواه البخاري من حديث اب هريرة .

[2]– سورة البقرة / الآية 172

[3] – رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة

[4] – وهو شيخ الصوفية في نيسابور، توفي في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

[5] – القشيري / المرجع السابق / 13

[6] – القشيري / المرجع السابق / 13- 14

7 – هو أبو إسحاق ابراهيم بن أدهم بن منصور، من بلخ كان من أبناء الملوك فخرج يوما يتصيّد فأثار ثعلبا أو أرنبا وهو في طلبه فهتف به هاتف: يا ابراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت؟ ثمّ هتف به: ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن دابته وصادف راعيا لأبيه فأخذ جبة للراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه، ثمّ إنّه دخل البادية ثم دخل مكة وصحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ثم دخل الشام ومات فيها، وكان يأكل من عمل يده كالحصاد والعمل في البساتين وغير ذلك. – توفي سنة 161هـ

[8] - القشيري / المرجع السابق / 13- 14

[9] - القشيري / المرجع السابق / 13-14

[10] - القشيري / المرجع السابق / 13- 15

[11] - عبد الحليم محمود / ص184

مكة فرأى غلاما من أولاد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قد اسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوثب عليه الحسن وقال له: ما ملاك الدين ؟. فقال: الورع. فقال له: فما آفة الدين؟. قال: الطمع. فتعجب الحسن منه.

2 – مقام الزهد: يقول الإمام أبو نصر السراج الطوسي: "والورع يقتضي الزهد و الزهد مقام شريف, وهو أساس الأحوال الرضية، والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله تعالى، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لايصح له شيء مما بعده؛ لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة, والزهد في الدنيا رأس كل خير و طاعة"[1]. ومسألة الزهد من المسائل التي كثر الجدل في تحقيق مفهومها, وكثر الجدل فيها قبولا ورفضا. وجوهر المناقشات يتركز حول امتلاك المال والثراء العريض، أهو مقبول، أهو مكروه، ماهو موقف الدين من ذلك؟. وإذا سلمنا أن الثراء العريض لا يتفق مع الأجواء الدينية، فكيف ملك بعض كبار الصالحين الثروات الكبيرة؟. كيف ملك الأنبياء – عليهم السلام – الأموال والضياع، مثل: "داوود" و سليمان وإبراهيم وأيوب ونظرائهم, ويوسف– عليه السلام –كان الحافظ على خزائن الأرض ومحمد – صلى الله عليه وسلم – و الصالحين من بعده؟.. حول هذه الأسئلة يدور جوهر الحديث في الزهد. لذلك نجد" أبا سعيد الخراز"[2] قد وفقه الله – عز وجل– لإزالة اللبس واقناع المريد، يقول في كتابه الصدق:" اعلم أن الأنبياء – عليهم السلام– والعلماء والصالحين من بعدهم – رضي الله عنهم – أمناء الله تعالى في أرضه على سره، وعلى أمره و نهيه وعلمه، وموضع وديعته والنصحاء له في خلقه وبريته. وهم الذين عقلوا عن الله تعالى أمره و نهيه، وفهموا لماذا خلقهم وما أراد منهم وإلام ندبهم، فوافقوه في محبته ونزلوا في الأمورعند مشيئته، ثم وقفوا عند ذلك مواقف العبيد القابلين عن الله والحافظين لوصيته وأصغوا إليه بأذانهم الواعية وقلوبهم الطاهرة

فسمعوا الله – عزوجل – يقول: (آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)[3] فِيهِ)[3] ثم قال:(ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[4].

---

[1] – الطوسي / نفس المرجع السابق / 220

[2] – الطوسي / نفس المرجع السابق / 221

[3] – سورة الحديد / الآية 07

[4] – سورة يونس / الآية 14

و قال تعالى: (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)[1], فأيقن القوم أنهم وأنفسهم لله تعالى وكذلك ما خولهم وملكهم إنما هو له، غير أنهم خلقوا للإختباروالبلوى في هذه الدار"[2]. وهكذا يروى عن ابن الخطاب- ضي الله عنه - حين سمع قوله تعالى:
(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)[3] قال:ياليتها تمت!. ويعني عمر قبل قراءة: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ)[4] معنى قول عمر- رضي الله عنه: "يا ليتها تمت" يعني: لم يخلق حين سمع قول الله تعالى: (لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا). وذلك من معرفة عمر- رضي الله عنه - بواجب حق الله وقدر أمره ونهيه وعجزالعباد عن القيام به, وقيام الحجة لله تعالى عليهم عند تقصيرهم وما تواعدهم به إذا ضيعوا. ويروى عن الحسن- رضي الله عنه - أنه قال: "إن الله تعالى إنما أهبط ادم - عليه السلام - إلى الدنيا عقوبة، وجعلها سجنا له، حين أخرجه من جواره وصيره إلى دار التعب والإختبار"[5]. فمن ملك من أهل العمل عن الله تعالى وأهل الصدق شيئا من الدنيا فهو معتقد أن الشيء لله عز جل لا إله إلا هو، وهو مبتلي به حتى يقوم بالحق فيه لأن النعمة بلاء حتى يقوم العبد بالشكر فيها ويستعين بها على طاعة الله تعالى، وكذلك البلوى بالسراء والضراء هو اختبار وبلاء حتى يصبرعليه ويقوم بحق الله تعالى فيه. قال الله- عز وجل: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ)[6] وقال: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)[7]

فالأنبياء - صلوات الله عليهم - و الصالحون من بعدهم الذين أشعرهم الله بأنه ابتلاهم في الدنيا بالسعة, وخولهم أمورا كثيرة من النعم, كانوا إلى الله - عزوجل- ساكنين وعلى خزائنه مؤتمنين، ينفذون حقوق الله تعالى غير مقصرين، ولا مفرطين، ولا متوانين ولامتأولين على الله التأويل, وكانوا غير متلذذين بما ملكوا، ولا مشغولي القلوب بما نالوا وما وسعوا،

---

[1] - سورة البقرة / 283

[2] - د/ محمد جلال شرف / دراسات في التصوف الاسلامي / ص 58

[3] - سورة الانسان / الآية 01

[4] - أبو نعيم / نفس المرجع السابق /28

[5]- ابن الجوزي / نفس المرجع السابق 108

[6]- سورة الملك / الآية 02

[7] سورة محمد / الآية 32

ولا مستأثرين به دون عباد الله تعالى. ومن ذلك ما روي عن سليمان بن داود – عليهما السلام– في ملكه وما منحه الله تعالى من الكرامة حين يقول تعالى:

(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[1] قال أهل التفسير: " لا حساب عليك في الآخرة، وإنما كان عطاء هينا إكراما من الله – عز و جل– له"[2]. فذكر العلماء: " أن سليمان – عليه السلام – كان يطعم الضيوف الحواري: وهو لباب البر وخالص الدقيق النقي. ويطعم عياله الخشكار: وهو الدقيق الخشن، و يأكل هو الشعير. وأن ابراهيم الخليل– صلوات الله وسلامه عليه: "كان لا يأكل إلا مع الضيف فربما لا يأتيه الضيف فيطويها، وربما كان يمشي الفرسخ أو أقل أو أكثر تلقيا للضيف، وكان أيوب النبي – عليه السلام – لا يسمع أحدا يحلف بالله تعالى إلا رجع إلى منزله وكفر عنه, وأن يوسف عليه السلام –كان حافظا على خزائن الأرض فكان لا يشبع فقيل له في ذلك فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجياع, وأن سليمان – عليه السلام – بينما هوذات يوم والريح تحمله والطير تظله، والجن والإنس معه وعليه قميص جديد فلصق ببدنه فوجد اللذة فسكنت الريح, ووضعته على الأرض. فقال لها: مالك قالت: إنما أمرنا أن نطيعك ما أطعت الله. ففكر في نفسه من أين أوتي, فذكر فراجع, فحملته الريح، أن الريح كانت تضعه في اليوم مرات من هذا وأشباهه"[3]. فالقوم: كانوا خارجين عن ملكهم في ملكهم, ناعمين بذكر الله وعبادته، غير ساكنين إلى ما ملكوا، لا يستوحشون من فقد أفقدوه, ولا يفرحون بالشيء مما أوتوا، ولا يحتاجون إلى العلاج والمجاهدة في إخراجه. قال الله تعالى للنبي– صلى الله عليه وسلم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)[4].

وهذا النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– بينما جبريل– عليه السلام – عنده إذ تغير جبريل، فإذا ملك قد نزل من السماء لم ينزل قط، فقال جبريل– عليه السلام: خشيت أنه نزل في أمر فجاء إلى النبي– صلى الله عليه وسلم – من عند الله – عز وجل – وقال له: هذه مفاتيح خزائن الأرض تسير معك ذهبا وفضة، مع البقاء فيها إلى يوم القيامة ولا ننقصك مما لك عند الله شيئا!. فلم يختر النبي– صلى الله عليه وسلم – ذلك وقال: (

---

[1] – سورة ص / الآية 38

[2] – ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / دار احياء التراث العربي / بيروت/ ط1 / 1985م/ 4 /718

[3] – عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص14

[4] – سورة الانعام / الآية 91

أجوع يوما و أشبع يوما)[1] وعد ذلك من الله عز وجل بلوى، واختبارا، ولم يره من الله تعالى اختيارا، ولو كان من الله تعالى اختيارا لقبله ولكنه علم أن محبة الله تعالى في الترك للدنيا والإعراض عن زينتها وبهجتها. ولذلك أدبه الله تعالى حين قال تعالى:

(وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)[2]. وكذلك كل قلب طاهر صاف قد أشرف على الآخرة وعرف قيام الله تعالى عليه يفزع من الركون إلى الدنيا، و التحلي بشيء منها. ومثل هذا في الأخباركثير, والعاقل الفطن تكفيه الإشارة إليه بالشيء دون تمامه. وهؤلاء أصحاب محمد – صلى الله عليه و سلم – حين حثهم على الصدقة، جاء أبو بكر بماله كله لأنه كان أقوى القوم فقال له النبي– صلى الله عليه وسلم: ما خلفت لعيالك قال: الله ورسوله ولي عندالله مزيد. أفلا ترى أبا بكر– رضي الله عنه – إنما كان سكونه إلى الله تعالى لا إلى الشيء من الدنيا ولم يكن لشيء عنده قدر, وكان ما عند الله عنده خير وأبقى، فحين رأى موضع الحق لم يخلف من ماله شيئا، وقال: خلفت الله ورسوله، ثم جاء عمر – رضي الله عنه – بنصف ماله، فقال النبي– صلى الله عليه وسلم – ما خلفت لعيالك قال:نصف مالي، و لله عندي مزيد، فقد أعطى نصف ماله و يقول:لله عندي مزيد، ثم عثمان – رضي الله عنه – يجهز جيش العسرة كله، بجمع ما يحتاج إليه، ويحفربئر رومة"[3]. أفلا ترى أن القوم كانوا معتبرين كل ما أوتوا من مال ومتاع إنما هو لله تعالى وأنهم مستخلفين فيه. و قد روي عن النبي– صلى الله– أنه قال: (إنا معشر الأنبياء لا نورث وما خلفناه صدقة)[4].

ألا ترى أنهم في حياتهم؛ لم يضنوا بالشيء عن الله– عز وجل– وكذلك لم يورثوه وخلفوه لله– عزو جل– كما كان في أيدهم لله تعالى لم يحدثوا فيه, ولم يخولوه من بعدهم أحدا, وإن في هذا لبلاغا لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد. وهؤلاء أئمة الهدى بعد رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أبو بكر– رضي الله عنه– حين ملك الأمر و جاءته الدنيا راغمة من حلها لم يرفع بها رأسا، ولم يكن يتصنع وكان عليه كساء يخلله (أي يخيط ما به من خلل و شق) وكان يدعى ذا الخلالين!. وهذا عمر بن الخطاب– رضي الله

---

[1] - رواه الترمذي في سننه, وصححه الالباني في الترغيب والترهيب

[2] – سورة طه / الآية 132

[3] – عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص193

[4] – رواه الامام احمد من حديث عمر بن الخطاب

عنه– حين جاءته الدنيا راغمة من حلها وكان طعامه الخبز والزيت و في ثوبه بضع عشرة رقعة بعضها من أدم، وقد فتحت عليه كنوزكسرى وقيصر!. و هذا عثمان– رضي الله عنه– كأنه واحد من عبيده في اللباس و الزى. و لقد روي عنه: أنه رؤي خارجا من بستان له وعلى عنقه حزمة من حطب، فقيل له في ذلك فقال: أردت أن أنظر نفسي هل تأبى!. إنه بهذا غير غافل عن نفسه, ومتعهدا إياها بالرياضة لتقوى على السير في مدارج السالكين. وهذا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في الخلافة قد اشترى إزارا بأربعة دراهم, واشترى قميصا بخمسة دراهم, فكان في كمه طول فتقدم إلى خراز، أي خياط فأخذ الشفرة؛ فقطع الكم مع أطراف أصابعه وهو يفرق الدنيا يمنة و يسرة!..و هذا الزبير– رضي الله عنه– يخلف حين مات من الدين مائتي ألف أوأكثر كل ذلك من الجود و السخاء و البذل!. وهذا طلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه – يعطي حلي أهله لمن سأله. فهذا يدل على أن القوم كانوا كما قال الله – عز وجل – حين أمرهم فقال: (وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)[1]. فهذا هو حال الصحابة الكرام الذين نصروا النبي – صلى الله عليه وسلم — وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه حق لهم أن يملكوا الدنيا ولاحرج، فهم خيار الأمة ومصابيح الدجى، من سار على نهجهم فقد اهتدى، قال فيهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم فقد اهتديتم "[2]

االفرع الثاني: مقام التوكل و الرضا

1 – **مقام التوكل**: إذا علمنا أن الإسلام هو أن تسلم لله قلبك، وأن تنقاد في أمرك ونهيك لله رب العالمين, إنه التوحيد المتضن لقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وهو إسلام الوجه لله، وذلك يقتضي فيما يقتضي التوكل على الله،كجزء لا يتجزأ عن الإسلام. وينقسم التوكل بحسب درجاته، ويأخذ اسما تبعا لدرجته فيكون توكلا، و يكون: تسليما ويكون: تفويضا. والتوكل هو بداية هذا المقام الروحي، والتسليم وساطتة والتفويض نهايته. أي أسمى درجات التوكل، و مع ذلك فإن كلمة "التوكل" تطلق على كل درجاته

[1] – سورة الحديد / الآية 07

[2] – ذكره الالباني في سلسلة الاحاديث الضعيفة تحت رقم 158

وتستعمل في كل أنواعه، وعلى هذا الوضع، يأمر سبحانه وتعالى به جاعلا منه صفة؛ لا تنفك عن الإيمان قائلا: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[1] ويأمر سبحانه به أمرا مطلقا كل مؤمن فيقول: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[2]. وإذا توكل الإنسان على الله سبحانه و تعالى، فإن ثمرة ذلك أمران:

- الأمر الأول هو حب الله له، يقول سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[3].

- والأمر الثاني هو كفاية الله له، يقول سبحانه: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[4] و هناك ثمار هي تفصيل لهذين الأمرين، أو هي نتائج لهما: نتحدث عنها إن شاء الله تعالى. ومع أن أمر التوكل في ظل القرآن و المحجة البيضاء واضح كل الوضوح, فإن الناس جعلوا من التوكل مشكلة يتجادلون فيها ويختلفون، وتتجدد المشكلة كلما جاء ذكر التوكل مع أن الأمرفيه بين, وواضح. لقد سئل يحي بن معاذ- وهو من أئمة الصوفية متى يكون الرجل متوكلا ؟. فقال: إذا رضي بالله تعالى وكيلا، ويتحدث القرآن الكريم عن بعض الظروف التي ظهر فيها أن المؤمنين الصادقين هم الذين يتخذون الله و كيلا يقول سبحانه و تعالى عن المؤمنين في غزوة أحد: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[5]

ماذا كانت النتيجة ؟. (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)[6]. من هم هؤلاء إنهم: (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ)[7]. ذلك أن مشركي مكة لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين يوم أحد أخذوا في العودة إلى مكة، فلما استمروا في سيرهم ندموا, ولم يتمكنوا من المدينة ويجعلوها وما فيها غنيمة لهم حتى أن قائلهم قال: لا محمد قتلتم، ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم، ارجعوا وأرادوا العودة إلى المدينة. ولكن أبا سفيان لم ينس يوم بدر, ولم ينس أن الفئة

---

[1] - سورة المائدة / الآية 23

[2] - سورة آل عمران / الآية 122

[3] - سورة آل عمران / الآية 159

[4] - سورة الطلاق / الآية 03

[5] - سورة آل عمران / الآية 173

[6] - سورة آل عمران / الآية 174

[7] - سورة آل عمران / الآية 172

القليلة يوم بدر غلبت ثلاثة أمثالها مع وفرة العدة في الكثرة فأحب أولا: أن يعجم عود المسلمين, وينشر الرعب في صفوفهم؛ إذ مر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون ؟. قالوا: نريد المدينة. قال: فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها إليه. وأحمل لكم في مقابل ذلك زبيبا بعكاظ، إذا وافيتمونا؟. قالوا: نعم. قال : إذا وافيتم محمدا فأخبروه أنا قد جمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. ومر الركب برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه, فكان رد الفعل عند رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وأصحابه ما ذكره الله تعالى بقوله: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[1] قالو ذلك واستدعوا مباشرة للقتال من جديد من كان مجروحا ضمد جرحه، ومن كان قدكل سيفه أحده، ومن كان أمره متفرقا في نفسه أوماله جمعه،واستعدوا لخوض المعركة، بكل ما يملكون من وسائل.وكان أبوسفيان ينتظر نتيجة الرسالة، وما تحدثه من صدى ورجع واحد من وفد عبد القيس يقول لأبي سفيان: لقد رأيتهم كالأسود الموتورة على الأخذ بالثأر، ولما سمع أبو سفيان ذلك أخذ في العودة إلى مكة طلبا للسلامة.[2]

فقد علمنا مما سبق المعنى الحقيقى للتوكل، فسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – كيف كان يعد العدة, ويأخذ بالأسباب المنوطة في هذه الحياة، وأما الذين يفهمون من التوكل على الله كونه يعنى ترك الأسباب فهم مخطؤون كل الخطأ لذلك يقول الإمام الغزالي: "وقد يظن أن معنى التوكل، ترك الإكتساب بالبدن، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع"[3]. إن المعنى الحقيقي للتوكل: هو أن يعتقد الإنسان اعتقادا جازما أن الأسباب الظاهرة لا تلغي إرادة الله، وأن إرادة الله قاهرة على تلك الأسباب في أسسها وبواعثها, وهي مشرفة على الأسباب في غاياتها ونهاياتها, وعلى الإنسان أن يعمل كما أمر الشرع وعليه أن يكل أمر

[1] – سورة آل عمران / الآية 173 ، 174 ، 175

[2] – ابن هشام / السيرة النبوية/ تق: مصطفى السقا ، الابياري ، شلبي/ دار القلم/ بيروت 1984/ 109/3

[3] - الغزالي / نفس المرجع السابق / ص 164

النتيجة إلى الله سبحانه وتعالى. وقد كان الرسول الله – صلى الله عليه وسلم – إمام المتوكلين وكان إمام المجاهدين الآخذين بالأسباب. وسيدنا أبو بكر – رضي الله عنه – حينما بويع بالخلافة أصبح ذاهبا إلى السوق يتجر كعادته فتكاثر عليه المسلمون قائلين: كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافة النبوة ؟. فقال لهم: " لا تشغلوني عن عيالي فإني إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع "[1]. حتى فرضوا له قوت أهله من بيت مال المسلمين. لقد كان كبار الصحابة – رضي الله عنهم – يعملون ويكتسبون وكانوا مع ذلك من كبار المتوكلين. لذلك نجد الإمام القشيري وهو من أئمة الصوفية يقول : "واعلم أن التوكل محله القلب و الحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى فإن تعسر شيء فبتقديره وإن اتفق شيء فبتيسيره"[2]. فالقشيري بهذا يؤكد صحة ما ذهبنا إليه بأن التوكل في جوهره يعني عقد النية الصادقة والأسباب المشروعة، مصداقا لقوله تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)[3] واقتداء بالسيرة النبوية الشريفة بعد غزوة أحد، و غزوة الأحزاب، كيف كان مستوى التوكل عند الرسول وصحبه الكرام، بعد أن استوفوا شروط الأخذ بالأسباب سلموا أمرهم إلى الله، لأن النتائج موكولة إليه سبحانه.

قال تعالى في حقهم:(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)[4]، لقد زادتهم رؤية الأحزاب– الجيوش الجرارة التي أتت لتهدم المدينة وتقتل من فيها– زادتهم إيمانا بالنصر وتسليما لأمر لله. لقد سهروا ليلا، وأقاموا نهارا من وراء الخندق، يرقبون حركات العدو، ويستعدون لكل شأن من شؤونه، لقد لبسوا دروعهم، وتسلحوا بسيوفهم، وأقواسهم وسهامهم لقد أحكموا كل أمر من أمور الحرب بحسب طاقتهم، ولكن الأمر فيما اجتهدوا يسلمون به كله لله (إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)[5].ونستطيع ادراك المزيد من الحكم واللطائف الربانية الواردة في هذا الموضوع،ولعل القاريء اللبيب ينتبه إلى سر تقديم هذه الآية الكريمة من سورة

---

[1] - عبد الحليم محمود / نفس المرجع السابق / ص200

[2] - القشيري / نفس المرجع السابق/ ص120

[3] - سورة آل عمران / الآية 159

[4] – سورة الاحزاب / الآية 22

[5] – سورة هود / الآية 123

الأحزاب، وهي قوله تعال:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[1] على الآية السابقة حتى يتهيأ المسلمون للأمر الجلل اللاحق وكان حقا، لقد تابع المؤمنون الرسول- صلى الله عليه وسلم- في توكله واتبعوه في استعداده وتأهبه، لقد اتخذوه قدوة وأسوة حسنة. ويقول الإمام سهل بن عبد الله وهو من جهابذة الصوفية متحدثا عن توكل النبي- صلى الله عليه وسلم- "التوكل: حال النبي – صلى الله عليه وسلم – والكسب: سنته، فمن بقي على حاله فلا يتركن سنته ...من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان... فالتوكل: الإسترسال مع الله تعالى على ما يريد "[2] وهي كلمة نفيسة الإسترسال مع الله على ما يريد في كل ما أراد سبحانه في الجهاد، في الضرب في الأرض طلبا للرزق، في التزود من العلم، في حسن الخلق. إنه الإسترسال مع الله على ما يريد؛ وهذا يقتضي أن يسكن الإنسان إلى النتائج بعد أن يكون قد اتخذ الأسباب بقدرطاقته؛ ويقتضي أمرا آخر هو: الإبتعاد عن كل ما لا يريد سبحانه؛ لقول الرسول- صلى الله عليه وسلم- فيما رواه عن ربه في الحديث القدسي:

"ياعبدي تريد وأريد إذا سلمت لي فيما أريد أعطيتك ما تريد وإذا خالفتني فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد"[3]. وهذا الإمام "حمدون القصار"[4]وهو من كبار الصوفية يقول لما سئل عن التوكل:"التوكل:هو الإعتصام بالله تعالى " إنه الإعتصام بالله تعالى في إتباع أوامره, وهو الإعتصام بالله تعالى في اجتناب نواهيه، وهو الإعتصام بالله تعالى في الحركة, وهو الإعتصام بالله في النتائج، أي السكون إليه في كل ذلك؛ السكون المصاحب للجهاد المتواصل مع السكينة فيما يتعلق بالنتائج والعواقب. من خلال ما سبق أدركنا مفهوم التوكل في عمومه والتسليم في خصوصه، ولنا من القصة الآتية أن نستكمل مفهوم التفويض الذي هو غاية التوكل, وأهم دعائمه الثلاث:" التوكل التسليم، التفويض" إنها قصة رجل مؤمن صادق الإيمان وقف ناصحا في وجه الطغيان والجبروت، يدعوا إلى

---

[1] – سورة الاحزاب / الآية 21

[2] – التستري / تفسير التستري / تق : محمد باسل/ دار الكتب العلمية / بيروت 2002م / 24

[3] – حديث قدسي

[4] – *حمدون القصار* (ت : 271) هو *حمدون* بن أحمد بن عمارة بن رستم النيسابوري ، أبو صالح ، قدوة الملامتية وهو تخريب الظاهر وعمارة الباطن مع التزام الشريعة / انظر : عبد الرحمن السلمي/ نفس المرجع السابق / ص 111

الله ويبشر بالتعاليم الصادقة وينذر ويهدد بالعقاب الأليم بأسلوب قوي لا يخشى فيه لومة لائم. تلك قصة " مؤمن آل فرعون"[1] الذي بعد أن نصح وبشر وأنذر, قال ما ذكره الله في كتابه العزيز:

(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) وكانت النتيجة ما قصه الله تعالى بقوله:(فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) وقد أجمل القصة كاملة في سورة غافر قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)[2]

خلاصة ما ورد في التوكل أنه جزء لايتجزء من الإيمان، وقد علمنا من القرآن والسيرة النبوية الشريفة، وهدي الصحابة والسلف الصالح للأمة ما يرسخ إيماننا ويدعم عقيدتنا ويستوجب محبة الله لنا لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[3] .

2 – مقام الرضا: وإذا كانت المقامات التي ذكرنا: المحبة، والأسوة الحسنة, والتوبة والورع، والزهد، والتوكل كلها بمثابة مدارج للسالك في الطريق إلى الله، فإن أعلى مفازة فيها هي الحصول على رضوان الله تعالى, فيكون المريد ممن وصفهم الله بقوله:

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)[4]، وعليه فما معنى الرضا إذن ؟ إن معنى الرضا أن يبذل الإنسان جهده ليصل إلى ما يحبه الله – سبحانه وتعالى– وإلى محبة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ولكنه قبل الوصول إليه, وفي أثناء محاولاته للوصول إليه ينبغي أن يكون مطمئنا إلى النتيجة على أي وضع أحبها الله، راضيا بها لأن الأمر كله لله

---

[1] – ذكرها الله في القرآن في سورة غافر

[2] – سورة غافر/ الآية 38الى45

[3] – سورة آل عمران / الآية 159

[4] – سورة البينة / الآية 08

عاقبته، ومصيره بيده – سبحانه وتعالى– بيده ملكوت كل شيء, لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. يجب أن يكون كل ذلك وافرا في ذهنه، مفعما به شعوره مع إيمانه بأنه – سبحانه – حكيم, رحمن, رحيم, إنه عندئذ الرضا. يقول صاحب اللمع: " والرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا، وهو أن يكون قلب العبد ساكنا تحت حكم الله – عز وجل–والرضا آخر المقامات, ثم يقتضي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب ومطالعة الغيوب, وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال "[1]. ولكن أمر الرضا أحيانا يلتبس على بعض الناس فيما يتعلق بالسلبية والإيجابية. مما يجعل طرح اللإشكال التالي؛ ومحاولة إزالته هدفا منشودا. فهل الرضا يتنافى مع العمل؟. هل الرضا يقتضي ألا يحاول الإنسان الخروج من الضيق إلى السعة، ومن الذل إلى العز، ومن الهزيمة الى النصر ومن العسر إلى اليسر, ومن الحسن إلى الأحسن ومن الشريف إلى الأشرف ؟.

هل الرضا أن تسكن مستسلما مذعنا للأمرالواقع ؟.كلا. وإذا اعتقد أحد ذلك فإنه يكون تلبيسا إبليسيا – على حد تعبيرات ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس – إن القرآن الكريم يذكر الرضا في مناسبات منها قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)[2] . لقد رضي الله عنهم وهم يبايعون على الجهاد، وعلى الموت في سبيل الله. إن البيعة كانت على القتال لتحقيق العزة لله ولرسوله، فهذا هوالمفهوم الإيجابي للرضا يقول الإمام الألوسي: "وأصل هذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لقول لله تعالى:(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما نزل الحديبية بعث " خراشا "[3] – بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف بعدها شين معجمة – رسولا إلى أهل مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب يعلمهم أنه جاء معتمرا لا يريد قتالا، فلما أتاهم وكلمهم عقروا جمله, وأرادوا قتله فمنعهم الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فدعا عمر – رضي الله تعالى عنه – ليبعثه فقال: يا رسول الله إن القوم قد عرفوا عداوتي لهم, وغلظي

---

[1] – السراج الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 80 - 81

[2] – سورة الفتح / الآية 18

[3] – *خراش* بن أمية بن الفضل الكعبي الخزاعي، مدني، شهد مع *النبي*– صلى الله عليه وسلم– الحديبية وخيبر وما بعدهما من المشاهد.

عليهم, وإني لا آمن مكرهم – وليس بمكة أحد من بني عدي يغضب لي إن أوذيت – فأرسل عثمان بن عفان فإن عشيرته بها, وهم يحبونه وأنه يبلغ ما أردت. فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عثمان فأرسله إلى قريش وقال: أخبرهم إنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارا، أدعهم إلى الإسلام وأمره – عليه الصلاة السلام – أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله تعالى يظهر دينه بمكة. فذهب عثمان – رضي الله عنه – إلى قريش وكان قد لقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله عليها وأجاره، فأتى قريشا فأخبرهم فقالوا له: إن شئت فطف بالبيت, وأما دخولكم علينا فلا سبيل إليه. فقال – رضي الله تعالى عنه– ما كنت لأطوف به حتى يطوف به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاحتبسوه. فبلغ رسول الله– صلى الله عليه وسلم — والمسلمين.

أن عثمان قد قتل فقال – عليه الصلاة والسلام: (لا نبرح حتى نناجز القوم) ونادى مناديه – عليه الصلاة والسلام– ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله– صلى الله عليه وسلم – فأمره بالبيعة, فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوه، فسار المسلمون إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبايعوه. عن سلمة بن الأكوع قال:"بايعت رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم–تحت الشجرة, قيل على أي شيء تبايعونه يومئذ قال: على الموت "[1]. عن معقل بن يسار: " أنه كان آخذا بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يبايع الناس"[2] ويقول الله تعالى في محكم تنزيله:
(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[3]، إن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه, لا

[1] – أخرجه البخاري من حديث سلمة بن الأكوع
[2] – أخرجه مسلم من حديث معقل بن يسار
[3] – سورة المجادلة / الآية 22

يوادون من حاد الله ورسوله، وإنما يعادونهم ويحاربونهم. ورضا الله تعالى إنما هو في أن يقف الإنسان موقفا صلبا في وجه كل من يحاد الله ورسوله. يقول تعالى للمؤمنين:(وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)[1]. ويتحدث الله – سبحانه – عن جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساد. فيقول: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[2]. فالحرب دائرة على مر الزمن بين أنصار الله وأعدائه، وبين من ينتصرون للفضيلة ومن يحاولون إشاعة الرذيلة بين عباد الرحمن وأتباع الشيطان، ولكن حزب الله هم المفلحون الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

حزب الله إنما هو هذه الطائفة التي قال في حقها رسول الله– صلى الله عليه وسلم: (ما تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة)[3], وهم ظاهرون على الحق بكل ما في استطاعتهم من إمكانات, ظاهرين على الحق بالسيف، ظاهرين على الحق بالمنطق. ورسول الله – صلى الله عليه وسلم– هو إمام المحبين, وسيد الراضين. كانت حياته كلها كفاحا في سبيل الله تعالى، جهاد بالسيف, وجهاد بالقول، لقد كانت جهادا: "قولا، وعملا" وكان – صلى الله عليه وسلم – الأسوة للراضين.

---

[1] – سورة التوبة / الآية 123

[2] – سورة المائدة / الآية 33

[3] – رواه الامام مسلم من حديث جابر بن عبد الله

الفصل الثالث

التصوف والأفكار الدخيلة

المبحث الأول

دعوى التحلل من التكاليف الشرعية وموقف الإسلام منها

وبه مطلبان:

المطلب الأول: دعوى التحلل من التكاليف الشرعية

المطلب الثاني : موقف الإسلام من دعوى التحلل

المطلب الأول: دعوى التحلل من التكاليف الشرعية

نرى في العصر الحاضر من يزعمون أنهم وصلوا إلى درجة من المعرفة الصوفية العليا إلى حد أنهم يدعون أنه لا تجب عليهم التكاليف الشرعية، وهذه بدعة ضالة أخذت تتسرب إلى بعض النفوس التي لم تتعمق في الجانب الديني عموما، ولا في الجانب الصوفي خصوصا. هذه البدعة ترى أن السالك الذي وصل إلى درجة معينة من المعرفة تسقط عنه التكاليف الشرعية, فليس عليه صلاة، ولا زكاة، ولا حج، ولا غير ذلك من أنواع العبادات في الإسلام، وهؤلاء هم الذين وقعوا في الإباحة, وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام, ولم يميزوا بين الحلال والحرام, وبين الخبيث والطيب.

يقول الإمام الغزالي مبينا أصناف هؤلاء: "فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن علمي فلم أتعب نفسي، وبعضهم يقول: قد كلف الناس بتطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال، فقد كلفوا ما لا يمكن, وإنما يغتر به من لم يجرب، وأما نحن- أي مغروري الصوفية- فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال، وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب؛ وقلوبنا والهة بحب الله؛ وواصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا، وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب، وبعضهم يزعمون أنهم قد ترفعوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس

بالأعمال البدنية، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لتفوقهم فيها، ويرفعون أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم السلام "[1] إن ما ذكره هؤلاء المبتدعون لا سند لهم فيه, ولا دليل يسوغ لهم القول برفع التكاليف والتحلل من الشريعة. فهم يقولون: إن الأعمال لا وزن لها, كيف والدين يأمرنا بالعمل بل قرنه بالإيمان، ورتب الجزاء عليه. قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا)[2] وقال تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)[3]

المطلب الثاني:موقف الإسلام من دعوى التحلل من التكاليف الشرعية

لقد وجد من لا يتقون الله ممن يدعون التصوف وهم بعيدون عنه، وجدوا فرصة سانحة في هؤلاء الشباب الذين تسلحوا بأسلحة العلم المادي، ولم يكن لهم حظ من علوم الشريعة، فنصبوا لهم شباك الإيمان عن هذا الطريق القائم المضطرب، وألقوا إليهم بهذه الرقى والتعاويذ، وملؤوا أدمغتهم بهذه الأحاجي والألغاز، وأوهموهم بأنهم هم خلفاء الله على هذه الأرض الذين أطلعهم الله على خزائن علمه، فانجذب نحوهم هؤلاء الشباب لكي يصلوا إلى الله من أقرب الطرق وأيسر السبل، وما دروا أنه سراب إذا جاءوه لم يجدوه شيئا. إن خطورة هؤلاء الأدعياء ليست قاصرة عليهم وحدهم، ولكن خطرهم يعود على المتصوفة كلهم بل على الأمة الإسلامية كلها، لهذا شاءت إرادة الله- تعالى أن يقيض لكل عصر مصلح مجتهد؛ يحاول أن يكشف حيل المبطلين؛ ويفضح تزييفهم ويحذر الناس منهم ومن طريقهم، ونسي هؤلاء المبتدعة أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه، وكان كثيرا ما يوصى ابنته فاطمة الزهراء- رضي الله عنها- يقول لها: (اعملي يا فاطمة فإني لا أغني عنك من الله شيئا)[4]، كما كانت وصيته لأصحابه وهو على فراش الموت: (العهد الذي بيني وبينهم الصلاة)[5]، وما جر هؤلاء الأدعياء إلى مثل هذه الأقوال إلا لأنهم سلكوا

---

[1] – الغزالي/ احياء علوم الدين / ج3 / ص393 بتصرف

[2] – سورة الكهف / الآية 107

[3] – سورة الزلزلة / الآية 7،8

[4] – رواه الامام مسلم في باب للايمان عند قوله تعالى : وانذ عشيرتك الاقربين رقم الحديث 843

[5] -- رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله / البخاري في الوصايارقم 2753/ النسائ في الصلاه رقم 463/

الطريق بدون علم ودراية، فكان شأنهم الضلال والخسران والإنحراف عن دين الله. إن فكرة اسقاط التكاليف الشرعية، ليست وليدة العصر الحديث وإنما هي ضلالة قديمة نمت وترعرعت في أوساط متحللة انتسبت إلى التصوف انتسابا باطلا، وحاربها ممثلو التصوف في كل عصر ومصر بل وفي كل بيئة. ذلك أن القول الفصل في كل مشكلة من المشكلات, إنما يرجع فيه إلى الذين يمثلون الموضوع الذي تنسب إليه المشكلة، وإذا رجعنا إلى أرباب التصوف الذين يمثلون التصوف الإسلامي حقا؛ سواء في ذلك القدماء منهم والمحدثون, لوجدناهم ينكرون الفكرة إنكارا تاما، ويرونها زيفا وباطلا.

فهذا أبو زيد البسطامي يقول لأحد جلسائه: " قم بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية- وكان رجلا مشهورا بالزهد- يقول رفيق أبي يزيد البسطامي فمضينا إليه، فلما خرج من بيته, ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة, فانصرف

أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله- صلى الله عليه وسلم - فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه "[1]. فهذ أبو يزيد لم يتحمل أن يخالف إنسان أدبا من آداب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ويضع مقياسا للمريدين والسالكين لمعرفة الشيخ فيقول: " لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقى في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدوه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأدب الشريعة "[2].وأما "سهل بن عبد الله التستري"[3]، فبين لنا الأصول الحقيقة لسالكي الطريق فيقول: " أصول طريقتنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى, والإقتداء بسنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة وأداء الحقوق, فمن خرج عن هذه الأصول فليس صوفيا, ولا ينسب إلى أهل التصوف"[4] وقال رجل للجنيد: "من أهل المعرفة أقوام يقولون: إن ترك الحركات من باب البر والتقوى؛ والمقصود بترك الحركات يعني ترك الأعمال: كالصلاة، والصوم وغيرها، فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم والذي يسرق ويزني أحسن حالا

والبيهقي من حديث بريدة في دلائل النبوة رقم 427

[1] – عبد الرحمن السلمي / نفس المرجع السابق / ص 37

[2] – عبد الرحمن السلمي / نفس المرجع السابق / ص 100

[3] – عبد الرحمن السلمي / نفس المرجع السابق / ص 49

[4] – القشيري / نفس المرجع السابق / 2 / 605

من الذي يقول هذا, فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى, ورجعوا إلى الله فيها ... الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول – صلى الله عليه وسلم– واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ...من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر, لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة "[1] .

وإذا وصلنا إلى الإمام الغزالي فإننا نجده يقول في شيء من التفصيل: " واعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل، والمدعي فيه كثير، ونحن نعرفك علامته؛ وذلك أن تكون جميع أفعاله الإختيارية موازنة بميزان الشرع، موقوفة على توقيفاته: " إيرادا، وإصدارا وإقداما, وإحجاما " إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ولا يصل فيه إلا من واظب على جملة النوافل، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض "[2]

ومن هذا النص يتبين لنا أن ترك النوافل لا يوصل إلى هذا الطريق، فكيف بالذي يترك الفرائض، فمحال أن يصل من لم تكن جميع أفعاله موزونة بميزان الشرع. يتساءل الإمام الغزالي ويجيب: "فإن قلت فهل تنتهي رتبة السالك إلى الحد الذي ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات، ولا يضره بعض المحظورات، كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل في هذه الأمور. وأقول لك: اعلم أن هذا عين الغرور، وأن المحققين قالوا: لو رأيت إنسانا يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وهو يتعاطى أمرا يخالف الشرع، فاعلم أنه شيطان"[3], فالذي يخالف شريعة الله ويتعدى حدوده فليس من المتصوفة في شيء، ذلك لأن التصوف الحق كما قال أبو الحسن الشاذلي: " إذا تعارض كشفك مع كتاب الله والسنة؛ فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف وقل لنفسك أن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها في جانب الكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة "[4]، والصوفية في كل أقوالهم وأفعالهم، يعتمدون على النصوص القرآنية, والسنة النبوية القولية, والعملية للرسول – صلى الله عليه وسلم – وهم يعلمون أنه كان المثل الأعلى في أداء الشعائر إلى آخر لحظة من حياته الطاهرة.

---

[1] – عبد الرحمن السلمي / نفس المرجع السابق / ص 37

[2] – الغزالي / المنقد من الضلال/ص131

[3] – السلمي/ طبقات الصوفية /ص37

[4] – القشيري/ الرسالة القشرية/ 2/ 60

وهـذا مفكـر مـن مفكـري العصـرالحديث كـان يعتنـق المسـيحية ثم هـداه الله إلى الإسـلام فأسلم, وسلك طريق التصوف الإسلامي، وهو عبد الواحد يحيى[1] يقول:

" إن بعض من يزعمون الإنتساب إلى التصوف ينكرون ضرورة الشريعة أو يهملون العمل بها "[2]. ويرى أن إهمال الشريعة – وعلى الخصوص في الجانب العملي منها – يقلل من أهمية الجانب العلمي في التصوف نفسه وهذا خطأ كبير، فمن الخير لمن يريد سلوك الطريق الصوفي أن يلتزم بالشريعة إلتزاما كليا قبل أن يبدأ سلوك الطريق، وإذا لم يتبع الشريعة ويلتزمها فلا خير فيه بالنسبة للجانب الصوفي.

ويرى أن الشريعة والحقيقة متصلتان إتصالا، بل هما مظهرين لشيء واحد, أحدهما: خارجي, والآخرداخلي، وأحدهما ظاهر, والآخرباطن، لذلك ما يوجد في الغرب من جماعات تدعي أنها على المنهج الصوفي؛ وهي مع ذلك لا ترتكز على أية شريعة إلآهية مجرد خداع، ومن البديهي أن هذه الجماعات من وجهة النظر الصوفية الصحيحة ليست على شيء، وكل فكرة لا ترتكز على أساس السنة الصحيحة؛ إنما هي باطلة. ويضرب لذلك مثلا فيقول:" إن الإنسان لا يشيد القصر في الهواء، إنه لا يشيده على أسس هي بناء في الهواء، إنها بذلك بناء على غير أساس، والبناء الذي يمكن أن يبقى على الدهر لا بد له من أسس مدعمة، وعلى الأسس يرتكز البناء كله حتى الأجزاء العليا منه والإرتكاز على الأساس يستمر حتى بعد انتهاء البناء, وعلى هذا النمط تكون النسبة بين الشريعة والتصوف. فالشريعة الصحيحة هي الأساس الذي لا بد منه لكل سالك

كالأساس بالنسبة للبناء تماما، ولا يمكن طرح الشريعة بعد سلوك الطريق"[3]. ويرى أن الصوفي عندما يسير في طريقه, ويستغرق فيه؛ تبدو له ضرورة إلتزام الشريعة، وتتضح معرفته بها، ويصبح أكثر فهما ودراية بحقيقتها من أولئك الذين آمنوا بها ودرسوها دون أن يسلكوا

---

[1] – هو رينيه جينو فرنسي الاصل و النشاة، اسلم وسمى نفسه عبد الواحد يحي، وكان اسلامه ثورة كبرى، هزت ضمائر الكثيرين فاقتدوا به؛ واعتنقوا الاسلام وكانو جماعات مؤمنة تعبد الله على يقين في معاقل الكاثوليك في فرنسا وسويسرا، دافع عن التصوف الاسلامي واشاد به، وبين ان التصوف المسيحي لا يبلغ ما بلغه التصوف الاسلامي من سموا ورفعة/ أنظر مقدمة المنقذمنالضلال / عبد الحليم محمود/ص123

[2] – عبد الحليم محمود / مقدمة المنقد/ من مقال لعبد الواحد يحي / 137

[3] - عبد الحليم محمود / مقدمة المنقد/ من مقال لعبد الواحد يحي / 137

طريق التصوف, ذلك لأن الصوفي يعيش في جوها الروحي ويحييها [1]. ثم يقارن بين رجل الدين, وبين الصوفي من حيث إلتزامهما بالشريعة فيقول:

" وإذا كان لا يقبل من رجل الدين أن يعلن تدينه دون أن يجعل للشريعة السيطرة على قيادته، فإنه لا يقبل- من باب أولى- من رجل التصوف أن يزعم انتسابه إلى الصوفية دون أن تسيطر شعائر الدين والتزاماته على حياته.

وعلى هذا فالشريعة ضرورة يلتزم بها كل الناس، الصوفي وغير الصوفي، لأن هؤلاء الذين يريدون أن يسلكوا الطريق الصوفي لن يصلوا حتى إلى أول مراحل الطريق؛ إذا لم يلتزموا الشريعة إلتزاما تاما "[2] فالذي لا يلتزم بالشريعة "قولا، وعملا"، محال أن يصل إلى هذا الطريق. إن هؤلاء الذين قالوا برفع التكاليف قد خالفوا الإسلام، وأقوالهم هذه تتعارض مع جوهر الإسلام، ومع روح العقيدة الإسلامية الغراء، ذلك لأن العبادات في الإسلام إذا كان هدفها تزكية النفس وتطهير المجتمع، فإن العبادات في التصوف هدفها ربط القلب بالله. فهؤلاء الذين يقولون برفع التكاليف عن أنفسهم لأنهم بلغوا درجة اليقين- في زعمهم - نقول لهم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحب الشريعة والبرهان، كان الأحرص على التكاليف حتى ساعة مرضه، مرض الموت، فقد صلى بالمسلمين إماما وهو جالس وليس ذلك فحسب، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أجل وعده بالشفاعة العظمى والمقام المحمود, فقد ازداد تكليفه عن أمته, قال تعالى:(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)[3] وقال تعالى: "وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ"[4]

---

[1] - عبد الحليم محمود / مقدمة المنقد/ من مقال لعبد الواحد يحي / 137 بتصرف

[2] - عبد الحليم محمود / مقدمة المنقد/ من مقال لعبد الواحد يحي / 138

[3] - سورة الإسراء / الآية 79

[4] - سورة الحجر / الآية 99

المبحث الثاني

فرق محسوبة على الصوفية

وبه ثلاث مطالب :

المطلب الأول: الفرقة الاولى

المطلب الثاني: الفرقة الثانية

المطلب الثالث: الفرقة الثالثة

المطلب الأول: الفرقفة الأولى.

هم المنتحلون، والمقنعون والمحسوبون، والدخلاء المزيفون, موجودون في كل عصرومصر بل موجودون في كل ميادين الحياة، في الميدان السياسي، و الميدان الديني، وفي الميدان العلمي وكذلك نجدهم في ميدان التصوف، فقد وجد- خاصة في هذا الزمان- أناس انتسبوا إلى الصوفية وليسوا منهم في شيء، لبسوا المرقع, وتشبهوا بالصوفية في زيهم لكنهم في أفعالهم بعيدون كل البعد عن التصوف. وكان هدف هؤلاء الأدعياء الإستفادة المادية من أقصر الطرق, ولكن لما كانت حقائق كل فن وعلم معروفة لأهله فإن إنتساب هؤلاء المزيفين لا يحط من شأن ذلك الفن, ذلك لأن حقائق كل فن وعلم معروفة, ومحددة من شأنها أن تظهر زيف هؤلاء المزيفين، والتصوف- كعلم ومسلك- انتسب إليه أدعياء مزيفون مبطلون. والإمام الغزالي من رجال التصوف الذين عرفوا أصوله وحدوده، ولذلك نجده يذكر هؤلاء الأدعياء المغرورين في كل فن، فبعد أن بين أصناف المغرورين من العلماء والمغرورين من أرباب العبادات والأعمال، وتكلم عن أدعياء التصوف، وذكر أنهم فرق كثيرة منهم: المتصوفة المغرورين من أرباب الأحوال وهم فرق كثيرة؛ وهم الذين تشبهوا بالمتصوفة في الزى والحركات الظاهرة، وتشبهوا بهم في آدابهم و مراسمهم و أحوالهم الظاهرة كالسماع، والرقص، والصلاة، وخفض صوت, ظانين أن ذلك التشبه ينجيهم. ولذلك لم يسلكوا طريق المجاهدة، والرياضة ومراقبة الله في الظاهر والباطن، وتصفية النفس من أدران المعاصي. وكانوا يهدفون من انتسابهم وتشبههم بالمتصوفة الوصول إلى المال و الجاه، والمنصب من أقصر الطرق وأيسر السبل, فتكالبوا على الحرام وكل ما فيه شبهة, تحاسدوا على القليل والكثير. يقول الإمام الغزالي: " هؤلاء هم متصوفة أهل هذا الزمان إلا من عصم الله، اغتروا بالزي والهيئة والمنطق, فشابهوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم,

وأدبهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وأحوالهم الظاهرة, ظنا منهم أن ذلك ينجيهم، ولم يتعبوا أنفسهم قط بالمجاهد والرياضة و المراقبة وهذا الصنف ليس من الصوفية في شيء[1].

فالتصوف الحق يكون بالمجاهدة، ومراقبة القلب لله في جميع تصرفاته الظاهرة والباطنة وتطهيره من الذنوب والآثام، وأما هؤلاء الذين يهملون المجاهدة، والرياضة، لتخلية القلب من الرذائل، ويتكالبون على الحرام، ويرون أن التصوف مظاهروأشكال، هؤلاء مرتزقة دخلاء على التصوف. ومما يندى له الجبين أن هذا الصنف من الدجالين؛ قد انتشر في مجتمعاتنا هذه, مما يسيء إلى التصوف الصحيح الذي هو لب الشريعة. ومثال هذه الفرقة " عجوز قبيحة سمعت أن الأبطال والشهداء كتبت أسماؤهم في السجلات ليمنحوا جوائز فلبست ملابسهم، ووصلت إلى الملك، فعرضت على ميزان العرض فإذا هي عجوز مقبحة لا تشبه الأبطال في شيء، عند ذلك قيل لها: لماذا لا تستحين في استهتارك بالملك, فكان جزاؤها أن طرحوها حول الفيل, فركضها حتى ماتت، فكذلك هؤلاء الأدعياء لن ينالوا إلا خزيا و نكالا[2].

[1]- عبد الفتاح محمد سيد احمد / نفس المرجع السابق / ص 140 – 145 بتصرف

[2] – الغزالي / الكشف والتبين / المكتبة التجارية / القاهرة 1972م / ص67 بتصرف

المطلب الثاني: الفرقة الثانية

هذه الفرقة تهتم بالمظهر ولا تهتم بالمخبر، لم ترض بالدون في المطعم والمنكح، والسجادة النفسية النادرة التي قيمتها أكثر من قيمة الحرير، ولا يتركون معصية ظاهرة، فكيف بباطنة، وقد حذر الإمام الغزالي من مغبة السير في هذا الطريق يوم القيامة بقوله: " كيف يكون حال المدعين للتصوف في القيامة، إذا كشف عنهم الغطاء، وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي المرقع بل إلى سر القلب، وهؤلاء ضررهم كبير وشرهم مستطير, ولا يقتصر ذلك عليهم فقط، بل يشملهم هم وغيرهم، وشر هؤلاء ما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم، ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة، ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه، فيصرح بذم الصوفية على الإطلاق. فهؤلاء أشد ضررا من الفرقة الأولى، إذ لا يسلم منهم أحد. من اقتدى بهم يهلك، ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف ويذمه على الإطلاق، بل هؤلاء أشد ضررا من اللصوص لأنهم يسرقون القلوب بالزي، ويقتدي بهم غيرهم فيكون سبب هلاكهم"[1]

فعلا هؤلاء القوم هم أكثر فسادا وأكثر وبالا على الصوفية والتصوف من الكفرة الملحدين لأن الكفرة المردة فسقهم معلوم وعندئذ لا عهد بيننا وبينهم، أما أصحاب الرسم والشكل ظاهرهم باطل، وباطنهم من قبله العذاب. لذلك تجدهم يتشكلون بكل أشكال الزيف ولايتحرجون من دعوى الإنتساب لأهل التصوف زورا وبهتانا, ومثل هذه الفئة الباغية المفسدة هي التي جنت على التصوف مما جعل العامة من الناس تنخدع بهم والخاصة ينكرون التصوف الموسوم بأفعالهم، ويعتبرونه بدعيا منحرفا، والتصوف السني وصوفيته منهم براء .

---

[1] - الغزالي / نفس المرجع السابق / ص69

المطلب الثالث:الفرقة الثالثة

و هي التي تدعي علم المكاشفة، والمعرفة الذوقية. وهؤلاء أبعد ما يكونوا عن الدين، فلا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، وهؤلاء يدعون أنهم وصلوا إلى الحقيقة التي لا يعبر عنها بألفاظ، ولذلك أخذوا يلفقون كلمات غير مفهومة, ويعتقدون أن هذه الطلاسم أعلى من علم الأولين والآخرين. ونظروا إلى العلماء بعين السخرية وأنهم هم الواصلون إلى الحق، وأن غيرهم من العباد أجراء متعبدون، والعلماء محجوبون. هؤلاء يحتقرون العلماء لأن المقصود عند هؤلاء الأدعياء العمل، ولا يفهمون أن العلم نور القلب. ولوعرفوا مرتبة العلماء في حفظ الشريعة؛ وأنها مرتبة الأنبياء, لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء، والعمى عند البصراء. والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم. يقول الإمام الغزالي: "منهم فرقة أخرى ادعت علم المكاشفة[1]، ومشاهدة[2] الحق ومجاوزة المقامات[3] والوصول إلى القرب...[منهم من يشعرك] كأنه يتكلم بالوحي ويخبرعن أسرار الأسرار, ويستحقر بذلك جميع العباد و العلماء "[4]

إن هؤلاء الأدعياء المغرورين، قد أساؤوا إلى التصوف بما يلقونه على مسامع الناس من طلاسم، وألغاز، وعبارات لا معنى لها. ولا علاقة لها بالتصوف. وأساؤو إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء. هم بذلك أساؤوا إلى الدين بصفة عامة. والإمام الغزالي يذكر لنا حكمه على هذه الفرقة فيقول:" فهو أي هذا الفريق عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب

---

[1] – المكاشفة: هي الحضور الذي لايدخل في التعبير، وعلامتها مداومة التعبير في كنه عظمة الله تعالى/ الاحياء 5/ 16

[2] – المشاهدة: تطلق على رؤية الاشياء بدلائل التوحيد، والمكاشفة والمشاهدة متقاربتان في المعنى ، لكن المشاهدة أعم وأتم / الاحياء 5 / 16

[3] – المقام : هو الذي يقوم به العبد في الاوقلت من صنوف العبادات وفي المعاملات والمجاهدات / انظر : الاحياء 5 / 16

[4] - الغزالي / الاحياء / فصل الاملاء في اشكال الاحياء/ 5 / 16

القلوب من الحمقى الجاهلين، لم يحكموا علما، ولايهذبوا خلقا، ولايراقبوا قلبا، سوى اتباع الهوى، وتلفيق الهذيانات، ولو اشتغلوا بما ينفعهم كان أحسن لهم "[1]

المبحث الثالث

آراء ومواقف حول الصوفية والتصوف

وبه ثلاث مطالب :

المطلب الأول: موقف أهل السنة من الصوفية والتصوف

والمطلب الثاني: موقف الشيعة والحوارج من الصوفية والتصوف

وبه فرعان :

الفرع الأول: موقف الشيعة من الصوفية والتصوف

الفرع الثاني: موقف الخوارج من الصوفية والتصوف

المطلب الثالث: النقد الذاتي الصوفي

وبه ثلاث مطالب :

المطلب الأول: الطبقة الأولى

المطلب الثاني: الطبقة الثانية

المطلب الثالث: الطبقة الثالثة

[1] - الغزالي / الكشف والتبين / ص 70-71

المطلب الأول: موقف أهل السنة من الصوفية والتصوف.

كان أهل السنة من أشهر الفرق هجوما على التصوف والصوفية من منظور بدعي وهذا هو "أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى"[1] من علماء أهل السنة شديدا في هجومه على التصوف, وقد أخذ على الصوفية عدة مآخذ ذكرها في كتابه: "تلبيس ابليس" وها نحن نلخص هذه المآخذ فيما يلي:

1- انصرفوا عن العلم إلى العمل، وانصرفوا عن القرآن, والحديث إلى المواعظ والخطرات.

2 - إنهم قالوا بالحلول" أي المنحرفون منهم".

3 - إنهم دعوا إلى الخروج عن الأموال, والتجرد عنها.

4 - إنهم اتخذوا زيا خاصا بهم، مثل لبس الصوف، ولبس الخرق والمرقعات.

5 - إنهم تجاوزوا الحدود في العبادات في الطهارة والصلاة.

6 - إنهم اصطنعوا السماع, والرقص, واستدعاء الوجد.

7- إنهم اتخذوا أو ضاعا خاصة في الطعام.

8 - إنهم دعوا إلى التوكل وقطع الأسباب، وترك الإحتراز في الأموال، وترك التداوى.

9 - آثروا العزلة والوحدة والإنفراد عن الناس، وفضلوا عدم الزواج على الزواج ودعوا إلى ترك طلب الأولاد حين الزواج.

10 - إنهم دعوا إلى السياحة لا إلى مكان معروف، ولا إلى طلب علم، وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زادا، ويدعي بذلك الفعل التوكل

---

[1] - ابن *الجوزي* ، هو أبو الفرج *عبد الرحمن بن* أبي الحسن علي *بن* محمد القرشي التيمي البكري. فقيه حنبلي محدث و مؤرخ و متكلم توفي 597 هـ / أنظر أعلام النبلاء

11- الشطح والدعاوى، وادعاء الكرمات والمخاريق والشعوذة [1]

ونلاحظ أن هذه المآخذ التي ذكرها ابن الجوزى، تعتبر خروجا عن التصوف، وعن طريق الصوفية، وانحرافا يبعد التصوف عن جوهر الدين وحقيقته.

يقول الطوسي: " أغلاط وقع فيها بعض الصوفية "[2].

ثم يأتي ابن تيمية ويشتد في هجومه على أصحاب التصوف المنحرف القائلين بالإتحاد والحلول ووحدة الوجود، ويفند آراهم ويرد عليهم بقوله: "وقد تنازع الناس في طريقهم: فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة وطائفة غلت فجعلت طريقهم أفضل الطرق "[3] ولكنه يعود فيفصل في هذا الخلاف فيقول: " الصواب أنهم يجتهدون في طاعة الله، فمنهم المذنب والتقي"[4] والخلاصة أن

ابن تيمية لا يهاجم التصوف بما هو تصوف، وإنما يهاجم ما جرى من انحرافات في نظره عن طريق التصوف الصحيح .

---

[1] - ابن الجوزي / تلبيس ابليس / القاهرة 1340 هـ / ص 172-173

[2] - الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 409

[3] - ابن تيمية / الفتاوى / التصوف/ 11 / 18

[4] - ابن تيمية / نفس المرجع السابق / ص18

المطلب الثاني: موقف الشيعة و الخوارج

الفرع الأول: موقف الشيعة

إن للتصوف علاقة وطيدة بالتشيع، فقد وصل المتصوفة أئمة الشيعة بمشربهم، وجعلوهم من مؤسسي مذهبهم، ويكفي للدلالة على ذلك أن نذكر هنا ما نقله العطار عن الجنيد أبرز مؤسسي التصوف من قوله في علي: " إن شيخنا في الأصول والفروع، وتحمل البلاء علي المرتضى، لأنه في مباشرته الحرب، قد نطق بأشياء وحكايات, لم يكن لأحد طاقة على سماعها، لقد وهبه الله جما من العلم والحكمة والكرامة"[1]. وقد ذكر السراج أن " لأمير المؤمنين عليا- رضي الله عنه- من بين جميع الصحابة خصوصية بمعان جليلة وإشارات لطيفة، وألفاظ مفردة، وعبارات، وبيان للتوحيد والمعرفة، والإيمان والعلم وغير ذلك وخصال شريفة، تعلق وتخلق بها أهل الحقائق من الصوفية "[2]، وابن خلدون يرى أن الصوفية تأثروا بالشيعة، فيقول في المقدمة :" وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرق: أن عليا ألبسها الحسن البصري، وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة، واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم"[3] ومما تقدم يتضح لنا أن التشيع أثر في التصوف، وأن نظريات الشيعة قد نقلها الصوفية-وخاصة الغلاة منهم- وطبقوها في تصوفهم وعلى شيوخهم. وعلى الرغم من الصلة الوثيقة بين التصوف والفكر الشيعي بعامة والباطني بصفة خاصة، فإننا نجد بعضا من أئمة الشيعة هاجم التصوف، و نجد أن قدماء علماء الشيعة وأئمتهم، هاجموا التصوف. ومن ذلك أنه نسب إلى الإمام "جعفر

---

[1] - الجنيد / تذكرة الاولياء / 2 / 9

[2] - السراج الطوسي/ نفس المرجع السابق / ص 409

[3] - ابن خلدون/ نفس المرجع السابق / 323

الصادق"[1]، أنه سئل عن حال " أبي هاشم"[2] الكوفي فقال: " إنه كان فاسد العقيدة جدا، وهو الذي ابتدع مذهبا يقال له: التصوف "[3]

أبو هاشم هذاكان معاصراً لسفيان الثوري الذي قال عنه: " لولا أبو هاشم ما عُرِفت دقائق الرياء". وكان معاصراً لجعفر الصادق وينسب إلى الشيعة الأوائل، ويسميه الشيعة مخترع الصوفية, وهو أول من تسمى بالصوفي، والشيعة تعتبره من أكابرهم. كما ذكر ذلك ابن النديم في الفهرست. ومن علماء الشيعة القدامى الذين هاجموا التصوف

"الملا صدر الشيرازي"[4] وقد عزا أغلاطهم إلى أمرين:

أ – إن بعضهم ربما اشتغل بالمجاهدة قبل أحكام العلم بالله، وصفاته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، ومعرفة النفس الإنسانية، ومراتبها في العلم والعمل.

ب – وقوع الشئ مما يسمونه خوارق العادات، ويعدونه من الكرامات وهو من الشعوذة والحيل التي يحتال بها أهل المخاريق، والمشعوذون, وأصحاب الفال، والزجر ويهاجم شطحات الصوفية، ويرى أن استماع المسلمين لها فيه أضرار، فإنها تشوش القلوب, وتدهش العقول.

الفرع الثاني: موقف الخوارج

فقد أخذوا على التصوف ورجاله بصفة عامة، اتباعهم للسلطان, وولاءهم وطاعتهم العمياء له حتى ولوكان هذا السلطان، أو ذلك الحاكم ظالما، جائرا في كل أحكامه وتصرفاته. وأخذوا عليهم أيضا قولهم: إن النية أفضل من العمل، وأن الإنسان لا يؤاخذ عقابا بنيته, بل يؤجر عليها إذا هم بها ولم يعملها[5].

---

[1] – *الإمام جعفر الصادق* ولد يوم 17 ربيع الأول 83 هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها. تؤمن الطائفة الإثناعشرية بعصمة *الإمام جعفر الصادق* كعصمة الرسول– صلى الله عليه وسلم –

[2] – أول من عُرف بالصوفي هو *أبو هاشم الكوفي* ت150هـ أو 162هـ بالشام بعد أن انتقل إليها،

د/ الشيبي/ الصلة بين التصوف والتشيع/ الطبعة الثانية / دار المعارف / ص 349

[3] – د/ عبد الرحمن بدوى / تاريخ التصوف الاسلامي/ نشر وكالة المطبوعات الكويت / ص 65

[4] – ملا صدرا محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي 979-1050هجري.

هو خاتمة حكماء الشيعة جمع بين فرعي المعرفة النظري و العملي .ينسب إليه نهج الجمع بين الفلسفة و العرفان و الذي يسمى بالحكمة المتعالية. كان طرحه متطورا جدا و فاق حدود عصره مما صعب على معاصريه أن يقبلوه فلاقى من معاصريه صنوف المضايقات بسبب ذلك فكفر و رمي بأبشع التهم حتى طرد من بلدته, فما كان منه إلا أن هجر القوم إلى القرى النائية منقطعا إلى الرياضة الروحية حتى تجلت له العلوم الباطنية فعاد على البشرية بحكمته المتعالية / د/ الشيبي/ الصلة بين التصوف و التشيع

[5] – الدكتور عبد الفتاح محمد سيد احمد/ نفس المرجع السابق / 64

المطلب الثالث:النقد الذاتي الصوفي

إن الصوفية أنفسهم قاموا بعملية نقد ذاتي، تبينوا من خلالها انحراف بعض الذين اتخذوا التصوف" سلوكا, ومنهاجا". يقول السراج الطوسي: وقد صنف الغالطين في التصوف إلى ثلاث طبقات :

الفرع الأول: الطبقة الأولى

منهم من غلطوا في الأصول من قلة احكامهم لأصول الشريعة، وضعف دعائمهم في الصدق, والإخلاص، وقلة معرفتهم بذلك، كما قال بعض المشايخ : وإنما حرموا الوصول لتضييع الأصول.

الفرع الثاني: الطبقة الثانية

ومنهم من غلطوا في الفروع، وهي الأداب والأخلاق، والمقامات, والأحوال، والأفعال والأقوال، وكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول، ومتابعتهم لحظوظ النفوس، ومزاج الطبع، لأنهم لم يدنوا مما يروضهم, ويجرعهم المرارات، ويوقفهم على المنهج الذي يؤديهم إلى مطلوبهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يدخل بيتا مظلما بلا سراج فالذي يفسده أكثر مما يصلحه، وكلما ظن أنه ظفر بجوهر نفيس لم يجد منه إلا خرقا خسيسا لأنه لم يتبع أهل البصيرة الذين يميزون بين الأشياء، والأشكال، والأخلاق, والأجناس فعند ذلك يقع لهم الغلط، وتكثر منهم الهفوة، والشطط، فهم متحيرون.

الفرع الثالث: الطبقة الثالثة

كان غلطهم فيما غلطوا فيه زلة، وهفوة، لا علة، ولا جفوة، فإذا تبين ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق. ثم بين بعد ذلك أنهم – أى الغالطون – يتفاوتون في الإرادة والنية والقصد، فمن غلط في الأصول فلا يسلم من الضلالة، ولا يرجى لدائه دواء إلا أن يشاء الله ذلك، والغلط في الفروع أقل آفة وإن كانت بعيدة عن الإصابة، وهناك غلط مؤقت

والأغلاط في الأصول خطيرة جدا، ليس لها علاج ولادواء إلا أن يشاء الله ذلك والغلط في الفروع أهون وإن كان لا يزال غلطا، وأما الغلط المؤقت فأمره سهل وهين إذا تبينه المرء سرعان ما يرجع إلى معالي الأمور، لأنه لم يكن ناشئا عن علة وجفوة[1].

المبحث الرابع

التصوف المشروع

كما يراه الغزالي وابن تيمية

وبه مطلبان :

المطلب الأول: التصوف المشروع عند الغزالي

المطلب الثاني: التصوف المشروع عند ابن تيمية

وبه ثلاث فروع :

الفرع الأول: التصوف المشروع

الفرع الثاني: مقام التوبة عند ابن تيمية

الفرع الثالث: موقف ابن تيمية من المبتدعة

[1]- السراج الطوسي / نفس المرجع السابق / ص 410 -411 بتصرف

المطلب الأول: التصوف المشروع كما يراه الغزالي.

الفرع الأول: التصوف المشروع كما يراه الغزالي.

انتهى الإمام الغزالي إلى أصوب الطرق، للوصول إلى اليقين الذي كان ينشده, ويبحث عنه يقول: " أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء, وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوا بما هو خير منه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة "[1] ويرى أن إدراك هذا الطريق لا وصول إليه بالتعليم فحسب، وإنما لابد من الذّوق ومن خوض التجربة ومعاناتها معاناة حقيقية، وهذا الطريق يبدأ بالمجاهدة، مجاهدة النفس:

" إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة أو محو الصفة المذمومة، وقطع العلائق كلها, والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهماحصل كان الله هوالمتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بأنوار العلم "[2]، وهذه شهادة صريحة من الغزالي بأن التصوف الإسلامي الأصيل شيء مختلف تمام الإختلاف عن العلم وعن الفلسفة، فلا يكتسب بهما؛ ولايشتد إليهما, وأنه ليس وليدا لعمل عقلي ذي فراغ فلسفي خاص، بل هو وليد العلم والمجاهدة النفسية, أوالسلوك المرسوم في الطريق الصوفي. ولهذا فإن الإمام الغزالي قد وضع قواعد السلوك؛ على السالك أن يلتزمها ويسير عليهاوهي: " أن يلتزم "بالخلوة"[3]

---

[1] – الامام الغزالي/ المنقذ من الضلال / ص 378

[2] – الامام الغزالي / الاحياء / ج3 / ص 19

[3] – هي نوع من رياضة الصوفية ولها شروط وضوابط ،وهذه أهم الشروط التي ذكرها السهروردي ،والشيخ نجم الدين البكري.

– أن يعود نفسه قبل دخولها إذا أراد الشروع على السهر والذكر وخفة الأكل والعزلة.

-أن يكون دخول الخلوة بحضور الشيخ ومباركته له وللمكان أيضاً.

- أن يعتقد في نفسه أن دخوله الخلوة إنما هو بقصد أن يستريح الناس من شره.

– أن يدخلها كما يدخل المسجد مبسملاً متعوذاً بالله تعالى من شر نفسه، مستعيناً مستمداً من أرواح مشايخه بواسطة شيخه

لأنها تؤدي إلى تفريغ القلب عن الشواغل الدنيوية التي تشكل العقبات الرئيسية في الطريق، إذ ليس سلوك الطريق إلا قطع العقبات، ولا عقبة على طريق الله تعالى؛ إلا صفات القلق التى سببها الإلتفات إلى الدنيا "[1]

المباشر.

- أن يدخل الشيخ الخلوة ويركع فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى في توفيق المريد.

-أن يعتقد عند دخوله الخلوة أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فكلما يتجلى له في خلوته من الصور، ويقول له: أنا الله، فيقل: سبحان الله! آمنت بالله.

-ألا يتلهف كثيراً على كثرة ظهور الكرامات.

-أن يكون غير مستند إلى جدار الخلوة ولا متكئاً على شيء، مطرقاً رأسه تعظيما لله تعالى، مغمضاً عينيه ملاحظاً قوله تعالى: أنا جليس من ذكرني، ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه، فإنه معه وإن لم يره المريد.

- أن يشغل قلبه بمعنى الذكر على قدر مقامه، مراعياً معنى الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه.

- أن يداوم الصوم؛ لأنه يؤثر في تقليل الأجزاء الترابية والمائية فيصفو القلب.

- أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخل فيها شعاع الشمس وضوء النهار، فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة، وسد طرق الحواس الظاهرة شرط لفتح حواس القلب.

دوام الضوء لتلألأ الأنوار فيها بعد ذلك.

- دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى إلا عند الضرورة القصوى فيتكلم بحذر شديد أن يزيد.

– أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الكلام وتشويش الناس عليه.

- كونه إذا خرج للوضوء والصلاة يخرج مطرقاً رأسه إلى الأرض غير ناظر إلى أحد، ويحذر كل الحذر نظر الناس إليه، مغطياً رأسه ورقبته بشيء؛ لأنه ربما يحصل له عرق الذكر فيلحقه الهواء فيضره.

– أن يحافظ على صلاة الجمعة والجماعة — وإن وجد نفقة فليتخذ له شخصاً يصلى معه في خلوته؛ أي بالإيجار.

وإذا خرج لصلاة الجماعة فليتأخر حتى يكبر الإمام تكبيرة الإحرام فإذا انتهى من الصلاة رجع فوراً إلى خلوته , قال السهروري:"وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك لشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة.

-المحافظة على الأمر الوسط في الطعام لا فوق الشبع ولا الجوع المفرط.

-ألا ينام إلا إذا غلبه النوم بأن تشوش عليه الذكر.

-نفي الخواطر عن نفسه خيره كانت أم شريرة.

-دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة، والاعتقاد التام بأنه لا يصل إليه أي خير إلا من قبل شيخه المباشر، ومتى غاب فكره عن الشيخ فقد خسر الصفقة.

– ترك الاعتراض عن الشيخ؛ لأنه أعلم بمصالحه وأكبر عقلاً وأعظم؛ لأنه بالغ مبلغ الرجال بخلاف المريد.

– أنهم في أثناء خلوتهم لا يفتحون أبواب خلوتهم لمجيء الناس وزيارتهم والتبرك بهم، وإياك وتلبيسات النفوس وخداع الشيطان بالإلقاء فيك أن هذا الشخص يهتدي بك وبكلامك وينتفع بملاقاتك في الدين، فإنما من شبكات مكر اللعين.

- أنه إذا شاهدوا أشياء تقع لهم في اليقظة أو بين النوم واليقظة فلا يستقبحون ذلك ولا يستحسنونه، بل يعرضون ذلك على الشيخ وهو يتصرف بعد ذلك.

– دوام الذكر والأذكار حسب ترتيب الشيخ لها.

– الإخلاص وحسم مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية.

– ألا يعين مدة يخرج بعد كمالها، فإن النفس يصير لها بذلك تطلع إلى انقضاء المدة، بل يدخلها وهو يحدث نفسه بأنه قد انتهى من الحياة ودخل القبر.

[1] – الامام الغزالي/ المرجع السابق / ص19

و الخلوة كانت سلوكا لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقد كان يخلو بنفسه في غار حراء، وليس المقصود بالخلوة الإعتزال التام مطلقا، ولكن بالقدر المطلوب لسلوك الطريق وهذا مرده إلى الشيخ المربي. وعلى السالك أن يلتزم بالصمت، لأن الكلام يشغل القلب, بينما الصمت يزكي العقل، ويجلب الورع، ويعلم التقوى، ولا يعني بالصمت الإمتناع عن الكلام مطلقا، وإنما معناه ألا يتكلم إلا بقدر الحاجة.وعليه أن يلتزم بالجوع بالقدر الذي يهذب به شهواته، ويدرب بدنه على تحقيرالملذات والشهوات. وعليه أن يلتزم بالسهر في ذكر الله فإنه يجلو القلب، ويصفيه وينوره. وبالخلوة، والصمت، والجوع, و السهر, يأتي الصفاء للقلب؛ فيصبح كالمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق، ويصبح القلب صالحا للمشاهدة والمكاشفة. والمعرفة أداتها القلب ومنهجها الكشف. ولا يتم جلاء القلب إلا بذكرالله, والإبتعاد عن الشهوات، والإقبال على الطاعة؛ عند ذلك تظهر فيه الحقائق, وينكشف له ما استترعلى الفهم، فيراه كأنه رأي العين. وما يشهده السالك من معارف بالكشف فهي يقينية. ومن ثم كانت علومهم أفضل العلوم، وحتى لا يختلط كشف الصوفية بوحي الأنبياء، فإن الغزالي فرق بينهما، فمعرفة أولياء الله، تتم بلا واسطة من حضرة الحق، وهي إلهام, أو نفث في الروع، لا يدري الصوفي كيف حصل له؛ ولا من أين جاءه، في حين أن ما حصل للنبي من معرفة، يدري سببها, ومصدرها، وهي من الملك الذي نزل له، وكلا العلمين- علم الولي, وعلم النبي- من الله تعالى. وموضوع المعرفة الصوفية عند الغزالي هو: "ذات الله وصفاته وأفعاله، وثمرة هذه المعرفة حب الله، إذ لا تتصور محبة إلا بعد معرفة. وثمرة هذه المعرفة هي: الفناء في التوحيد. فالعارف لا يرى إلا الله، ولا يعرف غيره، ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، فما من فعل ينظر فيه الإنسان إلا ويرى الله فيه فاعلا، فكل العالم تصنيف لله تعالى، فمن نظر إليه من حيث أنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا عارفا إلا بالله. قال تعالى: (وَأَلْقِ عَصَاكَ)[1] أي ما يتوكأ عليه, ويعتمده مما سوى الله فينبغي أن يلقيه. ومن هذا الطريق تصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة، بتأويل ظواهرها مما يؤدي إلى تعطيل الأسباب. ولم يغفل عن التنبيه على المغرورين

[1] - سورة النمل / الآية 10

من المتصوفة – برغم دعواهم – أنهم أهل الله وأصحاب بصائر فقال: المتصوفة المغرورون، وهم فرق كثيرة "[1]

ثم ذكرهم وكشف الستار عن غرورهم فرقة، فرقة، كما تقدم. ومن أهم ما أبرزه الإمام الغزالي في التصوف، أنه نقله من مجرد الذوق, والتحليق, والشطح, والتهويل إلى علم أخلاقي عملي, يعالج أمراض القلوب, وآفات النفوس، ويزكيها بالأخلاق، ويظهر ذلك واضحا في كتابه: "إحياء علوم الدين " فإنه تحدث فيه عن المهلكات، والمنجنيات وكلها تدور حول الأخلاق، فهو يذكر في "المهلكات " كل خلق مذموم، ورد القرآن بذكره، وتزكية النفس عنه، وتطهير القلب منه، ويذكر في"المنجيات " كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها، من خصال المقربين, والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين. واستطاع الإمام الغزالي أن يرجع التصوف إلى المنهج السنى، فأحيا التصوف على المنهج السني – بعد نكبة التصوف، لدى مدرسة الحلاج, وما أثاره من فتن ضد المتصوفة عامة– حتى أصبح الدين صوفيا، وكانت مهمته ناجحة في أنه عمق روحانية الإسلام في العبادات والمعاملات.

[1] – الامام الغزالي / المرجع السابق / ص 20 بتصرف

المطلب الثاني: التصوف المشروع كما يراه ابن تيمية

الفرع الأول: التصوف المشروع كما يراه ابن تيمية

إذا كان شيخ الإسلام عند معالجته لمسألة من المسائل, أوكان يتحدث عن موضوع من موضوعات الفكر, فإنه ينقد ويهدم أولا؛ ثم بعد ذلك ينشئ ويجدد. ولما كانت طبيعة البحث تقتضي أن نتكلم عن الجانب الإنشائي أولا؛ حتى يكون الحديث موصولا بموضوع التصوف، لذلك فإنه يمكن القول بأن ابن تيمية قد استخدم اصطلاح"التصوف المشروع " كثيرا في مؤلفاته كما فعل بالنسبة للزهد المشروع؛ فقد عرفه بأنه المأخوذ عن أصحاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إن ابن تيمية لم يورد تعريفا واضحا للتصوف في كتبه لكن "د/مصطفى حلمى"[1] يذكر أن ابن تيمية أورد عبارات هي أقرب إلى التعريف العلمى الدقيق المنضبط الذي يمكن اتخاذه أصلا يقاس عليه. وهذه العبارات هى: " من بنى الإرادة, والعبادة, والعمل، والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان, والسنة, والهدى الذى كان عليه محمد– صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، فقد أصاب طريق النبوة "[2]. وإذا كان ابن تيمية لم يذكر تعريفا

---

[1] – يعد الدكتور مصطفى كمال حلمي المولود في 6 مارس (آذار) 1922 من أبرز رجالات التعليم والبحث العلمي في مصر،وقد دعم هذا، دراسته لعلوم الهندسة والرياضيات والتي حصل على الدكتوراه في فلسفتها عام 1952. وكذلك خبرته العملية من خلال عمله مدرسا ثم أستاذا بقسم العلوم الرياضية والطبيعة بكلية الهندسة جامعة عين شمس لسنوات طويلة. برز في العديد من المناصب المهمة التي تولاها الراحل، ومن أهمها توليه لفترات متوالية حقيبتي وزارتي التربية والتعليم، والتعليم العالي والبحث العلمي، في مصر خلال الفترة من 1974 إلى 1985 وأيضا توليه نقابة المعلمين لدورات عديدة، وظل نقيبا لها حتى وفاته. فاجتهاداته في إصلاح العملية التعليمية، برغم أهميتها إلا أنها انصبت . في نظر كثيرين . على الصورة العامة والهيكل الخارجي، ولم تتطرق إلى الإصلاح من الداخل وتطوير المناهج، وأنماط التعليم نفسها التي تحتاج إلى تغيير، لكن ما يحسب له دعمه لإنشاء الجامعات الإقليمية والتوسع فيها، والعمل على تعديل قانون الجامعات، كذلك مساهمته الفعالة في إعداد وثيقة السياسة القومية للتنمية التكنولوجية وإنشاء الشبكة القومية للمعلومات بأكاديمية البحث العلمي. وظل منخرطا في المنهج الذي اختاره لحياته حتى وفاته. عام 2008 م ،وللدكتور مصطفي حلمي العديد من المؤلفات والدراسات والبحوث العلمية المهمة حول التعليم والتنمية الاجتماعية والتربية السكانية وسياسة التعليم في مصر. وحصل على العديد من الأوسمة منها وسام التربية من الأردن 1978

2 – ابن تيمية / الفتاوى/ التصوف / 11/ 16

للتصوف –كما يرى كثير من الباحثين– فإن السبب في ذلك يرجع إلى أن الشيخ لا يهتم بالفروق بين ألفاظ: الفقر، والزهد، والتصوف، وذلك لأن المهم عنده هو العمل وليس مجرد الشعارات، والألفاظ، فإذا كانت تدل على طريق العبادة والعمل فإن هذا الطريق يصبح صحيحا إذا اتفق مع الشرع كما كان يسلكه الأوائل، وينحرف إذا ما اتجه في طريق مخالف للشرع. يقول ابن تيمية: "سواء سمي أحدهم فقيرا، أوصوفيا، أوفقيها، أوعالما, أو تاجرا، أوصانعا، أوأميرا, أوحاكما، أوغير ذلك، قال تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)[1]" [2]. يرى ابن تيمية: " أن أصل الدين في الحقيقة الأمور الباطنة من العلوم والأعمال، وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها. كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما رواه الإمام احمد في مسنده: "الإسلام علانية والإيمان في القلب "[3]. بهدا النص فإن ابن تيمية يوافق, ويقر ما اصطلح عليه الصوفية المتمسكين بالشريعة، لكنه لا يقصد بذلك تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن, فإن هذه القسمة مرفوضة عنده، وإنما يقصد بالعبارة التى ذكرناها عنه بيان أن الإخلاص هو حقيقة الإسلام، إذ الإسلام يعني الإستسلام لله لا لغيره، والإخلاص شرط ضرورى لكي يصبح الدين كله لله، والدين لا يكون دينا إلا بعمل. إن هذا الجانب من التصوف عند ابن تيمية يتناول فيه الأحوال والمقامات وأعمال القلوب، فهو يرى أنها تتعلق بالعامة والخاصة، ولا تتعلق بالخاصة دون العامة كما يرى بعض الصوفية, ويشير إلى ذلك بقوله:"إن أعمال القلوب مثل حب الله ورسوله وخشية الله ونحو ذلك كلها من الإيمان "[4]، وأن هذه الأحوال, والمقامات كلها مأمور بها فى حق العامة والخاصة على السواء، وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية بقوله: "وهذه الأعمال الباطنة كمحبة الله، والتوكل عليه والإخلاص له والرضا عنه، كلها مأمور بها فى حق العامة والخاصة, ولا يكون تركها محمودا فى حال أحد وإن ارتقى مقامه "[5]، كذلك فإن ابن تيمية لا يوافق على جعل علل المقامات: كالحب, والرضا والخوف، والرجاء، من مقامات العامة، ذلك لأن هذه التفرقة بين الظاهر, والباطن

---

[1] – سورة يونس / الآية 62 –63

[2] – ابن تيمية / الفتاوى/ التصوف / 11/ 16

[3] - والحديث اخرجه احمد في مسنده 134/3 عن انس وقد سبق ان بينا معنى المقام والحال والفرق بينهما

[4] - ابن تيمية/ الفتاوى/ التصوف /11 / 22

[5] – ابن تيمية / التحفة العراقية فى الأعمال القلبية/ المطبعة السلفية/القاهرة 1386 هـ / 1/ 16 / بتصرف

والعامة، والخاصة، هى التى أوجدت صعوبة فى فهم كلام الصوفية, بل إن منهم من تعمد التعبير عن نفسه بعبارات غامضة مغلقة صعبة الفهم, والتفسير بدعوى الخصوصية لذا فإن شيخ الإسلام ابن تيمية عند معالجته لهذا الموضوع؛ يبتعد كل البعد عن الغموض وتبع الوضوح، لأن الشريعة كلها بأمورها الظاهرة والباطنة؛ تتجه إلى الكافة، فإن الشريعة للناس جميعا. ومع أنه عندما يتكلم عن التصوف، وما يتصل به من أحوال ومقامات، وأعمال قلوب, ومبادئ أخلاقية، فإنه يستخدم لغة أهل التصوف إلا أن له أسلوبه الخاص الذي يستطيع الدارس لآرائه في التصوف؛ أن يستنتج منه مكابدته للتجربة الروحية الكاملة, مما يبرهن على صدق رأيه؛ في أنه بوسع المسلمين جميعا أن يغترفوا من النصوص، فيتذوقوا المواجيد, ويعرفوا الأحوال، والمقامات دون أن يتقيدوا بالطريق الذي رسمه الصوفية لأنفسهم. ومن خلال حديثه عن المقامات, والأحوال يتضح لنا أنه عندما أقام منهجه فى الحياة الروحية, ربط أفكار الصوفية – الذين يسميهم أصحاب التصوف الشرعى– عن المقامات, والأحوال بالآيات القرآنية، وأعطى تفسيرا ذوقيا للمعانى الرقيقة, ووجد من أحاديث الرسول– صلى الله عليه وسلم– سندا لذلك، لانه يرى أن هذين المصدرين: يشكلان المصدر، والنشاة للحياة الروحية في الإسلام، لأن الله تعالى قد أظهر من نور النبوة ما طمس به معالم الأرآء الجاهلية، وعاش السلف في ضوء هذا النورالساطع[1] وسوف ندرس المقامات, والأحوال عند ابن تيمية وكيف أنه صاغها فى طارالمعانى المستنبطة من آيات القرآن الكريم, والسنة النبوية. فقد طرق ابن تيمية مقام التوبة، والفناء, والرضا، والخوف، والرجاء، والمحبة،كما صحح نظريات الزهاد, والصوفية التى لا تتفق مع الكتاب, والسنة. ونقى الذوق، والوجدان وعلم القلوب من الشوائب الدخيلة عليه التى تسللت إلى التصوف بعد أن أثبت زيفها وبطلانها، ذلك لكي يقيم بنيانا شامخا مؤسسا على الإسلام، ومبادئه، وأسسه القويمة. وهذه أهم المقامات, والأحوال عنده :

الفرع الثاني: مقام التوبة: وهى أول مقامات السالكين إلى الله؛ كما يقول بذلك جمهور الصوفية, ولذلك فإن ابن تيمية يستهل "التحفة العراقية في الأعمال القلبية " بالحديث عن التوبة مستندا فى ذلك إلى أن الله تعالى قد أعلن أنه يحب التوابين, ويحب المتطهرين، وأن التوبة من خصال أولياء الله الذين ذكرهم فى كتابه بقوله سبحانه:

---

[1] – ابن تيمية / نفس المرجع السابق / ص 17 – 22 بتصرف

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)[1], والتوبة في رأى ابن تيمية ما هى إلا تطبيقا، وتأكيدا للمعانى التى اشتملت عليها، وزخرت بها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. يقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)[2] وقال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)[3] وقوله- صلى الله عليه وسلم: (الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل منزلا وبه مهلكه ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال: ارجع إلى مكانى الذى كنت فيه نائما حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله تعالى أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته)[4], وحكم التوبة عند ابن تيمية واجبة، وأن العبد محتاج إليها دائما، وأن العبد لا يزال متقلبا في نعم الله، لأنه محتاج إلى التوبة والإستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم, وإمام المتقين- عليه الصلاة والسلام- يستغفر الله في جميع الأحوال، والمأثور عنه- صلى الله عليه وسلم- أنه كان كثيرالإستغفار والتوبة، وهو مأمور في ذلك بالوحى الذي يتضمن الأمر بالإستغفار بعد أن تم له النصر قال تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)[5] ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والإستغفار، وأن التوبة غاية كل مؤمن"[6]، فإن الله لم يذكر في القرآن أشياء من الذنوب والمعاصى إلا مقرونا بالتوبة، والإستغفار، ولهذا فتحت التوبة أبواب الرحمة الإلهية، وهو ما يتسم به الإسلام بصفة خاصة، والأديان السماوية عموما، فإن محمدا- صلى الله عليه وسلم- وهو نبى الرحمة، والتوبة،كما أخبر عن نفسه، قد بعثه ربه ليرفع الأغلال, والأوزار التي كانت على كاهل الأمم السابقة[7]. وبناء على ذلك فمن الخطأ تفضيل الناشئين على الإسلام على المعتنقين له بعد الكفر، والدليل على بطلان هذا الظن

---

[1] - سورة يونس/ الآية 62- 63

[2] - سورة البقراة / الآية 222

[3] - سورة الفرقان / الآية 80

[4] - والحديث اخرجه البخارى في الدعوات / ومسلم في كتاب التوبة 3/2744 / كلاهما عن عبد الله بن مسعود

[5] - سورة النصر/ الآية 01،02 ،03

[6] - ابن تيمية / التحفة العراقية / ص27

[7] - عبد الفتاح محمد احمد سيد / المرجع السابق / ص219

أن الصحابة من المهاجرين والأنصار أفضل من ذريتهم، مع أنهم عاصروا مرحلة الجاهلية في فترة من فترات حياتهم، واعتنقوا أباطيلها قبل أن يسلموا، فعرفوا الخير والشر بعد أن استدلوا على حسن الإسلام من معرفتهم السابقة بعقائد الجاهلية، فهم يشبهون في ذلك من ذاق الفقر، والمرض، والخوف، فإنه أحرص على الصحة، وطلب العافية ممن لم يذق ذلك. و التوبة عند ابن تيمية نوعان: واجبة، ومستحبة. الواجبة: هي التوبة من ترك مأمور أوفعل محظور، وهذه واجبة على جميع المكلفين، كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى ألسنة رسله الكرام، قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[1] وروي عنه – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة)[2]. والمستحبة: هي التوبة من ترك المستحابات، وفعل المكروهات.

1 – درجات التوبة

بين ابن تيمية درجات التائبين، وذلك بناء على تقسيمه للتوبة:

أ – توبة الأبرارالمقتصدين: وهم الذين اقتصروا على التوبة الأولى أي الواجبة.

ب – توبة السابقين المقربين: وهم الذين تابوا التوبتين. "الواجبة، والمستحبة".

ومن لم يأت بالأولى فهو من الظالمين. والعبرة بكمال النهاية لا بما جرى في البداية فالأعمال بخواتيمها "[3]. وتتضمن التوبة تصفية السرائر من الآفات، ومحو الصفات المذمومة المذمومة من النفس، ويطلق الصوفية على صفات النفس المذمومة, أو الرذائل اسم أمراض القلوب, أو أمراض النفس، وأن للنفس أمراضا أكثر خطورة من أمراض البدن فمن الأولى الإهتمام بعلاجها, وقد أخذ الصوفية بالتفرقة بين أمراض البدن، وأمراض القلب, وقد وافقهم ابن تيمية على هذه التفرقة من منطلق إسلامى بحت؛ إذ استند شيخ الإسلام فى ذلك لآيات من كتاب الله، وأحاديث لرسوله– صلى الله عليه وسلم– مثال ذلك قوله تعالى عن المنافقين: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)[4]

---

[1] – سورة النور/ الآية 31

[2] – رواه الامام مسلم من حديث عبد الله بن عمر– رضي الله عنه –

[3] – ابن تيمية / الفتاوى/ السلوك / ج10 / ص200

[4] – سورة البقرة / الآية 10

وقوله تعالى: (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ)[1].

وغير ذلك من الآيات التى تشير صراحة إلى أمراض القلوب وشفائها.وفى السنن عن النبي- صلى الله علية وسلم – أنه قال: (دب إليكم داء الأمم قبلكم:الحسد والبغضاء)[2] فسماه داء فعلم أن هذا مرض. ويعقد ابن تيمية مقارنة بين مرض البدن، ومرض القلب فيبين أن المرض الأول إنما هو فساد يكون في البدن، يفسد به إدراكه, وحركته الطبيعية فإدراكه إما أن يذهب تماما كالعمى والصم، وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هي عليه، كما يدرك الحلو مرا، وكما يخيل إليه أشياء لا حقيقة لها فى الخارج، أما فساد حركته الطبيعية، فمثل أن تضعف قوته عن الهضم، أومثل أن يبغض الأغذية التى يحتاج إليها، ويحب الأشياء التى تضره. ويتولد عن هذا المرض ألم يحصل في البدن, وكذلك مرض القلب هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره وإرادته، فتصوره بالشبهات التى تعرض له حتى لا يرى الحق، أويراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته له بحيث يبغض الحق النافع، ويحب الباطل الضار، وكما أن مرض البدن يضعف المريض, كذلك مرض القلب ينجم عنه ألم يحصل في القلب، كالغيظ من عدو استولى عليك فإن ذلك يؤلم القلب. قال تعالى: (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ)[3]

فشفاؤهم بزوال ما حصل لهم في قلوبهم من الألم، والقرآن شفاء لما في الصدر، لمن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات. فيه – أي القرآن – من البينات ما يظهر الحق من الباطل فيزيل أمراض الشبهة المانعة للعلم، والتصور، والإدراك، حتى يرى الأشياء على ما هي عليه، وفي القرآن من الحكمة، والموعظة الحسنة، والقصص التى فيها عبرة، ما يوجب صلاح القلب، وذلك بالتوبة من الذنوب، فإذا تاب القلب استراح من الأمراض التى كانت فيه، والإنسان يحتاج دائما إلى الهدى إلى الصراط المستقيم. ولهذا أمر الإنسان بسؤال الهدى إلى الصراط المستقيم.

---

[1] – سورة الحج / الآية 53

[2] – رواه الامام البيهقي

[3]– سورة التوبة / الآية 14-15

والذين هداهم الله من هذه الأمة حتى صاروا من أولياء الله المتقين كان أعظم أسباب ذلك دعاؤهم الله بالدعاء: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[1] في كل صلاة. فبدوام هذا الدعاء والإفتقار، صاروا من أولياء الله المتقين. قال "سهل بن عبد الله"[2] : " ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الإفتقار "[3] فالتوبة تطهر العبد من ذنوبه وخطاياه, وتجعله موضوعا لحب الله، وهى واجبة على كل الناس، لأنهم محتاجون إلى عفو الله ورحمته وأنهم إذا تابوا توبة نصوحا فكأنهم أسلموا من جديد. قال رسول الله- عليه السلام: (الإسلام يجب ما قبله)[4]. ثم يتحدث الشيخ عن مقام التوكل واصفا إياه بأنه من الأعمال الباطنة التى تتصل بمحبة الله تعالى, والإخلاص له وهو من المقامات المأمور بها للعامة، والخاصة على السواء، وهو يشمل جميع حركات الإنسان الدينية، والدنيوية وذلك بأن يرجع النتائج لله بعد أخذه بالأسباب الشروعة, وهو لصلاح القلوب قبل غيرها، لأن عليها يتوقف مدار العبد: "يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه، وحفظ لسانه، وهذا أهم الأمور اليه. ولهذا يناجى ربه في صلاة بقوله : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[5]، كما في قوله تعالى: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)[6] وقوله تعالى: (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[7] وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)[8], من هذا يرى الشيخ ابن تيمية أن التوكل في المسائل الدينية أعظم من التوكل الذى لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا، وذلك لأن التوكل من الأمور الدينية التى لا تتم الواجبات والمستحابات إلا بها "[9].

الفرع الثالث: موقف ابن تيمية من المبتدعة.

---

[1] – سورة الفاتحة / الآية 6

[2] – التُّسْتَرِي، أبو محمد سهل283 - 200 هـ / 815 – 896م. أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس بن رفيع التُستري ولد في تُسْتُر قرب شيراز في بلاد خوزستان. كان أحد أئمة الصوفية في عصره. له أقوال في تفسير بعض الآيات جمعها أبوبكر محمد البلدي في كتاب ونسبها إليه وعرف هذا الكتاب بتفسير التستري .توفي في البصرة.

[3] – ابن تيمية / السلوك من مجموع الفتاوى / ص 21 ، 22

[4] – رواه الامام مسلم

[5] – سورة الفاتحة / الآية 5

[6] – سورة هود / الآية 123

[7] – سورة الشورى / الآية 10

[8] – سورة الرعد / الآية 30

[9] – ابن تيمية / السلوك من مجموع الفتاوى / ص 21 – 22 بتصرف

أما التصوف الذي انتحله شرذمة من الناس، تشربوا تعاليم الباطنية الحلولية، ولبسوا لباس الصوفية اجتذابا للعامة، لأنهم أسهل في الخداع والتلبيس، وهؤلاء قد دسوا في التصوف إلحادهم، ومقالاتهم الشنيعة في الدين إضلالا لعامة المسلمين، فهؤلاء ليسوا من الصوفية ولا من التصوف في شيء، وينكرهم كل الإنكار أعلام الصوفية أمثال: الجنيد والبصري, والمحاسبي، ومن هم على شاكلتهم، ويحسبونهم أدعياء في نسبه، مزورين وزنادقة ملحدين, وقدكشف خبثهم وفند مزاعمهم, وأبطل تصوفهم كثير من الأئمة ومنهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. وهناك آخرون انتسبوا إلى التصوف زورا، واتخذوا التصوف سمة وحرفة، وتوارثوا فيما بينهم بدعا، وشعارات زائفة, وتقاليد منكرة، يبرأ منها التصوف وأعلامه من أولى العلم واليقين، وهؤلاء كذلك أدعياء في التصوف دخلاء في الصوفية مبتدعون آثمون. وهؤلاء الذين يذمهم ابن تيمية هم الصوفية الذين مزجوا علومهم بنظريات أجنبية شتى، إنهم الصوفية المتفلسفة، ليسوا من الصوفية أهل العلم فضلا عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة، ويقول عنهم أيضا: " هؤلاء أيضا مذمومون عند الله, وعند رسوله, وعند أولياء الله المتقين "[1].

مما تقدم يتضح لنا عدم صحة هذه الموجات الشائعة، والأقوال المتعجلة في إشاعة عداوة ابن تيمية للتصوف والتى لم تقم على دراسة واعية بعيدة عن التحيز والتعصب.

1- شبهة عداء بن تيمية للصوفية: أشيع بين الباحثين قديما وحديثا عن وجود عداء بين ابن تيمية؛ ومشايخ الصوفية. وهذه الشائعات ليست مبنية على أساس سليم من البحث؛ بل هى مبنية على أقوال خاطئة، وذلك مثل ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية بأن:" ابن تيمية قد هاجم الصوفية بوجه عام، وجعل المتكلمين والصوفية في واد واحد"[2] وهذه أفكار أفكار خاطئة قام بها أعداؤه، ذلك لأن الباحث المدقق في تراث ابن تيمية يجده يثني على شيوخ الصوفية الملتزمين في أقوالهم بالكتاب والسنة، ويجعل من كلامهم حجة يدعم بها مبادئه, ويجعل شيوخ الصوفية الأوائل من الأئمة الذين دافعوا عن العقيدة في ردهم على سائر الفرق الضالة. وكذلك فإن الذي يتذوق ماكتبه الشيخ ابن تيمية في السلوك والحياة

---

[1] - ابن تيمية / السلوك من مجموع الفتاوى / ص 22 -23 بتصرف

[2] - من الباحثين الذين يعدون ابن تيمية خصما للتصوف والصوفية جولد تسهير في كتابه "العقيدة والشريعة "وماسينيون في "دائرة المعارف الاسلامية" مادة "التصوف" المجدل 274/5، فقد وصف ما سينيون ابن الجوزى وابن تيمية بانهما المعارضان الكبيران للتصوف.

الأخلاقية, والروحية عن التصوف والصوفية الذين كانوا قدوة في السلوك، يلمس فيه الوفاء والثناء, والتقدير لمشايخ الصوفية الأخيارأمثال: الجنيد, وسهل بن عبد الله التستري, والفضيل بن عياض, وغيرهم من المشايخ يقول: "ولا تجد إماما فى العلم والدين كمالك[1] والأوزاعى[2], والثورى[3]، وأبى حنيفة[4]، والشافعي[5]، وأحمد بن حنبل[6]، والفضيل بن عياض[7]، ومعروف الكرخى[8]، وأمثالهم إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة, فضلا عن ذلك فإن ابن تيمية قد أفرد عدة رسائل, وقواعد تناولت دراسة جوانب التصوف، واعتمد ابن تيمية في دارسته لهذه الجوانب على أقوال الصوفية الأوائل وذلك مثل: قاعدة المحبة، وقاعدة الإستقامة وقواعد أخرى في الشكر, والصبر، والرضا. كذلك فإن لإبن تيمية في التصوف كتبا تجعله على رأس مشايخ الصوفية الذين اهتدوا بنور القرآن الكريم, والسنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال مشايخ الصوفية. ومن هذه الكتب: التحفة العراقية في الأعمال القلبية.

---

[1] – هو امام دار الهجرة ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابى عامر بن عمرو بن الحارث من سادة اتباع التابعين ومن الفقهاء والصالحين ولد سنة 94 ه وتوفي سنة 179 ه / انظر العبر لابن خلدون 272/1 ومشاهير علماء الانصار ص 1110

[2] – هو امام الشامين ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى فقيه كان يحيي الليل صلاة، وقرانا، وبكاء. ولد سنة 80ه وتوفى سنة 157 ه / العبر لابن خلدون 227/1

[3] – هو الامام العالم ابو عبد الله سفيان بن سعيد مسروق بن حمزة بن حبيب الثورى الكوفي الفقيه ولد سنة 95 ه ومات بالبصرة سنة 161 ه انظر العبر 235/1 وفيات الاعيان رقم 252

[4] – و فقيه اهل العراق ابو حنيفة النعمان بن ثابث الكوفى ولد سنة 80ه وتوفى سنة 150 ه / تاريخ بغداد 323/13/ والعبر 241/1

[5] – هو عالم قريش فقيه عصره ابو عبد الله محمد بن ادريس بن عباس بن عثمان بن شافع توفى سنة 204 ه انظر تهذيب التهذيب 25/9 وشرات الذهب 9/2

[6] – هو امام المذهب الحنبلى صفة الصفوة 190/2 وتاريخ بغداد 412/2

7 – هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي المالكي, دفين مراكش . يعود نسب القاضي عياض إلى إحدى قبائل اليمن العربية القحطانية، وكان أسلافه قد نزلوا مدينة "بسطة" الأندلسية من نواحي" غرناطة "واستقروا بها، ثم انتقلوا إلى مدينة" فاس "المغربية، ثم غادرها جده "عمرون" إلى مدينة" سبتة "حوالي سنة (373 ه = 893م)، واشتهرت أسرته بـ"سبتة"؛ لما عُرف عنها من تقوى وصلاح، وشهدت هذه المدينة مولد عياض في (15 من شعبان 476ه = 28 من ديسمبر 1083م)، ونشأ بها وتعلم، وتتلمذ على شيوخها.له مصنفات كثيرة أهمها:إعلام المعلم بفوائد صحيح مسلم/ الشفا بتعريف حقوق المصطفى – صلى الله عليه و سلم– مشارق الأنوار على صحاح الآثار.

[8] – معروف بن الفيرزان الكرخي رضي الله عنه : من أكابر القوم العارفين، السالك طريق سيد المرسلين، الزاهد الذي انتهت إليه رئاسة الطريق، خليفة القطب أبو سليمان داود الطائي المعروف، يكنى أبا محفوظ، وهو منسوب إلى كرخ بغداد .

وهى كما قال: "كلمات مختصرة في أعمال القلوب التى تسمى "المقامات والأحوال"[1] وهى من أصول الإيمان, وقواعد الدين مثل: محبة الله ورسوله، والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له، وما يتبع ذلك، ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية قد استعمل الإصطلاح المأثور عن مشايخ الصوفية "المقامات والأحوال " وهذا النص يدل كذلك على أن ابن تيمية قد استعمل الإصطلاح الشائع في كتب الصوفية، واحتل مكانا بارزا عندهم، وقد شرح ابن تيمية هذه المقامات والأحوال, وتحدث عن كل واحدة منها بالتفصيل في هذه الرسالة "التحفة العراقية في الأعمال القلبية", كما نرى ذلك عند الصوفية الذين ألفوا كتبا في التصوف. وله كتاب آخر في التصوف هو كتاب "الإستقامة والتصوف" ضمن مجموعة الفتاوى؛ وقد تحدث فيه عن كثير من قضايا التصوف. وله كتب أخرى مثل "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان "ومثل رسالته " في أمراض القلوب وشفائها " و"الصوفية والفقراء" إلى غير ذلك. إن اهتمام ابن تيمية بالتراث الصوفى وانكبابه على دارسته والتزود من مناهله، والتأليف فيه كل ذلك يجعله من كبار الصوفية العباد. ولم يكتف ابن تيمية بالعكوف على التراث العلمى الضخم يدرسه وينشرة؛ بل لأنه تذوق التجربة الصوفية التى يمر بها السالك نحو الله وعرف أسرارها, ونستطيع أن نلتمس ذلك من خلال النصوص التى أوردها مثل قوله: "وهذه الأمور لها أسرار وحقائق لا يشهدها إلا أهل البصائر الإيمانية "[2] ولقد كان للجانب الصوفى عند ابن تيمية جذور, وبذور

في تربيتة الصوفية، فقدكان يتردد على حلقات الذكريقول عن نفسه:"كنت في أول عمري أحضر مع جماعة من أهل الزهد والعبادة والإرادة. فكانوا من خيار هذه الطبقة"[3] ويفهم من هذا النص أنه كان ملازما للصوفية، لأن الزهد, والعبادة، والإرادة من ألزم صفاتهم، ولا شك أن تردده على مجالس الصوفية, ومعاشرهم قد ترك أثرا كبيرا في تربيته الروحية كالزهد، والورع، والتصوف. ثم يقول بعد ذلك عن اجتماعه بالصوفية :

---

[1] – كلمة مقام وردت في القران الكريم بلفظها في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الرحمن/ 46. فاستعمال الصوفية لها اقتباس من القران الكريم

[2] – ابن تيمية / شرح العقيدة الاصفهانية / تق: ابراهيم سعيداي / مكتبة الرشد / الرياض 1415 / ص 128

[3] – ابن تيمية/ السلوك من مجموع الفتاوى 625/10 .

" فبتنا فى مكان وأرادوا أن يقيموا سماعا وأنا أحضر معهم، فامتنعت من ذلك فجعلوا لي مكانا منفردا قعدت فيه "[1]، وهذا يدل على أن ابن تيمية لا يمتنع عن حضورمجالس الصوفية، وإن كان يجلس في مكان منفردا، فلو كان ابن تيمية عدوا للتصوف –كما اشتهر عنه– فلماذا كان يحضر معهم ؟. أما كان من الأولى ألا يحضر مجالسهم؟. وما الذي يجبره على الحضور إلا إذا كانت نفسه تميل إليهم, وقلبه متعلقا بالحضور معهم؟. فلا شك أن ابن تيمية كان يميل إلى معاشرتهم ويحب مجالستهم، وكل ذلك أثر فيما بعد على الحياة الروحية عنده. إن تحقيق مسألة عداوة ابن تيمية للتصوف والصوفية التى راجت لدى معظم الباحثين، يتطلب دارسة أرآء ابن تيمية المنتشرة في كتبه المتنوعة، إذ أنه لم يذكر رأيا إلا مؤيدا بالدليل من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ومن أتى بعدهم ممن سار على منهجهم. فلا يصح القول بأن ابن تيمية كان خصما للتصوف على الإطلاق, ذلك لأن هناك نوعين من التصوف يجب أن نميز بينهما لكي نرى هل ابن تيمية يرفض هذين النوعين من التصوف، أم أنه يقبل أحدهما، ويرفض الآخر؟. أما بالنسبة للنوع الأول: وأعني به التصوف المشروع كما يسميه ابن تيمية أو التصوف النقي كما يسميه الغزالي، وهذا النوع من التصوف سبق الحديث فيه والذي تمتد جذوره إلى فجر الإسلام؛ ويمثل هذا النوع "الجنيد بن محمد"[2] ومدرسته في بغداد و"أبو سليمان الدارانى"[3] ومدرسته بالشام "وذو النون المصرى"[4] "والحارث المحاسبي"[5] وغيرهم ووضع هؤلاء نظاما كاملا في التصوف في ناحيتيه: العملية والنظرية، ولم يستمدوا أفكارهم من فلسفات أجنبية، وإنما استمدوها من القرآن والسنة. فهذا النوع من التصوف مستمد من الشريعة الإسلامية, وروحها, وثمرتها, وحكمتها، فهو التحقق الكامل بالكتاب والسنة, وهوالإقتداء الكامل بالنبى –

---

[1] – السلوك من مجموع الفتاوى 418/10

[2]– هو ابو القاسم الجنيد بن محمد الخراز كان ابوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له القواريرى ولد ونشا بالعراق وهو من ائمة القوم وسادتهم توفى سنة 297 هـ / طبقات الصوفية/ ص 36 / والرسالة القشيرية/ ص31

[3] – ابو سليمان الدارانى هو عبد الرحمن بن عطية الدارانى وهو من (داريا) احدى قرى الشام توفى سنة 215هـ / انظر الرسالة القشيرية/ ص 25/ وانظر طبقات الصوفية للسلمى/ ص20

[4] – هو ثوبان بن براهيم الاخميمى المصرى –كان والده من بلاد النوبة توفى سنة 235 هـ /انظر طبقات الصوفية للسلمى/ ص 10 / وانظر الرسالة القشيرية/ ص 14

[5] – الحارث المحاسبي من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والاشارات من اهل البصرة توفى ببغداد سنة 243هـ طبقات الصوفية للسلمى /ص 16

صلى الله عليه وسلم- وهو امتداد للصفوة من الرعيل الأول من الزهاد المسلمين، فهل يرفض الشيخ ابن تيمية هذا النوع من التصوف؟. إن ابن تيمية الذى قضى حياته كلها مكافحا، ومجاهدا في سبيل تنقية عقائد المسلمين مما علق بها من بدع وأوهام وخرفات، ليس من المعقول أن يرفض هذا النوع من التصوف النقي من الشوائب الذى لم يخالطه زيغ، ولا شطط، ولا جهل ولا ابتداع؛ وهو تصوف العلماء والنساك العارفين بالله، القائمين على حدوده والمتمسكين بشريعته.

2 – وصفه بتحجر القلب : ومن أخطر النعوت التى ألحقت بابن تيمية وصفه بتحجر القلب، ولا نعتقد أن قلبا تربى ونشأ في أحضان الكتاب الكريم, وتخلق بأخلاق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يصبح قابلا للتحجر، ولعل الذي دفع هؤلاء إلى القول بتحجر قلب ابن تيمية، أنهم نظروا إليه من جانب واحد، وهو الظروف العسكرية والسياسية وأهملوا الجوانب الأخرى. ويبدو واضحا من خلال تصانيفه في الظروف السياسية والإجتماعية، ومدى النضال الذي خاضه وسط خصوم كثيرين دفعت الخصوم إلى هذا الإتهام، فإن رجل الحرب يظهر في المعارك العسكرية بسمات القسوة والخشونة ولكنه متى خلع حلته العسكرية، ورأيناه بين أهله وولده، اختفت الصور الأولى تماما وحلت محلها صور أخرى، وهكذا كان ابن تيمية, فلكي نعرف شخصية ذلك الرجل الذي تربى في أحضان التراث الإسلامي الأصيل, نعثر على شخصيته من خلال أرآءه في الحب الإلهى فنجده لا يقل شأنا عن الصوفي الأصيل الذي يعبر عن وجده وشطحاته بعبارات غامضة غريبة عمن يتذوق مباعث جذبه وهيامه، بل إن روح ابن تيمية أكثر بهجة وضياء، لأنه يخاطبنا بلغة القرآن الذى ظلت له القلوب خاشعة. فهو يقول مثلا: "وقد يشاهد كثير من المؤمين من جلال الله, وعظمته وجماله أمورا عظيمة تصادف قلوبا رقيقة، فتحدث غشيا واغماء، ومنها ما يوجب الموت ومنها ما يخل العقل"[1]، إن ابن تيمية تطلع إلى المحبة الإلهية، وكابد الشوق نحو معرفة الله تعالى؛ فقلبه لم يخل من تأثيرات الحب الإلهى، ولكنه أمام العداء الشديد للإسلام خارجيا: عن طريق التتار في عصره.

وداخليا: بواسطة الغزو الثقافي الذي حاول طمس المعالم الأساسية للدين الإسلامي الحنيف، تمسك بالمنهج السلفي لكى يواجه كل ذلك، كان عنيفا صارما في مواجهة

[1] – الشيخ ابن تيمية / الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان/ مكتبة صبيح / القاهرة 1958م / ص 113

خصومه الكثيرين حتى اشتهر بحدته وردوده العنيفة، بحيث أصبح الطابع الذي تاثر به الدارسون"الحدة، والعنف في ردوده" خاصة وأنه يرى أن المحاربة نوعان:باللسان واليد. ولكن الحقيقة أن وراء هذا المظهر الخشن، قلبا مسلما رقيقا خاشعا يعرف حق ربه عليه فيؤدي من النوافل الكثير، ويذكر ربه في أثناء عذابه في السجن, وتمكن خصومه منه فلا يتكلم عن الله تعالى إلا بالمحبة، كماكان يذهب إلى المسجد, ويمرغ وجهه في التراب سائلا مولاه "يا معلم إبراهيم فهمنى"[1]،كما أن له رسائل وجهها إلى أمه تفيض حنانا ورقة. فلا يصح إذن القول: بأن ابن تيمية متحجر القلب.

[1] – الشيخ ابن تيمية / الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / ص 113

الفصل الرابع

التصوف والصوفية في الجزائر

المبحث الأول

المراحل التي مر بها التصوف في الجزائر

وبه مطلب وفرعان :

المطلب الأول : مرحلة التصوف النخبوي

ومرحلة التصوف الشعبي

الفرع الأول: مرحلة التصوف النخبوي

الفرع الثاني: مرحلة التصوف الشعبي

المطلب الأول: مرحلة التصوف النخبوي والتصوف الشعبي.

الفرع الأول: مرحلة التصوف النخبوي: لقد مر التصوف في الجزائر بمرحلتين أساسيتبن هما: المرحلة النخبوية، وذلك خلال القرون السادس, والسابع, والثامن الهجرية, وهي الفترة

التي بقي فيها التصوف يدرس في المدارس الخاصة، واقتصاره على طبقة معينة من المتعلمين, وعدم انتشاره بين الطبقات الشعبية وبقاءه في الحواضر الكبرى: كتلمسان، بجاية. وبعدها جاءت فترة الإنتقال من التصوف الفكري إلى التصوف الشعبي، وقد وقع ذلك في القرن التاسع الهجري، وفيها انتقل التصوف من الجانب النظري إلى الجانب العملي, وهوالإنتشارالكبير للزوايا والرباطات في الريف والمدن، وانضواء الآلاف من الناس تحت لوائه، والتركيز على الذكر, والخلوة، وآداب الصحبة، وما إليها من مظاهر التصوف الشعبي. وبفتح باب التصوف للعامة, وأهل الريف، انتقل من النخبة إلى العامة.

الفرع الثاني : مرحلة التصوف الشعبي:

وعليه انتقل التصوف من المرحلة الخاصة الى العامة, وانتقل من المدينة إلى الريف وظهرت الطرق الصوفية الكبرى، وانتشرت في مختلف أرجاء القطر. ولهذا يمكننا أن نقول بأن التصوف بدأ تصوفا نظريا, ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري, وبدأ يتجه إلى الناحية العملية الصرفة, وأصبح يطلق عليه "تصوف الزوايا والطرق الصوفية " وقد ظل هذا التصوف العملي سائدا في جميع أنحاء المغرب الإسلامي حتى بعد سقوط الدويلات الثلاث ودخول الأتراك العثمانيين. وكان من أوائل الأوتاد للطرق الصوفية في الجزائر: الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي، وقد عرفت طريقته "المدينية" والمعروفة بالشاذلية شهرة واسعة, وأتباعا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي، وازدادت شهرة على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش(ت 665هـ / 1228م، ثم ازدادت نشاطا, وأحياها من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش:"أبو الحسن الشاذلي". وكان لتعاليم الشاذلي في الجزائر الأثر الأكبر, بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية.[1]. ومن أبرز علماء الجزائر الذين شاع التصوف العملي وانتشر بفضلهم: عبد الرحمن الثعالبي[2] ومحمد بن يوسف السنوسي[1] الذان يعتبران من

---

[1] – الدكتور ابو القاسم سعد الله/ ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر / دار النشر عيسات ايدير / الجزائر 2000م / 2/ 58 بتصرف أ. د. أبو القاسم سعد الله من مواليد 1930م بضواحي قمار (وادي سوف، الجزائر) ، باحث, ومؤرخ، حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين... وهو من رجالات الفكر البارزين، ومن أعلام الإصلاح الاجتماعي والديني.

له سجل علمي حافل بالإنجازات: من وظائف، ومؤلفات، وترجمات/ نشرت بمناسبة تكريمه في معهد المناهج، كعربونَ وفاء، ودليل حب وتقدير، لمن وهب عمره لخدمة العلم والمعرفة، حتى غدا قدوة لكل باحث، وعرف بلقب شيخ المؤرخين الجزائريين .

[2] – هو أبو زيد عبد الرحمان، بن محمد،بن مخلوف، بن طلحة، ابن عامر ابن نوفل ، بن عامر، بن موصور بن محمد، بن سباع، بن مكي ابن ثعلبة بن موسى، بن سعيد بن مفضل، بن عبد البر، ابن فيسي، ابن هلال، ابن عامر، بن حسان، بن محمد بن جعفر، بن

كبارالعلماء والزهاد في القرن التاسع الهجري، فقد جمع كل منهما بين الإنتاج العلمي والسلوك الصوفي وانتفع بكل منهما خلق كثير، وكان لهما تأثير في المعاصرين وفي اللاحقين، وقد كانا كلاهما من أتباع الطريقة الشاذلية, وألفوا كتبا في أصولها وفي تراجم رجالها. ونستطيع القول: أن التصوف العملي, أوالطرق الصوفية أول ما وجدت وجدت في بلاد القبائل بجاية والمناطق المحيطة بها, وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن.[إذا علمنا الدور التاريخي لمنطقة القبائل وسبقها في نشر الإسلامي وتعميق جذوره في المجتمع الجزائري، أدركنا سر التركيز الصليبي وحملته الشرسة على ربوع قبائلنا الذين هم ذخيرة شعبنا] بواسطة رجالات التصوف الكبار من أمثال أبي مدين[2] أبو زكريا الزواوي، أبو زكريا السطيفي يحي العيدلي[3]، أحمد زروق[4]. ومن بجاية انتشر التصوف إلى بقية مناطق المغرب الأوسط.

المبحث الثاني

عوامل انتشار الصوفية في الجزائر

وبه مطلب وثلاث فروع

المطلب الأول: عوامل فكرية

أبي طالب ، فهو جعفري النسب. ب . مولده ونشأته : ولد الثعالبي في سنة 785هـ الموافق لـ : 1384 م بواد يسر على بعد 86 كلم بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر. ونشأ هناك ، وقد كان عالم زمانه في القطر الجزائري في علوم التفسير ، العقيدة ، الفقه ، والتصوف...

[1] – هو الإمام أبوعبد الله محمد بن يوسف السنوسي المتوفي سنة ٩٨٥ هجرية، وقد كان رحمه الله إمامًا عالمًا عَلَمًا من أئمة أهل السنة الأشاعرة وممن أظهر الله به الدين وأسّس أصوله، تبحّر في العلوم كلها، وبلغ من الورع والزهد الغاية القصوى.وتوفي895) هـ

[2] – هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي، ولد بحوز إشبيلية ،وتعلم بفاس، ثم حج، وعند أوبته استوطن بجاية ، توفي قرب تلمسان سنة 594 هجرية ، ودفن بقرية العباد في تلمسان، وضريحه بها مشهور مزار.

[3] – وهو ولي صالح من اصل شريف ولد في منطقة آث عباس القريبة من منطقة اغيل علي و قد تربى سيدي يحي يتيما بعد ان تركه والده رفقة والدته يما ربيحة ذاهبا الي البقاع المقدسة لاداء مناسك الحج و لم يعد بعدها ،انتقل سيدي يحي صغيرا الي منطقة تمقرة برفقة والدته و قد تلقى تعليمه ببجاية و تخرج على يد علماء أجلاء كانت بجاية قد استضاءت بنور علومهم في عهد مجدها و سؤددها و قد توفي سيدي يحي العيدلي سنة 881هجري1476م عن عمر يقارب 85عاما بقرية تمقرة. / انظر: ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر / ج2

5– أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف **بزرّوق**الفقيه المالكي المعروف..صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية ، ومن أهم من اعتنى بجانب التربية والسلوك في الكتابات الإسلامية.. وصاحب الحركة التصحيحية لمسيرة التصوف التي كانت حصيلة سنوات من التعلم و السفر بين الحواضر العلمية في العالم الإسلامي والتي أظهرت التصوف كمنهج حياة متكامل وفق الكتاب و السنة ولد بفاس بالمغرب سنة 846 هـ و توفي بمدينة مصراتة غرب ليبيا سنة 899 هـ.

وسياسية واجتماعية

الفرع الأول: العوامل الفكرية

الفرع الثاني: العوامل السياسية

الفرع الثالث: العوامل الإجتماعية

المطلب الأول: العوامل الفكرية والسياسية والإجتماعية

الفرع الأول : العوامل الفكرية : ونعني بها وجود أعلام صوفية عملوا على نشر هذه الطريقة أوتلك بكامل المغرب الإسلامي, وأثروا بسلوكهم وبعلمهم وبمؤلفاتهم. من أمثال: الشيخ أبي مدين، والشيخ المليانى، والشيخ الثعالبي، والشيخ عبد القادر بن محي الدين الجزائري. ويضاف إلى ذلك تأثر كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية يومئذ خصوصا بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة. حيث جعل من التصوف علما إلى جانب ما فيه من العمل، وجعل منه نظرية

ذوقية في المعرفة, وطريقة روحية تؤدي إلى السعادة في الدارين، ومن ذلك كانت بداية اختفاء التصوف الفلسفي ليحل محله التصوف السني.

الفرع الثاني: العوامل السياسية: كسقوط الدولة الموحدية التي كانت تمثل دولة قوية واجهت الغزو ولما سقطت أصبح الشعب في حاجة إلى من يحمل لواء الذود عن الرعية عند ذالك تحمل الصوفية وقتها العبء عوضا عن الدولة في مواجهة العدو. ومواساة الناس والوقوف إلى جانبهم، فكان هذا الوضع السياسي قد ساهم في إلتفاف الناس وإقبالهم على التصوف.

الفرع الثالث: العوامل الإجتماعية: اتخذ التصوف في الجزائر- كما في بقية دول العالم الإسلامي – منذ بداية ظهوره بها أبعادا اجتماعية، وذلك بسبب الظروف التي كانت تعيشها البلاد في تلك الفترة (ق7، 8، 9هـ), وانساق الناس وراءه لما وجدوا فيه من مساواة, وعدل وإحساس بالوجود والأهمية، فقد كان شكلا من أشكال التعبير عن الغضب الشعبي, والتمييز الطبقي بين طبقة الأغنياء والمترفين، وطبقة الفقراء والمعدمين. والمتصوفة الأوائل كانوا بمثابة النخبة التي تمسكت باستقلاليتها الفكرية والدينية تجاه السلطة الحاكمة. لذلك وقع اضطهادهم من طرف الحكام, وقاومهم العلماء الرسميون والمشهد نفسه يتكرر تقريبا في كل العصور والعهود كما وقع مع الولي الصالح أبي مدين أوالشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وأحمد التيجاني، ومحي الدين بن مصطفى الحسني... والقائمة طويلة. ووقع الإلتقاء بين المتصوفة والشعب في مواجهة السلطة تموقعوا في نفس الخندق, وقد فرض عليهم الأمر فرضا، ووجدوا أنفسهم في نفس الجبهة يقاومون الظلم والتعسف والتمييز. وهو ربما ما يفسر لنا سر هذه العلاقة بين العامة أو الشعب والمتصوفة، وسعى الصوفية إلى حل مشاكل المجتمع واتحد الإثنان في مواجهة السلطة، واتخذا نفس الموقع ونفس الجبهة، فقاموا بمواجهة الظلم والطغيان والفساد فاتحاد الهدف نابع من فكر الصوفية وعقيدتهم: العيال عيال الله. وقد كان الصوفية على مر العصور رمز الوحدة مع المجتمع, والمطالبة علنا بحقوق الشعب ومصالحه، فقد كان الولي الصالح أبو اسحاق الخياط كثير الدخول على يغمراسن لقضاء حاجيات الخلق. إن هذا التلاقي قد بدأ بشكل عفوي دون سابق تحضير أو تنظيم أو استعداد، ونتج عنه الكثير من النتائج الهامة لعل من أبرزها الإنتشار السريع للتصوف بين مختلف الطبقات الشعبية وقيادة الشعب بعد انهيار الدولة. واستطاع

المتصوفة توظيف هذه العلاقة في الدفاع عن مصالح الشعب، ولم تنقطع هذه الصلة بين المتصوفة والعامة إلى يومنا هذا بحيث لا نزال نجد تأثيرهم قويا في المجتمعات العربية الإسلامية، بالرغم من هذا التطور الفكري والثقافي، والعولمة, ودخول الأفكار الحديثة، وإن بنسب متفاوتة بين منطقة وأخرى. ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا اختارت الفئات الواسعة من المجتمع الإنضمام والإنتماء إلى هذا الإتجاه الفكري؟. في حين كان حكامها يتخذون مذهبا آخرا ويعتنقونه. فكان الصوفي فردا من مجتمع الناس، يأكل, ويتاجر, ويتزوج كما يفعل الناس، لكنه في نفس الوقت كان يمثل قدوة لهم, ونموذجا يتطلعون إليه, ويحرصون على متابعة سيرته بينهم. حقيقة فيه بعض العناصر الصوفية من لجأ إلى الفلوات والمقابر زاهدا متعبدا متجردا، لكن هذا الكلام لا ينطبق على كل الصوفية, بل هي حالات استثنائية خاصة، ثم إنهم يرون أنه عندما تدعو الحاجة إليهم سيتخلون عن مجاهداتهم الخاصة وينتقلون إلى خدمة الصالح العام, ولعل أبرز مثال على ذلك هو الأمير عبد القادر الذي لبى داعي الجهاد, وتخلى عن عزلته, وتدريسه بزاوية والده الشيخ سيدي محي الدين بوادي الحمام بالقرب من معسكر. لذلك إرتأينا أن نعرف بالطريقة القادرية وسلالة مشايخها، ليتضح للقارئ الكريم مدى أصالة المنبع الذي استقى من حياضه الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، وهو بهذا نموج يحتذى به كغيره من مشايخ الصوفية وطرقها، وقد خصصنا الطريقة القادرية بالذكر؛ لما تميز به شيخها الأمير من البطولات التي لازال التاريخ الجزائري حافلا بها[1].

1- الدكتور ابو القاسم سعد الله/ نفس المرجع السابق/ 60 - 66 بتصرف

المبحث الثالث

الشيخ عبد القادر الجيلاني

والطريقة القادرية في الجزائر

وبه مطلبان :

المطلب الأول: الشيخ عبد القادر مولده

ونشأته (ونتاجه المعرفي و الروحي)

وبه فرعان :

الفرع الأول: مولده ونشأته

الفرع الثاني: نتاجه المعرفي و الروحي

المطلب الثاني: الطريقة القادرية بالجزائر

وبه ثلاث فرع :

الفرع الأول: الطريقة القادرية بورقلة

الفرع الثاني: الطريقة القادرية بوادي سوف

الفرع الثالث: أسس الطريقة القادرية وأورادها

المطلب الأول: الشيخ عبد القادر الجيلاني (مولده ونشأته ونتاجه المعرفي و الروحي)

الفرع الأول: مولده ونشأته

1 – مولده: هو شيخ الإسلام, وتاج العارفين، وسيد الطوائف، أبومحمد محيي الدين عبد القادرالجيلاني، الحسني الصديقي، ابن أبي صالح موسى جنكى دوست بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن أبي محمد الحسن المثنى, ابن سيدنا الإمام الحسن السبط بن الإمام الهمام الغالب فخر بن غالب أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب – ورضى الله عنهم أجمعين – وهو صاحب الطريقة القادرية[1]. وكان الإمام عبد الله المحض ولد

بالمدينة المنورة ونشأ فيها بين أهل البيت وهم أهل العلم والفضل والتقوى،وبعد أن نبغ واشتهر إلتف حوله عدد كبيرمن الناس، ينتهلون من علمه وفضله، فوشى به بعض أهل الفتنة لدى الخليفة العباسي "أبي جعفر المنصور" فاستقدمه مع أسرته إلى بغداد سنة 144هـ وحبسهم في سجن وعذ بهم ومات بعضهم بالتعذيب، ومات الإمام عبد الله المحض في الحبس، ودفن في ضاحية من الضفة الجنوبية من قناة اليوسفية على بعد عشر كليومترات إلى الغرب من قرية " اليوسفية" الكائنة على مسافة 20 كيلو مترا إلى الجنوب من "جسر الخر" حيث يمر فيها الطريق الموصل بين بغداد والحلة، وهو يسمى الآن بمزار السيد عبدالله , ولقد أقامت ذرية الإمام عبد الله المحض في بغداد حتى زال الإضطهاد عن العلويين في عهد الخليفة العباسي"المأمون"، حيث تفرق العلويون في الحجاز واليمن، وقامت لهم إمارة الأمصار، ومنهم ذرية الإمام عبد الله المحض، وهاجر بعضهم إلى الغرب وقامت لهم فيه إمارات، وهم الأدارسة أولاد ادريس بن عبدالله المحض. وهاجر بعضهم إلى بلاد فارس ومنهم من سكن جيلان، وكانت لهم الإمارة الروحية فيها، وهم (الجونيون) أولاد موسى الجون بن عبد الله المحض. سميت الأسرة العلوية التي نشأت في جيلان، بإسم أشراف جيلان ، وقد نشأ الشيخ عبد القادر في كنف هذه الأسرة الطيبة[2].

—

1 – د / سعيد بن مسفر القحطاني/ الشيخ عبد القادر الجيلاني وارآؤه الاعتقادية والصوفية/ط1 /1418 هـ / بدون ت/ ص644 / 655 بتصرف.

2 _ د/ عبد المنعم/ الموسوعة الصوفية /ط1 / دار الرشاد / القاهرة / 1992م/ ص269 بتصرف

ولد العارف بالله تعالى الشيخ عبدالقادرالجيلاني في نيف، وهي قصبة من جيلان سنة 470هـ. 1077م . تقرأ بالجيم العربية، كما تقرأ بالكاف الفارسية فيقال لها جيلان أو كيلان، وهي اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان، ليس فيها مدن كبيرة ولاتزال كيلان محتفظة بإسمها القديم، وهي ولاية ايرانية تقع في جبال البروز الممتدة من الشرق إلى الغرب موازية للساحل الجنوبي من بحر قزون.

2 – نشأته: (**طلبه للعلم, جلوسه للوعظ**). وقد نشأ الشيخ عبد القادر في أسرة كريمة، جمعت شرف التقوى، فقد كان والده أبو صالح موسى على جانب كبير من الزهد، وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة، ولذا كان لقبه بالفارسية" جنكي دوست" أي

محب الجهاد. وكانت للشيخ موسى أخت صالحة إسمها عائشة، كان الناس يستسقون بها إذا حبس عنهم المطر، وكان جده عبدالله بن يحى الزاهد من أهل الإرشاد، وينتهي نسب هذه الأسرة إلى الإمام عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

أ – طلبه للعلم:

كان الشيخ الجيلاني – رحمه الله – قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنه على أيدي أفراد من أسرته، فنشأ مولعا بطلب العلم، وصار يبحث عن منهل عذب ينتهل منه زيادة المعرفة، فلم يجد خيرا من بغداد التي كانت عامرة بالعلماء ومعاهد العلم وكانت محط أنظار المسلمين في مشارقهم ومغاربهم، وكان – رحمه الله – قد عقد العزم على المضي في طلب العلم رغم الصعوبات التي كانت تكلف الطلاب في ذلك العهد. وكان الشيخ عبد القادر قد وصل بغداد سنة 488هـ 1095 م في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمرالله " أبو القاسم عبد الله العباسي" وبعد أن استقر الشيخ عبد القادر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج في أقصى الشرق من جانب الرصافة, وتسمى الآن محلة باب الشيخ. وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلاني إلى بغداد تسوده الفوضى التي شملت كافة أنحاء الدولةالعباسية، حيث كان الصلبيون يهاجمون ثغور الشام، وقد تمكنوا من الإستيلاء على انطاكية وبيت المقدس.[1]

---

1 – د / سعيد بن مسفر القحطاني/ نفس المرجع السابق/ ص640 / 648 بتصرف.

وقتلوا فيهما خلقا كثيرا من المسلمين. ونهبوا أموالا كثيرة. وفي غمرة هذه الفوضى كان الشيخ عبد القادر– رحمه الله – يطلب العلم في بغداد وتفقه على مجموعة من شيوخ الحنابلة، ومن بينهم الشيخ أبوسعيد المخرمي، فبرع في المذهب, والخلاف, والأصول وقرأ الأدب, وسمع الحديث على أيدي كبار المحد ثين. وكان قد أمضى من عمره النفيس ثلاثين عاما، يدرس فيها علوم الشريعة: "أصولها، وفروعها" . وقد كابد خلا هذه الفترة الطويلة ضيق العيش ومرارة الحرمان، بيد أن العناية الإلهية كانت قد منحته عقلا راجحا, وصبرا جميلا, وهمة عالية، فاستطاع بهذه السجايا أن يحتمل الشدائد ويذلل الصعاب، فلم تجزع نفسه من الشدة، ولم تفتر عزيمته عن المثابرة في طلب العلم .

ب – جلوسه للوعظ: وحينما أنس الشيخ أبو سعيد المخرمي من تلميذه عبد القادر غزارة العلم, ووفرة الصلاح، عقد له مجالس للوعظ في مدرسته بباب الأزج في بداية 521هـ فصار يعظ فيها ثلاثة أيام من كل أسبوع: بكرة الأحد، وبكرة الجمعة، وعشية الثلاثاء. وظهر عدد من دعاة الخير يأمرون بالمعروف, وينهون عن المنكر وكان في طليعتهم الشيخ عبد القادر الذي استطاع بالموعظة الحسنة أن يرد كثيرا من الحكام الظالمين عن ظلمهم, وأن يرد كثيرا من الضالين عن ضلالتهم، حيث كان الوزراء والأمراء والأعيان يحضرون مجالسه فيشتد في موعظتهم حتى تنتبه أفئدتهم وتستيقظ ضمائرهم فيتوبوا إلى الله تعالى ويقلعوا عن المظالم، وكانت عامة الناس أشد تأثراًبوعظه فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة، وأسلم على يديه ما يزيد على خمسة الآف من اليهود والنصارى. وكان الشيخ عبد القادرقد حباه الله تعالى بشخصية فذة، ونفوذ روحي فكان يسيطر على قلوب المستمعين إلى وعظه ويستهوى نفوسهم في التلذذ بحديثه حتى أنه استغرق مرة في كلامه وهو على كرسي الوعظ فانحلت طية من عمامته وهو لايدري, فألقى الحاضرون عمائه وطواقيهم تقليداً له وهم لاشعرون. وبعد أن توفي الشيخ أبو سعيد المبارك المخرمي فوضت مدرسته إلى خليفته بالحق الشيخ عبد القادر الجيلاني فجلس فيها للتدريس والفتوى، وكانت شخصيته الفذة وحبه للتعليم وصبره على المتعلمين، جعلت طلاب العلم يقبلون على مدرسته إقبالا عظيما، حتى ضاقت بهم فأضيف إليها ما جاورها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتها وعمل الفقراء فيها بأنفسهم حتى تم بناؤها سنة528هـ 1133م. وصارت منسوبة إليه وتصدر بها للتدريس والفتوى والوعظ، كان الشيخ عبد القادر عالما متبصرا يتكلم في ثلاثة عشر علما من علوم اللغة والشريعة، حيث كان الطلاب يقرؤون عليه في مدرسته دروسا من التفسير والحديث والمذهب والخلاف، والأصول واللغة، وكان يقرأ القرآن بالقراءات, وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي، والإمام أحمد – رحمهم الله تعالى وكان الشيخ عبد القادر– رحمه الله – في طليعة الداعين إلى التوسع في فهم القرآن الكريم، والأحاديث النبوية والتفهم على استنباط الدلائل المتعلقة بالعقائد والأحكام الفقهية منها, ولذا كان على جانب كبير من المعرفة في علوم القرآن وعلوم الحديث حتى أنه فاق علماء عصره في هذه العلوم الشريفة. ومما يدل على سعة معرفة الشيخ بالكتاب الكريم ما أخبر به الشيخ يوسف بن الإمام أبي الفرج

الجوزي العلامة البغدادي الشهير فقال: "قال لي الحافظ أحمد البندلجي حضرت ووالدك – رحمةالله تعالى– يوما مجلس عبد القادر– رحمه الله– فقرأ القارئ آية فذكر الشيخ في تفسيرها وجها فقلت لوالدك أتعلم هذا الوجه؟.. قال نعم، ثم ذكر الشيخ وجها آخر، فقلت لوالدك أتعلم هذا الوجه؟ قال نعم، فذكر الشيخ فيها أحد عشر وجها، وأنا أقول لوالدك أتعلم هذا الوجه؟. وهو يقول نعم. ثم ذكر الشيخ وجها آخرفقلت لوالدك أتعلم هذا الوجه قال لا حتى ذكر فيها كمال أربعين وجها يعزو كل وجه إلى قائله، ووالدك يقول لا أعرف هذا الوجه، واشتد تعجبه من سعة علم الشيخ, وكان الشيخ عبد القادر– رحمه الله – لايروي في كتبه وخطبه غير الأحاديث الصحيحة. وكان له باع طويل في نقد الحديث، وكان يشرح الحديث في معناه اللغوي ثم ينتقل إلى شرح مغزاه، ثم ينتقل إلى استنباط المعاني الروحية منه، وهكذا كان قد جمع بين ظاهرية المحدثين، وروحانية الصوفية. وكان الشيخ عبد القادرلايشجع طلابه على دراسة الفلسفة أو علم الكلام، لأنه يرى أنهما ليسا من العلوم الموصلة إلى الله تعالى، ثم إنه يخشى أن ينصرف طلابه إليهما، فيقعوا في مهاوي الآراء الفلسفية أو الكلامية البعيدة عن العقيدة الشرعية. قال الشيخ منصوربن المبارك الواسطي الواعظ دخلت وأنا شاب على الشيخ عبد القادر– رحمه الله – ومعي كتاب يشتمل على شيئ من الفلسفة وعلوم الروحانيات، فقال لي من دون الجماعة, وقبل أن ينظر إلى الكتاب أو يسألني عنه، يا منصور بئس الرفيق كتابك، قم فاغسله.

وناولني بدله كتاب فضائل القرآن لمحمد بن العريس, ولقد روى الشيخ تقي الدين بن تيمية عن الشيخ أحمد الفاروقي، أنه سمع الشيخ شهاب الدين عمر السهرودي يقول"كنت قد عزمت أن أقرأ شيئا من علم الكلام, وأنا متردد هل أقرأ كتاب الإرشاد لإمام الحرمين, أو نهاية الإقدام للشهرستاني, أو كتاب آخر, فذهبت مع خالي أبي النجيب وكان يصلي بجنب الشيخ عبد القادر, فالتفت إلي الشيخ عبد القادر وقال ياعمر ما هو من زاد القبر. فعلمت أنه يشير إلى دراسة علم الكلام فرجعت عنه.

الفرع الثاني: نتاجه المعرفي و الروحي

1 – نتاجه المعرفي (المطبوعات, المخطوطات) : إن تأليف الشيخ عبد القادر الكيلاني – في الغالب كتب مواعظ، وإرشاد، والموجود منها في المكتبة القادرية:

– المطبوعات

أ – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل .

ب – فتوح الغيب: وهو يحتوي على ثمان وسبعين موعظة مختلفة جمعت من قبل ولده الشيخ عبد الرزاق، وفيها بعض المعلومات التي استخلصها من أبيه الشيخ عبد القادر الجيلاني لما كان على فراش الموت، ومنها مايخص نسبه من أبيه .

ج – الفتح الرباني: وهو يحتوي على اثنتين وستين موعظة، ألفت خلال سنة 545 هـ وسنة 546هـ -1150م وسنة 1152م .

د – سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار في التصوف .

هـ – الدلائل القادرية .

و – الحديقة المصطفوية، مطبوعة بالفارسية والأردية.

ز – الحجة البيضاء .

ح – عمدة الصالحين في ترجمة غنية الصالحين– بالتركية .

ط – الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية .

ل . بشائر الخيرات.[1]

---

1 – د / سعيد بن مسفر القحطاني/ نفس المرجع السابق/ ص648 - 650 بتصرف.

– المخطوطات

أ – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل .

ب – ورد الشيخ عبد القادر الجيلاني .

ج – حزب الإبتهال .

د – كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة .

هـ – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر

و – سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار .

ز – المختصر في علم الدين

ح – مجموعة خطب .

– مؤلفات الأخرى التي وردت في كشف الظنون، وهدية العارفين، ومعجم المؤلفين وإيضاح المكنون، وغيرها من المراجع الأخرى فهي:

أ – تفسير القرآن بخط يده.

ب – تحفة المتقين وسبيل العارفين.

د – الكبريت الأحمر في الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم–

هـ – مراتب الوجود .

و – مواقيت الحكم .

ز – الطقوس اللاهوتية .

– وفاته ومرقده.واستمر الشيخ عبد القا در– رحمه الله – مثابرا في دعوته إلى الله تعالى وجهاده في سبيله حتى وافاه الأجل المحتوم ليلة السبت العاشر من ربيع الثاني سنة 561هـ عن عمر بلغ تسعين سنة. وفرغ من تجهيزه ليلا وصلي عليه ولده عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه، ثم دفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وأهرع الناس للصلاة على قبره وزيارته وكان يوما مشهودا.

7 – أولاده :كان الشيخ عبد القادر– رحمه الله – قد أنجب عددا كبيرا من الأولاد وقد عنى بتربيتهم وتهذيبهم، وتخرجوا على يديه في العلم، وكان معظمهم من أكابر الفقهاء والمحدثين واشتهر منهم ثمانية، وكان في طليعتهم الشيخ :

أ – عبد الوهاب الذي درس بمدرسة والده في حياته نيابة عنه، وبعد والده وعظ وأفتى وتخرج عليه جماعة من الفقهاء، وكان عالما كبيرا حسن الكلام في مسائل الخلاف له لسان فصيح في الوعظ، وكان ظريفا لطيفا، ذا دعابة وكياسة، وكانت له مروءة وسخاء وقد جعله الإمام الناصر لدين الله على المظالم, فكان يوصل حوائج الناس إليه وقد توفي سنة 573هـ ودفن في رباط والده في الحلبة.

ب – وكان منهم الشيخ عيسى الذي وعظ وأفتى، وصنف مصنفات منها كتاب "جواهر الأسرار، ولطائف الأنوار" في علم الصوفية ، قدم مصر وحدث فيها، ووعظ وتخرج به من أهلها غير قليل من الفقهاء وتوفي فيها سنة 573هـ

ج – ومنهم الشيخ عبد العزيز وكان عالما بهيا متواضعا وعظ ودرس وتخرج على يديه كثير من العلماء، وكان قد غزا الصليبين في عسقلان، وزار القدس الشريف، وتوفي فيها سنة 602هـ وقبره في مدينة "عقره" من أقضية لواء الموصل في العراق .

د – ومنهم الشيخ عبد الجبار تفقه على والده وسمع منه، وكان ذا كتابة حسنة سلك سبيل الصوفية، ودفن برباط والده في الحلبة.

هـ – ومنهم الشيخ عبد الرزاق وكان حافظا متقنا، حسن المعرفة بالحديث، فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورعا متدينا، منقطعاً في منزله عن الناس، لايخرج إلا في الجمعات، مقتنعا باليسير، مترفعا عما في أيدي الناس، وتوفي سنة 603هـ. ودفن بباب الحرب في بغداد.

و – ومنهم الشيخ ابراهيم تفقه على والده وسمع منه، ورحل إلى واسط في العراق وتوفي بها سنة 592هـ .

ز – ومنهم الشيخ يحيى وكان فقيها محدثا، انتفع الناس به، ورحل إلى مصر ثم عاد إلى بغداد، وتوفي فيها سنة 600هـ ودفن برباط والده في الحلبة.

ك – ومنهم الشيخ موسى تفقه على والده وسمع منه، ورحل إلى دمشق، وحدث فيها واستوطنها، وعمر بها على يديه غير واحد من الفقهاء، ثم رحل إلى مصر وعاد إلى دمشق، وتوفي فيها وهو آخر من مات من أولاده[1] .

---

1 – د / سعيد بن مسفر القحطاني/ الشيخ عبد القادر الجيلاني وارآؤه الاعتقادية والصوفية/ط1 /1418 هـ / بدون ت/ ص650 - 658 بتصرف.

– **المدرسة القادرية والمسجد الجامع:** ولقد امتدت أيدي التخريب والتعمير إلى مدرسة باب الأزج ومسجدها مرارا عديدة خلال العصور المتعاقبة، فقد نالها التخريب على أيدي المغول عند غزو بغداد من قبلهم في القرن السابع الهجري، وعمرت بعد ذلك على أيدي من أسلم من سلاطين المغول ونالها التخريب مرة أخرى على أيدي الصفويين من شاهات ايران، بعد استيلائهم على بغداد في القرنين العاشر والحادي العشر الهجريين، وعمرت بعد ذلك على أيدي السلاطين العثمانين بعد استعادتهم لبغداد من أيدي الصفويين. وقد بنيت المدرسة والمسجد مجددا واتخذا وضعهما الأخير في عهد السلطان مراد الرابع العثماني سنة 1048هـ , وأطلق عليها اسم جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني .

– **المكتبة القادرية** : مكتبة المدرسة القادرية العامة، خزانة من خزائن كتب للعهد العباسي في بغداد يرتقي تاريخها إلى أوائل القرن السادس الهجري،وأوائل القرن الثاني عشر الميلادي، حيث أنشئت لأول مرة، ضمن مدرسة علمية على المذهب الحنبلي وكان قد وضع نواتها الأولى مؤسس المدرسة أبوسعيد المِخرمي وعرفت باسم: مدرسة المِخرمي، ثم زاد عليها أهل العلم من بعده، منهم أبوالحسن علي بن عساكربن المرحب بن العوام البطائحي الذي عاش مابين سنة 489 وسنة 572هـ ومابين سنة1095 و1176م .

وفعل مثله الشيخ أبو الحسن أيوب الحارثي المتوفي سنة572 هـ / 1176م. وهذه المدرسة هي أقدم مدارس الحنابلة ببغداد، وأعظمها شأناً، وأكثرها أوقافا، وأطولها عمرا. وبهذا يمكننا القول بأن أول من وضع نواة هذه المكتبة هو: المبارك بن علي بن الحسن أبوسعيد المِخُرِمي ولد سنة 446هـ / 1054م ، سمع الحديث من أبي الحسين ابن المهتدي، وافتى ودرس وجمع كتباً كثيرة، لم يسبق أن جمع مثلها وناب في قضاء بغداد، كان حسن السيرة جميل الطريقة شديد الأقضية، بنى مدرسة بباب الأزج شرقي بغداد ثم عزل عن القضاء سنة 511هـ/1117م وتوفي في 12 محرم سنة513هـ / 1119 م, وصلى عليه في عدة مواضع، ودفن قبل صلاة الجمعة إلى جانب أبي بكر الخلال قرب تربة الإمام أحمد بن حنبل بباب حرب بالجانب الغربي من بغداد برغم أننا قلنا بأن واضع نواة المكتبة القادرية هو: المبارك بن علي المخرمي إلا أن الشيخ: عبد القادر– رحمه الله – ليعتبر المؤسس الحقيقي لهذه المكتبة لما كان له من أثر بالغ في نفوس الناس، وإقبالهم على رفد هذه المكتبة بما لديهم من الكتب والمؤلفات، والوقفيات في حياته، وبعد وفاته.

2 – نتاجه الروحي

أ – مما أثر عنه: كان يقول ياربى كيف أهدى إليك روحى وقد صح بالبرهان أن الكل لك, وكان يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر، وكان يفتى على مذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد بن حنبل – رضى الله عنهما– وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق وتعجبهم أشد الإعجاب، ويقولون سبحان من أنعم عليه، ورفع إليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق أن يعبد الله – عز وجل – عبادة ينفرد بها دون جميع الناس فى وقت تلبسه بها, فماذا يفعل من العبادات، فأجابه على الفور بأن يأتي مكة ويخلى له المطاف ويطوف سبعا وحده وينحل يمينه، فأعجب علماء العراق، وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها, وكان يقول

لأصحابه اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تخالفوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تتمزقوا، وانتظروا ولا تيأسوا، واجتمعوا على الذكر ولا تتفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تتلطخوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا. [من خلال ما أثر عنه يتضح لنا أن الشيخ – رحمه الله – كان رجل علم وعمل، فكل وصاياه لأصحابه متضمنة لإتباع الهدي، و ترك البدع, والتزام الطاعة، وترك المخالفة, والتحلي بالصبرومجانبة اليأس والقنوط من روح الله، وملازمة الجماعة، والحرص كل الحرص على الإبتعاد عن كبائر الذنوب وصغائرها، والإكثار من التوبة, والمسارعة بالإنابة والعودة إلى الله في كل حين، فمثل هذه المضامين التى استوعبتها وصايا الشيخ هى خير دليل على المكانة التي يحتلها الشيخ بين العلماء والعباد].

ب – من حكمه ومواعظه :"إذا علم المريد الخطأ على الشيخ فلينبهه، فإن رجع عن خطئه، فذاك الأمر، وإلا ترك قوله، واتبع الشرع" ذكره في كتابه أدب المريد.

وقال: يا غلام اشتغل بنفسك، ثم غيرك، لا تكن كالشمعة، تحرق هي نفسها، وتضيء لغيرها.

هي خمسة: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال, والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضى عن الله تعالى في القليل والكثير, والرجوع إلى الله في السراء والضراء.

فتحقيق التقوى: بالورع والإستقامة، وتحقيق اتباع السنة: بالتحفظ وحسن الخلق وتحقيق الإعراض عن الخلق : بالصبر والتوكل، وتحقيق الرضى عن الله : بالقناعة والتفويض وتحقيق الرجوع إلى الله تعالى: بالشكر له في السراء، والإلتجاء إليه في الضراء وأصول ذلك كله خمسة: علو الهمة، وحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، ونفوذ العزيمة وتعظيم النعمة فمن علت همته ارتفعت رتبته، ومن حفظ حرمة الله، حفظ الله حرمته ومن حسنت خدمته، وجبت كرامته، ومن نفذت عزيمته، دامت هدايته، ومن عظم النعمة شكرها ومن شكرها استوجب المزيد. وأصول العلامات خمسة: طلب العلم للقيام بالأمر، وصحبة المشايخ والإخوان للتبصر, وترك الرخص والتأويلات للتحفظ وضبط الأوقات بالأوراد للحضور، واتهام النفس في كل شيء للخروج من الهوى والسلامة من العطب. فطلب العلم آفته: صحبة الأحداث سناً، وعقلاً، ودیناً، مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة. وآفة الصحبة الإغترار والفضول وآفة ترك الرخص والتأويلات:الشفقة على النفس. وآفة إتهام النفس:

الأنس بحسن أحوالها، واستقامتها وقد قال تعالى:" وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا" وأصول ما تداوى به علل النفس خمسة: تخفيف المعدة، بقلة طعام والشراب، والإالتجاء إلى الله تعالى مما يعرض عند عروضه، والفرار من مواقف ما يخشى الوقوع فيه، ودوام الإستغفار مع الصلاة على النبي آناء الليل وأطراف النهار باجتماع الخاطر, وصحبة من يدلك على الله في بيان الوصول إلى الله تعالى بالتوبة من جميع المحرمات والمكروهات, وطلب العلم بقدر الحاجة إليه، والملازمة على الطهارة، وأداء الفرائض الرواتب في أول وقتها جماعة وملازمة ثمان ركعات الضحى، وست بين المغرب والعشاء، وصلاة الليل, والوتروصوم الإثنين والخميس، وثلاثة أيام البيض، والأيام الفاضلة، وتلاوة القرآن بالحضور, والتدبر والإكثار من الإستغفار والصلاة على النبي وملازمة أذكار السنة صباحاً ومساء.[1]

---

[1] - د / سعيد بن مسفر القحطاني/ الشيخ عبد القادر الجيلاني وارآؤه الاعتقادية والصوفية/ط1 /1418 هـ / بدون ت/ ص645 / 650 بتصرف.

انظر: عبدالرحمن وكيل/ هذه هي الصوفية/ط4/دار الكتب العلمية/بيروت1984/ص175

ج - من مأثوراته الصوفية: وقد رأينا بعد اطلاعنا على الكثير من أوراد الطرق الصوفية المتصلة بالكتاب والسنة، أن هذه المأثورات تمثل القاسم المشترك بين جميع الطرق الصوفية الحقة، فهي الأوراد التي يجب على المريد ألا يقصر في الحد الأدني منها، لأنها بمثابة الطاقة التي يستمد منها السالك حيويته ونشاطه، وهي موزعة على فترات صباحية ومسائية، وقد أردنا بذكرها وعرضها، بيان رصيد الصوفية الموصول بكتاب الله وسنة رسوله الكريم, فكل أورادهم لا تنفك عن ذكر آية من القرآن أو مأثور من السنة. فهذه الإبتهالات هي من السنة –وقد أخرجها أصحاب الصحاح– وهي : اللهم بك نصبح وبك نمسي، وبك نحيا و بك نموت، وإليك النشور " [1] صباحاً و تستبدل بالمصير النشور مساءً. " أصبحنا، وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، والكبرياء لله والعظمة لله والخلق والأمر، والليل والنهار وما سكن فيهما لله " [2]، للهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا

---

[1] رواه الترمذي

[2] – أبو داود،

شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر "[1] ثلاثاً اللهم إني أصبحت أُشهدك، وأُشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك " [2] أربعاً. رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً " ثلاثاً و قراءة سورة يس. " أعوذبالله السميع العليم من الشيطان الرجيم " ثلاثاً سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته " ثلاثاً. وإذا اتسع الوقت فقل : " سبحان الله ،و الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر "[3] مئة مرة .

"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" [4] "فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ "[5] سبعاً " وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ"[6]

"لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"[7] الإخلاص والمعوذتين ثلاثاً . " بسم الله لذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم "[8]

---

[1] – ابن ماجة

[2] – رواه ابوداود عن انس بن مالك وحسنه ابن الباز في تحفة الاخبار

[3] – رواه الشيخان من حديث ابي هريرة

[4] - سورة البقرة ، الآيتان 285 ، 286

[5] - سورة التوبة ، الآية 129

[6] - سورة الروم الآيات 17 - 19.

[7] – سورة الحشر / الآية 21 ، 22 ، 23 ، 24 .

[8] – واه ابو داوود والترمذي والنسائ وابن ماجة من حديث عثمان بن عفان

ثلاثاً. " أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون "[1] ثلاثاً . " أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أتوب إليه [2]" ثلاثاً. و" ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم "كذلك مئة مرة .

"لا إله إلا الله الملك الحق المبين"كذلك مئة مرة. لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"كذلك مئة مرة أو ثلاثاً." اللهم صل على سيدنامحمد عبدك ونبيك، وحبيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه "ثلاثاً [3]

– تعليق على السيرة الذاتية لشيخ الطريقة القادرية

إن المتتبع لسيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني، انطلاقا من النسب الشريف، والنشأة الدينية في كنف العائلة الكريمة، وتقلبه في بساتين العلم من صحبة العلماء، ومجالسة الأولياء حتى سطع نجمه، وذاع ذكره، وبلغت شهرته مشرق الشمس ومغربها، وشهد له جهابذة العلماء، وأقطاب الأولياء بالعلم والصلاح والفلاح. فهذا شيخ الإسلام الذي اتهمه أعداء الصوفية بالخصومة والجفاء، وهو مما وصفوه به براء. يقول : وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ كَلَامُهُ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى اتِّبَاعِ الْمَأْمُورِ, وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورِ وَلَا يُثْبِتُ طَرِيقًا تُخَالِفُ ذَلِكَ أَصْلًا لَا هُوَ وَلَا عَامَّةُ الْمَشَايِخِ الْمَقْبُولِينَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَيُحَذِّرُ عَنْ مُلَاحَظَةِ الْقَدَرِ الْمَحْضِ بِدُونِ اتِّبَاعِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .[4]

وقال عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله: (كان له سمت حسن، وكان فيه زهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات, ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات، وقد كان صالحاً ورعاً، وقد صنف كتاب "الغنية"، و"فتوح الغيب"

---

[1] – رواه البخاري من حديث ابن عباس

[2] - رواه البخاري ومسلم

[3] – د / سعيد بن مسفر القحطاني/ الشيخ عبد القادر الجيلاني وارآؤه الاعتقادية والصوفية/ط1 /1418 هـ / بدون ت/ ص665 - 672 بتصرف.

[4] – ابن تيمية / الفتاوى / التصوف / 8 / 366

وفيهما أشياء حسنة، ... وبالجملة كان من سادات المشايخ)[1].

وترك الشيخ ذخيرة نفيسة من المؤلفات التي مازالت إلى اليوم تعد مراجع للفقاء والمحدثين والمفكرين والمتصوفين. هذا ما يجعل الباحث المنصف والمتتبع لسيرة الشيخ أن يتأكد ويقر بكل موضوعية أن الطريقة القادرية الحقة، هي قبس من كتاب الله، وسنة نبيه الكريم، وأن من اتبع سبيلها وسلك نهجها من المشايخ والأتباع والمريدين والمحبين فقد تحقق له الوصل بهدي محمد وآل محمد، فكان - برحمة الله — من الناجين

و بالصحبة من الفائزين .

المطلب الثاني: الطريقة القاديرية في الجزائر (ورقلة ووادي سوف)

الفرع الأول: الطريقة القاديرية في ورقلة

تعتبرهذه الطريقة من أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وقد وصلت إلى الجزائر في وقت مبكر عن طريق الحجاج إلى بيت الله الحرام منذ القرن السادس الهجري. والجدير بالذكر أن المشيخة العامة للطريقة القادرية بعموم إفريقيا الكائن مقرها بالرويسات ولاية ورقلة، تمتد جذور العائلة المشرفة على شؤونها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي دفن ببغداد، وسليله الشيخ سيدي عيسى الذي قطن القاهرة "قاهرة أعداء" آل بيت رسول اللّه صلى- اللّه عليه وسلم- وكان لهذه العائلة القادرية الشريفة منهج تربية وعلم وجهاد, وكانت لها مواقف عظيمة ومشرفة، بدأت بمقاومة الإستعمار بقيادة الأمير عبد القادر الذي ينتمي إلى هذه الطريقة الصوفية، وكذلك ثورة الشريف محمد بن عبد اللّه الجد الأول لهذه العائلة بمدينة الرويسات، وثورة شريف بوشوشة وكذا ثورة بن ناصر بن شهرة وغيرها من الثورات والمقاومات ضد الإحتلال الفرنسي. وكان لهذه الطريقة الفضل الكبير في

[1] - ابن كثير / البداية والنهاية / ط1/ مكتبة المعارف/ بيروت 1966م / 6 / 164

تأسيس جمعية العلماء المسلمين برئاسة الشيخ الفاضل عبد الحميد بن باديس الذي أشاد بفضل الطريقة القادرية في عدة مقالات في مجلة البصائر والشهاب. وبذلت هذه الطريقة كل ما في وسعها لتحرير الجزائر من الإستعمار الفرنسي ودعمت ثورة نوفمبر.كما قدمت الكثير لدعم ثورة ومقاومة الزعيم الليبي سليمان الباروني، وكذا الشهيد عمر المختار بليبيا، وساهمت في ثورة عبد الكريم الخطابي بالمغرب الشقيق، إلى جانب مشاركتها في حركة التحرير.

تعد مدينة ورقلة هي المقر الرئيسي للقيادة الروحية للطريقة القادرية في إفريقيا وشمالها,ولها امتدادها وانتشارها في مختلف ولايات الوطن كالأغواط وتيارت وتبسة ونذكر منها كمثال يحتذى به الزاوية القادرية بمدينة الوادي. بإعتبارها المنفذ الذي عبرت منه القيادة الروحية التي استقر بها المقام في مدينة ورقلة الطيبة، وقد قاد سفينة هذه الطريقة الشريفة بكل أمانة واقتدار: شيخها الجليل حساني محمد بن ابراهيم قرابة نصف قرن من الزمن. وخدم فيها الشيخ الراحل الطريقة القادرية، فعمل على نشر مبادئ الطريقة. وتمتع بماض ثوري، حيث نُصب إبان ثورة التحرير ضد الإحتلال الفرنسي على رأس الناحية الممتدة من ورقلة إلى جانت جنوب الجزائر. لكن الجيش الفرنسي تمكن من اعتقاله، ليفر بعدها ويحكم عليه في مطلع 1962م أي قبل شهرين من إعلان وقف إطلاق النارباالإعدام غيابيا. وقد عاد إلى الوطن بعد ذلك وواصل جهاده في سبيل الله خدمة للدين والوطن حتى وافته المنية – بعد مرض عضال – ليلة الجمعة 04ربيع الثاني 1429هـ الموافق لـ 11أفريل 2008م بمقرسكناه بولاية ورقلة بالجزائر. نسأل الله أن يتغمده برحمته ويجعله مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أوائك رفيقا، وقد خلفه ابنه الفاضل الشيخ لحسن بن محمد بن ابراهيم، وتمت مبايعته من جميع زوايا الطريقة ومشيختها من داخل الوطن وخارجه من ربوع إفريقيا. ويقدر عدد أتباع القادرية في العالم بحوالي 53 مليون شخص، وقد تعهد الخليفة الروحي بمواصلة العمل خدمة للدين والوطن كما كان سلفه، نسأل الله له التوفيق والمدد إنه ولي ذلك والقادرعليه.

الفرع الثاني: القادرية بوادي سوف.

وقد وضع النواة الأولى للقادرية في وادي سوف الشيخ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية بن شريف الذي قدم من نفطة بالجريد التونسي والذي عاش ما بين:

1229-1292هـ ووضع حجر الأساس الأول لزاوية اعميش بالوادي، وبعد وفاته تولى من بعده ابنه الأكبر محمد الكبير أمر زاوية نفطة، وقد فتحت فروع لهذه الزاوية في مناطق أخرى كقمار والرباح واعميش والبهيمة التي تولاّها الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف الذي كان نائبا لأخيه محمد الكبير وقد كانت له سلطة روحية على معظم أتباع الطريقة القادرية، وأصبح الرئيس المطاع بوادي سوف، وخلال توليه أمر الزاوية وفي سنة 1918م قام بانتفاضة شعبية عُرفت بـ " هدّة اعميش الأولى" التي كانت دوافعها: مواجهة تسلط القياد ورفض الضرائب التي أرهقت كاهل سكان سوف وكذلك التصدي للقوانين الإستثنائية الخاصة بالتجنيد الإجباري وإحياء روح الجهاد ونشر الوعي السياسي، فزحفت الجماهير الغاضبة ليلا في يوم 15 نوفمبر 1918م، بدءً من البياضة إلى الوادي، فاستنجد الحاكم الفرنسي بالشيخ الهاشم الذي كان في زاويته بعميش فأوقف الجماهير، بعد أن وعد الحاكم بتنفيذ مطالب السكان وإطلاق سراح المعتقلين وبعد وفاته عام 1923 ودفنه في زاوية اعميش، تولى أمر الزاوية ابنه عبد العزيز الشريف ثم محمد الصالح، وخلال الثورة أغلقت الزاوية وتشرّد أتباعها، ولم تستعد نشاطها إلاّ في فترة التسعينات، وهي الآن تقيم سنويا المهرجان الثقافي للشيخ الهاشمي الشريف. وقد أقيم مسجد الشيخ الهاشمي في زاويته والذي يسمى الآن بمسجدالسنة، ساهم في التعليم القرآني، وقد تولى إمامته محمد الغزالي العربي بن ستو البشير بن مسعود الجديد، لخضر بن علي قادري، العربي قزون، الحاج أحمد بن جاري بكوش بن ساسي، العروسي ستو، محمد بن عبد الله باقي وأخوه الطاهر وأخيرا ابنه الجيلاني الذي بقي إلى يومنا هذ.

أ - نشاطات الزاوية ودورها: تقع الزاوية القادرية في جهة عميش بالبياضة

-كانت الزاوية رمزا للكرم والسخاء بإطعام العشرات من المساكين ورعاية الفقراء حيث تقدم كميات هائلة من القمح والتمر وخاصة أوقات الأزمات

- تشجيع التعليم العربي وفتح المدارس لتعليم القرآن الكريم وأحكام الدين الإسلامي في البياضة والوادي، وأرسلت بعثات علمية للزيتونة بتونس.

-كان للزاوية دورها الجهادي حيث قدم الشيخ الهاشمي مساعدات للثوار الليبيين عام 1916

-قاومت الزاوية الإستعمار الفرنسي ما بين 1918-1938، وساهمت في بث الوعي الوطني السياسي في سوف.

الفرع الثالث: أسس الطريقة القادرية وأورادها.

1 – أسس الطريقة القادرية: هذه بعض الأسس والقواعد التي ترتكز عليها طريقة القادرية, والمعمول بها في زواياها وبين مريديها:

أ- يقول سيدنا ومرشدنا ومولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني – رضي الله عنه (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفهما فليس منا).

ب – طريقتنا جَدٌ، وكَدٌ، ولزوم حَدٍ، حتى تنقد.ومعنى (جد) الجدية في سلوك الطريق إلى الله، فالعمر يمضى ولا تدري نفس ماذا تكسب غداً، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ومعنى(كد) بذل الجهد، والجوارح، والنفس، والروح في السير إلى الله بدون هوادة، ولا تراخي،ومعنى (لزوم الحد) الإلتزام بالشريعة، وتحليل الحلال، وتحريم الحرام، والوقوف عند حدود الله؛ وعدم تجاوزها. السير إلى الله بجناحي الكتاب والسنة الكتاب عن يمينك، والسنة عن شمالك. ومعنى (حتى تنقد) حتى تكف النفس عن المعاصي والذنوب, والشهوات، والملذات، والأخلاق السيئة، ولا يبقى فيها إلا الله جل في علاه.

د- طريقتنا اجتماعٌ, واستماعٌ، وإتباعٌ حتى يحصل الإنتفاع. ومعنى هذا الإجتماع بالصالحين، والعلماء، والمرشدين، والأخوة في الله. والإستماع لهم بأدب، واتباع ما يقولون، وما يأمرون من الهدي النبوي، وبذلك يحصل لدينا الإنتفاع، والوصول لما وصلوا إليه.

هـ – أن نعتقد في شيخ الطريقة العقيدة الصحيحة، وأن نحبه، ونحترمه، ونقدره، ولا نهمله ولا نعظمه؛ فوق الحد المطلوب؛ ولا نغلوا في حبه، ولا نعتقد فيه العصمة، كما يفعل الكثير من جهال الصوفية، ولكنه بشر يخطئ ويصيب؛ لكنه محفوظ بعناية الله، إن أخطأ سرعان ما يرجع إلى الله، ويتوب إليه. وما أجمل قول الشيخ عبد القادر- رضي الله عنه- في كتابه الغنية: (يا بني: إياك أن تنظر إلى شيخك أنه معصوم؛ إنما هو بشر يخطئ ويصيب فإن رأيت منه مخالفة، فأبحث له عن عذر شرعي، فإن لم تجد له عذرا، فاستغفر له الله فإنه بشر يخطئ ويصيب)

ز- الطريقة هي العمل بالشريعة على وجه الإخلاص، هذا معناها وعلى هذا مدارها كله

ح- حب الشيخ من ضروريات الطريقة، لكن حب الله تعالى والرسول- صلى الله عليه وسلم- مقدم عليه.

ط – الدعوة إلى الله من أساسيات الطريقة القادرية، والشيخ عبد القادر رضي الله عنه من أكبر الدعاة إلى الله، وهذا معلوم لدى الجميع فمن سلك طريقته إلتزم بمنهجه واهتدى بهدي نبيه – صلى الله عليه وسلم –

ي – معراج السير إلى الله في طريقتنا: كثرة الأذكار، والمداومة على الإستغفار، والصلاة على الرسول المختار- صلى الله عليه وسلم- بالليل والنهار.

ك – من أهم أسس وقواعد طريقتنا القادرية: محبة آل البيت الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين- وحبهم مقدم على كل من سواهم من الناس، فهم بضعة المختار، ووصيته لأمته مع الحب، والتقدير، والإكبار، والإجلال للصحابة- رضوان الله عليهم-

ل – من أساسيات منهج الطريقة القادرية: حب كل الأولياء، والصالحين، ومشايخ ومرشدين للطرق الأخرى، لا نفرق ولا نميز بين طريقة وأخرى، ولا نتعصب لطريقتنا أبداً ولا نطعن بالطرق الأخرى التي تنهج منهج الكتاب والسنة، فكلهم من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ملتمس وعلى بابه يقف، بل نسأل الله القبول لنا ولهم.

– **تعليق**: عند تتبعنا وتفحصنا لكل هذه الأسس العشرة، بدءا بمقولة شيخ الطريق حيث يوصي ويؤكد على ضرورة الإلتزام بالكتاب والسنة، ثم الأساس الثاني: يبين فيه منهج الجد والعمل لأهل الطريقة، فهو دعوة للعمل، والمثابرة، ومخالفة للنفس والهوى أما الأساس الثالث: فهو دعوة للتعاون الجماعي على ذكرالله تعالى، ومجالسة الصالحين للإنتفاع بعلمهم والنيل من بركاتهم، وهو أمر مشروع، أما الأساس الرابع: فهو يوضح مكانة شيخ الطريقة بأنه بشر, ينفي عنه القداسة والعصمة التي يحاول الأتباع الجهلة والمغرضون المكرة أن يضفوها على شيخ الطريقة؛ فيكون بذلك عرضة للطعن في شخصه، وفي الطريقة التي ينتسب إليها وفي الإسلام الذي يدعو إليه. وعليه فجميع أسس طريقة القادرية هي مشروعة, ومستوحاة من الكتاب والسنة كما هو الشأن بالنسبة لجميع الطرق الصوفية المعتدلة وما عدا ذلك فهو محض افتراء على الصوفية والتصوف .

2 – أوراد الطريقة القادرية

وهو من أجل الأوراد قدراً وأوفرها ذخراً وأعلاها ذكراً , وهو يغني عن جميع الأوراد ولا يُغني عنهُ ورد , ومن أجّل فوائدهُ أن صاحبهُ لا يموت إلا على حسن الخاتمة, وكفى بها مزيّةٌ, كما أنه من أسباب الغنى , وهو أن تقول دُبر كُل صلاة مكتوبة : حسبُنا الله ونعم الوكيل (مائتي مرة) .

أستغفر الله العظيم (مائتي مرة) .

لا إله إلا الله الملك الحق المبين (مائتي مرة) .

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (مائتي مرة) .

وتزيد بعد الفجر والمغرب

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (سبعاً) .

اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير (سبعاً).

اللهم إني أعوذ بك من كُلَ صاحب يرديني ومن كُلَ أمل يغويني ومن كُلَ عمل يخزيني ومن كُل غني يطغيني ومن كُل فقر يلهيني اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزَن وأعوذ بك من الجُبن والبُخل وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من غلبة الدين و قهر الرجال وأعوذ بك من قلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تقنع وعلم لا ينفع وأعوذ بك من هؤلاء الأربع . وتصلي بين المغرب و العشاء ست ركعات وهي صلاة الأوابين. اللهم إني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم و أنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به من هذه الساعة إلى مثلها في حقي وحق غيري في ديني و دنياي ومعاشي ومعادي و عاقبة أمري عاجلهُ و آجله فاقدرهُ لي و يسرهُ لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به في حقيقي وحق غيري من هذه الساعة إلى مثلها شرٌ لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي و عاقبة أمري عاجله وآجلهُ فاصرفه عني واصرفني عنهُ واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به إنك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآلهِ وصحبهِ وسلم تسليماً وتصلي ركعتي التهجد آخر الليل بالفاتحة فيهما ومعهما في الأولى سورة الكهف و في الثانية سورة الدخان. أو يَس في الأولى و الملك قي الثانية، وتقول في سجودهما : (اللهم ارحم ذُلِّي و تضرعي إليك وآنس وحشي بين يديك وارحمني برحمتك يا كريم) وتقول بعد السلام منهما: (اللهم أسألك إيماناً دائماً ويقناَ صادقاً و قلباً خاشعاً و عملاً صالحاً متقبلاً ورزقاً

حلالاً واسعاً وجوارح مطيعة بفضلك وإحسانك يا محسن يا متفضل ارحمني برحمتك إنك على كل شيء قدير) .

وتصلي ركعتي الضحى بسورتين بعد الفاتحة فيهما وهما والشمس وضحاها , و الضحى كل واحد لركعة وتقول في سجودهما , ما في سجود التهجد , وبعد السلام منهما اللهم يا منور يا فتاح نور قلبي بنور معرفتك وافتح لي أبواب حكمتك وانشر علي خزائن رحمتك إنك على كل شيء قدير[1] .

تعليق: جميع ماورد من الأوراد مستمد من القرآن كآيات، أو من الأحاديث النبوية الشريفة يمكن تخريجها من صحاح السنة كما سبق في المبحث الثاني والثالث

—

1 – د / سعيد بن مسفر القحطاني/ الشيخ عبد القادر الجيلاني وارآؤه الاعتقادية والصوفية/ط1 /1418 هـ / بدون ت/ ص648 / 659 بتصرف./ انظر: عبد الحليم محمود/التعرف لمذهب اهل التصوف/ص10-12 بتصرف

المبحث الرابع

دراسة بيانية لأثر التصوف في السلوك

وبه مطلبان :

المطلب الأول: فئات الدراسة البيانية

وبه أربع فروع

الفرع الأول: الفئة الأولى

الفرع الثاني: الفئة الثانية

الفرع الثالثة: الفئة الثالثة

الفرع الرابع: الفئة الرابعة

المطلب الثاني: احصاء الزوايا المنتشرة عبر الوطن

الفرع الأول: نتائج الاحصاء

المطلب الأول: فئات الدراسة الميدانية

هـذه الدراسـة أجريناه على مجموعـات مـن المريـدين لمختلـف الطـرق الصـوفية كالتجانيـة والقادرية، والرحمانية، وبالمقابل تحاورنا مع مجموعات أخرى، ترفض الإتجاه الصوفي على الإطلاق، أو تتحفظ على جملة من الممارسات الشائعة بين أتباع الصوفية، وقد صنفنا هذه المجموعات إلى فئات أربع، حسب القاسم المشترك بين عناصركل فئة،كمقياس العلم أو الأمية، أو السن، أو الوضع الإجتماعي.

الفرع الأول: الفئة الأولى

وتتكون من مجموعة، أغلب عناصرها من كبار السن الذين تتجاوز أعمارهم الحد الأقصى لأعمار أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – والمقدر بما بين الستين والسبعين كما جاء في الحديث الشريف (أعمار امتي مابين الستين والسبعين) ثم إن أغلبهم من العوام يفتقرون للقراءة والكتابة بل حتى للثقافة العامة في أبسط معانيها.ولعل ذلك راجع لكونهم عايشوا الحقبة الإستعمارية، فأصيبوا من شظاياها،أو فروا منها إلى شعب البادية، أو عاشوا مسالمين مذعنين، إما لضيق حيلتهم، أومتورطين ضد قومهم وأهليهم، مكرهين أو مخيرين ثم بعد ذلك تابوا وأصلحوا، وقصدوا التكفير عما فات، واقتنعوا بأن خلاصهم في العبادة واتباع شيخ الطريقة.ومنهم من عاشوا حياة الجبل مجاهدين أوفياء بذلوا الجهد، وضحوا بالنفس، والمال، فحرموا التعليم واللغة إلا من لغة السلاح فاختاروا عندئذ التصوف مذهبا،

والطريقة، مسلكا سعيا منهم أن تكون نهاية مطافهم تنسكا، وخاتمة جهادهم تقربا، فتفرغوا للعبادة وانضموا للطريقة مريدين متبعين وفي الجميع غبش مستصحب من تراكمات السنين. هذه الفئة بما لها من مواصفات متفاوتة إلا انها تجمعها صفة الأمية الغالبة على أفرادها، اتصلنا بعينة منهم في حدود **78** نفرا وتحاورنا معهم في أماكن متعددة في البيت، وفي الزاوية وبالطريق بل وفي مواقع عملهم ورصدنا تصرفات بعضهم، وسألنا الغير عن معاملاتهم. طرحنا عليهم أسئلة متنوعة تحرينا فيها الدقة والوضوح والإيجاز حتى تكون الإجابة المنتظرة وفق ذلك آخذين في الإعتبار خصائصهم الآنفة الذكر: فكانت الأسئلة على النحو التالي:متى أخذت الورد أي التسبيح، وكم كان عمرك ؟.

هذه الفئة ارتأينا توجيه السؤال الباشر إليها أفيد،لأنها لا تستوعب مصطلح التصوف، أو الطريقة فكان السؤال عن التسبيح أو الورد كتعبير عن الزاوية ومضامينها، كانت الإجابة بنسب متفاوتة: منهم من قال رفقة والدي في الصغر، ومنهم من قال بعد الإستقلال بعد نزولنا من الجبل، و منهم من قال لا أذكر ولكن وجدنا العائلة كلها – على حد تعبيره – من خدام الشيخ. ومنهم من قال تعلمنا من شيوخنا "من لا شيخ له فشيخه الشيطان"، ونحن كبرنا في بالزاوية، ونشأنا في أحضانها، فما كان منا إلا أن نأخذ الورد من الشيخ، ونصبح مريدين، وخدما للزاوية. ومنهم امتنع عن الاجابة. فمن خلال دراستنا للردود – مستعنين بما يظهر من ملامح الصدق، أوالإفتعال على الوجوه والحركات، لأنها غالبا ما تعبر عما تخفيه الضمائر– استنتجنا أن القوم مقلدين يصدق عليهم قوله تعالى:(إنا وجدنا آباء نا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون). ثم تابعنا الحوار حول الذكر بالقول: ما هي الأوراد، أو الأذكار التي أخذتها عن الشيخ هل أنت مواظب عليها، كم مرة في اليوم والليلة، وحدك أم في الجماعة فلم يجبنا الا ثمانية يحفظونها ملحونة وهي: سبحة بسم الله، وسبحتان: لااله إلا الله وسبحتان أستغفر الله العظيم الذي لاإله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. فهي في مجموعها خمس سبح بتعبيرهم والسبحة مائة مرة . يأتون بها في جماعة بعد صلاة العصر, والغالبية فرادى، ومنهم من قال بكل جرأة وشجاعة أنه يهملها, ولا يتذكرها إلا إذا كان في حضرة الشيخ. سألناهم عن قيام الليل عن الخلوة عن الصيام والصدقة وصلة الرحم, سألناهم عن التعاون الجماعي، ومواساة الجيران، ومن يعرفون ولا

يعرفون. لاحظنا بعض السلوكات مثل: الوعدة أو الركب وهو محفل كبير يقام سنويا لزيارة قبر الشيخ، يدعى إليه الأحباب من كل فج وتشد إليه الرحال من كل مصر، يكسى بالمناسبة ضريح الشيخ بالقماش النفيس، والزائر ينحني ويتمسح، ويقدم للمقدم الزيارة، وهي قيمة مالية، كذلك قراءة القرآن في حلقة جماعية، والبردة، ومدائح أخرى، وذبائح كثيرة ونفقات باهضة، في حين تشاهد مجموعات أخري في لهو، وحديث عن أغراض أخرى.

تعليق على اجابة الفئة الأولى :

كانت إجاباتهم مقتضبة، تعبر عن قلة فهمهم وسطحية إدراكهم، تغلب عليهم العادات والتقاليد، بما يعطي الإنطباع بصبغة التوارث في تواجدهم بالزاوية وقد بدا هذا الجهل مكشوفا 6,24% من يحفظون الورد. 9,36% يقومون بأعمال خيرية. صيام الإثنين والخميس لايتجاوز3,12%. الخلوة وقيام الليل 00%. ولعل ذلك راجع للتربية التي تلقوها والتي تدعوهم للتستر خوفا من الرياء والسمعة، وهذا من قبيل حسن الظن بالجماعة.

الإجابة المتعلقة بطقوس الزاوية،كانت على استحياء، يشوبها التحفظ، وعدم الإفصاح لم تكن في مستوى الجرأة، والشجاعة التي أجيب بها عن الأسئلة التي سبقتها، وإن كانت نسبها ضعيفة. ولعل ذلك يعود لقصور إدراكهم، وأنهم لا يفقهون شيئا عن تلك الممارسات, وأنهم ممن يعتقد ولا ينتقد، خصوصا لما وجدنا تجاوبهم لم يتجاوز0 % أي لم ينكروا شيئا منها وكتفوا بالقول: أنها الزاوية .

العينة	الورد	الصيام	القيام	الخلوة	الصدقة	الافعال الخيرة	طقوس	الاثرفي السلوك
78	%6,24	%3,12	%00	%00	%12,48	%9,36	%00	%4,68

هذه النسب تعبر لنا عن نسبة الأشخاص الذين تجاوبوا معنا في حالة السلب أو الإيجاب وتعد نسبة أثر الأعمال في السلوك وهي نتيجة جد ضعيفةروح نجدها بحق منعكسة ومتجلية من خلال نسبة السلوك ، وحينما ننظر في النسب الناتجة عن الأفعال التي لها أثر

في تزكية النفس وترقية الروح والمتمثلة في: الصيام والقيام والخلوة. مع أن الإسان يترقى من مقام إلى آخر إذا استوف شروط المقام الأول كما سبق معنا في دراسة المقامات والأحوال عند الصوفية وإلا حدث له اضطراب، وانتكاس، وارتداد، ومن ثم سقوط وانحدار. وعليه فهذه النتيجة معبرة عن الواقع المزري الذي تمر به الطرق الصوفية و التي يتشكل مريدوها من مثل هذه الزمرة في معتقدها و ثقافتها وفهمها وممارستها.

الفرع الثاني: الفئة الثانية: ويبلغ تعدادها 54 وهم من المخضرمين من الذين عاشوا حياة البدو والحضر، ولكن نسبة الأمية فيهم أقل من الفئة الأولى. يبدو من خلال مناقشتهم أنهم أكثر اطلاعا، وأكثر احتكاكا بأمور الحياة من أصحاب الفئة الأولى، وفيهم نسبة من المتعلمين تعليم الكتاتيب، وأغلبهم حرفيين ومن أصحاب الخدمات وتجار في مختلف القطاعات. رأيناهم في مواقع عملهم كيف ينسون أنفسهم، ويتعاملون مع الوافدين عليهم بجفاء لا نظير له، ومنهم من تلحظ عليه خليطا من التصرفات والظواهر التي توحي بإنتمائه للزاوية، كاللباس المميز، واللحية المرسومة، والسجادة المعلقة بمشجب المكتب، والسبحة المسدولة على الأنامل، ولكنه مع ذلك لم يتخلص من الغطرسة وحب الذات. فكأني بهم ما يربطهم بالزاوية إلا رغبتهم في تحقيق بعض المكاسب من الجاه، أو المال، أو المنصب المقرون بالسمعة، وحصول المنافع التي تعود على الأهل والأقارب. فمثلهم كمثل الطائفة التي تحدث عنها الإمام الغزالي بقوله: " وهم الذين تشبهوا بالمتصوفة في الزي والحركات الظاهرة، وتشبهوا بهم في آدابهم و مراسمهم و أحوالهم الظاهرة، كالسماع، والصلاة وخفض الصوت، ظانين أن ذلك التشبه ينجيهم. ولذلك لم يسلكوا طريق المجاهدة، و الرياضة، و مراقبة الله في الظاهر والباطن، و تصفية النفس من أدران المعاصي، وكانوا يهدفون من انتسابهم وتشبههم بالمتصوفة إلى الوصول إلى المال والجاه والمنصب من أقصر الطرق وأيسر السبل، هؤلاء هم متصوفة أهل هذا الزمان إلا من عصم الله، هؤلاء ممن انتشروا في مجتمعاتنا هذه، وأساؤوا إلى التصوف الصحيح الذي هو لب الشريعة".

وعلى الرغم مما ذكرنا فإننا وجدنا ثلة قليلة من بين من تحاورنا معهم، وهم من حفظة القرآن، ومعلميه، ارتباطهم بالزاوية من خلال تعليم الصبيان، وجدناهم يتحفظون حيال بعض الممارسات، ولكنهم ملزمين بالجو العام للطريقة وطقوس الزاوية. فهذه فئة تلزم نفسها بالحرص على على القيام بواجب التعليم، ولا تتدخل بالسلب أو الإيجاب في شؤون الزاوية، و إذا قارناها بمجموعة– أ– من الفئة الثانية ، وجدنا البون شاسعا، فهم لا يتكلمون كثيرا، يغلب عليهم السمت، يحفظون القرآن، والكثير من الأوراد، تحس بالصدق في حديثهم، ويكفيهم القرآن، والتفاني في تعليمه للأجيال، مثوبة عند الله تعالى فهو الجامع النافع ، وهذه المجموعة – ب– عدد أفرادها **16** من مجموع الفئة الثانية

تعليق على إجابة الفئة الثانية التي تتكون من مجموعة أ ، ب

إذا نظرنا لحال المجموعة – أ – وجدناهم يغلب عليهم الفهم النظري للطريق الصوفي يحدثونك عن أنواع الذكر، وملازمة الشيخ، ومناصرة الزاوية، ويعطونك من الأدلة التي تترك لديك انطباعا بإنتمائهم الصوفي، ولكننك إذا نظرت في سلوكهم وجدته مخالفا لأقوالهم، وهذه تعد من أفعال الفرق المحسوبة على الصوفية والتصوف،كما سبقت الإشارة إليهم في المبحث الثاني من الفصل الثالث، وهم أشد خطرا على الصوفية من المعارضين لهم .

المجموعة	أ	القدرة على الكلام	المظهر	السلوك
54	38	بكفاءة	يوحي بانتماءه	مخالف
المجموعة	**ب**	الذكر	المظهر	الاثرفي السلوك
54	16	تعليم القرآن	السمت	إجابي

أما إذا نظرنا في حال المجموعة – **ب** – فإننا نلحظ فيهم مطابقة القول للفعل في كثير من سلوكاتهم، فهم بداية اختاروا تعليم القرآن، والرباط على ثغره، وأخذوا على أنفسهم عدم التدخل في شؤون غيرهم، يغلب عليهم الصمت إلا بالقرآن ، لا يظهرون في محافل القوم إلا مبعدين، فهم لا يؤثرون في غيرهم، ولايتأثرون بهم، كأن بينهم جفاء باطني, وتآلف خارجي، يمليه عليهم تواجدهم في المدرسة القرآنية، خدمة لكتاب الله، وتعميقا لسنة

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتدعيما للأمة بروافد من الأجيال الحاملة للقرآن والداعية لنشر تعاليمه، وهم على قلتهم في العدد، لكنهم بالنظر إلى من يعلمون من الأطفال كثر. وإذا ثبتوا وانتشروا وتواجدوا في مختلف الزوايا – وما أكثرها – فإن مستقبل الصوفية يكون زاهرا، ومثمرا، ومؤثرا. وقد علمنا النسبة الحاصلة من خلال التعامل مع القاعدة الثلاثية على النحو التالي:

العينة الكلية × العينة المختبرة ÷ مائة = النسبة الحاصلة

الفرع الثالث: الفئة الثالثة: وتعدادهم **57** ، أغلبهم شباب جمعوا بين من تعلم القرآن في المساجد العادية وفي الزوايا، لكنهم واصلوا مشوارهم التعليمي وتخرجوا من الثانويات والمعاهد والجامعات، ومنهم من يشغلون وظائف مختلفة كأساتذة في التعليم والإدارة والشركات، ولهم اهتمام بمواكبة أحداث العصر ومستجداته. طرحنا جملة من الأسئلة مشتركة بين الفئة الثانية والثالثة باعتبارهما أكثر وعيا وأحسن مقروئية من الفئة الأولى توخينا فيها إلى جانب الدقة والوضوح التدرج لمعرفة مدى إدراك المخاطبين لموضوع الزاوية والطريقة وما شاكل ذلك وفق النماذج التالية: لماذا اخترت الطريقة الصوفية ومنذ متى كان ذلك ؟..ما هو شعورك عند الإنضام إليها. بماذا تحس وأنت مع إخوانك من أبناء الطريقة هل هو نفس شعورك مع الغير؟. هل ازددت تعلقا بالعبادة وزهدا في الدنيا، أتذكر لنا بعضا من أورادك اليومية؟. بماذا تحس عند الفراغ منها، أبالضجر والكلل أم بالطمأنينة وراحة البال؟. هل يدفعك ذلك لمزيد من الإجتهاد في العبادة مثل المواظبة على صلاة الجماعة، وصيام السنة، وقيام الليل، وزكاة المال، والتفرغ للإعتكاف والخلوة. هل تذكر جملة من صنائع المعروف التي قمت بها أو شاركت غيرك فيها، وما هو شعورك حيال ذلك، وهل تصاحبك تلك الروح، وتحثك على فعل المزيد من الخيرات، كصلة الرحم والإحسان للفقراء والمساكين من الجيران وغيرهم من الناس من غير تمييز ولا تفاضل؟.ماهو موقفك وشعورك حيال ما يجري في الزاوية من مختلف الطقوس، مثل الوعدة وما يصاحبها من كسوة القبر، وشد الرحال إليه، وكثرة الإسراف في الطعام وفزعة البارود وأعني بها:" فرقة الخيالة التى تقوم بصيحات من الذكر تتلوها طلقات البارود والناس من حولهم تغمرهم الزغاريد. بالنسبة

للسؤال المتعلق بالإنضمام والإختيار والشعور. ومضمون التصريح: أننا لما نظرنا فيما حولنا من تكالب الناس على الدنيا وانتشرت الرذيلة وعم الفساد فانتهكت الحرمات، وأبيحت المحظورات: كإراقة الدماء وكثرة الفتن.قلنا: لا خلاص من هذا الواقع المتعفن إلا أن يفر المرء بدينه, ولاحظنا أن أهل التصوف هم أحسن حالا، وأقل ضررا، فهم يلزمونك بالذكر ويدعونك إليه ، وأن ما يشاع أو يلحظ من تصرفات بعض المريدين أو شيوخ بعض الزوايا، فالتصوف الصحيح في نظرنا منه براء وقد تعلمنا من الكتاب والسنة وفعل السلف والتابعين لهم بإحسان أن هدي محمد – صلى الله عليه وسلم –كالمحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك عند ذلك – يقول أغلبهم – اخترنا التصوف وبحثنا عن مدارسه، وازددنا قناعة لما علمنا أن طريقه مأمون من الغوائل التي تصيب الناس بسبب التنازع على المناصب والثروة فرضينا بوضعنا والحمدلله وأننا شعرنا بالهدوء والسكينة فلا تسمع في مجلسك إلا ذكر الله.

تعليق على إجابة الفئة الثالثة : وهذه الفئة ليس لها إنتماء حركي،كما هو الشأن بالنسبة لمختلف الحركات والتنظيمات الإسلامية الدعوية منها، أو السياسية. فهم من مريدي الزاوية وأنصارها، يدعون إلى الزاوية، ويعملون على تلميع صورتها. لايهتمون بالشكل كثيرا ، بل لا تميزهم في مظهرهم المدني المعاصرعن غيرهم، لكن ممارستهم لتلك الطقوس التي ثبت مخالفتها للشرع– والتي هي من فعل الأتباع الجهلة الذين يمارسون ضغوطهم على الزاوية– جعلت منهم بهذه الصفة، دعاة للتصوف البدعي المنحرف على حد تعبير ابن تيمية.

العينة	خدمة الزاوية	موقفهم من المخالفات	الذكر الجماعي	افعال الخير
57	% 32.49	% 00	% 17,10	% 25,65

فهذه النسب إذا نظرنا لكل واحدة على حدة، فإنه يمكن القول عن خدمة الزاوية بأنها أعلى نسبة، تعبر عن خدمة القوم وتفانيهم،كماتليها نسبة الأفعال الخيرية وهي إذن لا تقل عنها، ولكن إذا نظرنا إلى موقفهم من المخالفات الشرعية لم نجد منكرا لها على الإطلاق بالإضافة إلى مظهرهم بمظهر المريد من خلال حضورهم في مجالس الذكر، مما يعطي الإنطباع بأن القوم مسالمين، يحرصون على عدم التصادم مع الأتباع الجهلة، بل هم

بمواقفهم يؤكدون على مقولة: اتبع ولا تنتقد. فهؤلاء اشتغلوا بأنفسهم، ولكنهم أهملوا دعوة غيرهم، وفاتهم أن يدركوا بأن الإنسان ابن بيئته ومجتمعه، قابل للتأثر والتأثير حتى ولو حاول العزلة في رأس الجبل، وقد عبر عنه ابن خلدون بقوله: الإنسان اجتماعي بطبعه. فمن خلال ما سبق يتأكد للباحث أن معادلة التصوف، مازالت تعاني من إشكالية الإفراط والتفريط وإهمال الوسطية التي هي سمة الشريعة الإسلامية.

الفرع الرابع: الفئة الرابعة: والبالغ عددهم 77 أغلبهم من شباب الصحوة متعلمين جامعيين مثقفين متمذهبين أو لا مذهبيين، منهم السلفيين المتشددين والمعتدلين، منهم من تلقى تعليمه عن علماء الجزائر وتخرج من مؤسساتها التعليمية، وغير مقتنع بأي وافد من الخارج، ومنهم من هو على نقيض ذلك، ولا يرى القدوة والمرجعية إلا في شيوخ المشرق وعلمائه وخصوصا من يلقبون بالوهابية، ويرى أن السنة الصحيحة والسلف المتبع هو ما هم عليه، وما عدا ذلك فهم فسقة أو كفرة أو جهلة وهذا أخف الأحكام التي أطلقوها هذه الفئة لها أدلتها وحججها ومرجعياتها، فليس من السهولة بمكان تجاوزها، كما أنه كذلك يصعب اقناعها و الواقع الصوفي في كثير من مراتعه ينذر ولا يبشر ولكن لابد من معرفة رأيهم، ومالهم من مآخذ على الصوفية فبدأنا الحوارمعهم ونحن واضعين في الحسبان مالهم من موروث دعوي ورصيد معرفي.

س – هل أنت ملتزم بتكاليفك الشرعية، ومنذ متى كان ذلك ؟...

ج – نعم والحمد لله ، منذ الصبا ولكن ازداد وعي والتزامي لما التحقت بالجامعة.

تحس و أنت في ذاك الوسط التعليمي بعد أن تبدأ في استعاب المقاصد الشرعية للتكاليف يتضح لك أنك قبل ذلك كنت مسلما بالوراثة لا بالبينة واليقين، والآن أسعى جهدي لأن تكون صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي كلها لله رب العالمين .

س – هذا الشعور خاص بك أم يشاطرك فيه إخوانك ؟ ..

ج – ويتكلم الجميع: فعلا لقد صدق الزميل، بل كلنا كذلك، وغالب الشباب الذي احتضنته الصحوة،عصمته من الوقوع في مراتع الهوى.

س– إذن أنتم بهذا الفهم والإلتزام، وإخوانكم الطرقيين سواء.فلماذا لا تسلكون سبيلهم؟.

ج – هل الإسلام الذي نلتزمه أعم، أم الطريقة التي تدعونا إليها، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، لقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع من الخطبة الشهيرة :(...ألا هل بلغت..قالوا نعم قال: اللهم فاشهد ..) فهل بعد كلام الله والرسول من كلام ؟..

س- يبدوا أنكم تخلطون بين الطريق الصوفي كمدرسة، وبين الإسلام الجامع ، فالبون شاسع بينهما ، أم أنكم تتجاهلون ذلك ؟ ...

ج – لا هذا، ولا ذاك، ولكن الحقيقة ما نقرأه عن الصوفية، وما يجري في محافلهم وما يتحدث به شيوخهم و أتباعهم، ليس من الإسلام في شئ، ولوكان المتصوفة بالشرع متمسكين لما احتجنا لتسمية أخرى غير تسمية الإسلام الذي ارتضاه الله لنا دينا، ولكنهم حرفوا وبدلوا وغيروا، فهم أدعياء ولوجاز لنا قتالهم لفعلنا ..إنهم ياأخي : جهلة وفجرة فسقة، بل قل عنهم كفرة.

مناقشة وتعليق على إجابة الفئة الرابعة :

الواقع أن تلك الإجابات، كانت واضحة ومبسطة فهي لاتحتاج إلى مناقشة، أو توضيح ولعل ذلك يعود لكونها كانت عفوية، وقوية الدلالة، بعيدة عن التكلف، والغموض ومعبرة عن الفهم السائد للصوفية، فهذه الفئة – في الحقيقة – لا يتصورون تصوفا معزولا عن الاسلام، كما لا يرون حاجة إلى التصوف، مادام حاصلا في الإسلام ,كشريعة وعقيدة, وأخلاق, ومما زادهم اصرارا على الموقف هو ملاحظتهم – عن كثب – لبعض الممارسات، والتصرفات، والشعارات، والدعوات التي لا تمت للإسلام بصلة، وأحرى بها للتصوف بإعتباره قيمة الإحسان، وهو أعلى مراتب الإيمان.

العينة	الفكر	القرآن	الحديث	العبادات	المعملات
77	%57.75	%58.52	%52.36	%50.05	%50.82

فهذه الفئة من الشباب تملك رصيدا مهما من المعرفة الإسلامية، فهم يحفظون القرآن كله أوجله ولهم إلمام بعلومه وعلوم الحديث، ولهم فكر ناضج، يدركون أبعادهم وأهدافهم لكنهم لم يستصيغوا التصوف كمذهب له مريدوه ومشايخه وزواياه، ومالهم من دور ريادي

في الدفاع عن الإسلام، وتأصيله في الأجيال. وحجتهم دائما: إما من التاريخ المشوه عن التصوف المشبوه، والأتباع الأدعياء ، أو بالنظر إلى واقع بعض مراتع الصوفية المنحرفة.

خلاصة المناقشات والتعليقات:

و هكذا يتبين لنا من خلال إجابات وردود تلك العينات من الأتباع و المتعاطفين و المعترضين الرافضين لمبدأ الصوفية والتصوف، أن إشكالية المفهوم الحقيقي للتصوف والصوفية مازالت قائمة على الرقم من تطور البحوث، ووسائل المعرفة. مازلت الإتهامات موجهة للتوجه الصوفي نتيجة للجهل به، أو نتيجة للممارسات الخاطئة بين أدعياء التصوف بإسم التصوف. لذلك فإن الداعية لتصحيح المسار، وتقديم البديل المتمثل في التصوف المشروع وفق الكتاب والسنة، فإنه يجد نفسه أمام عقبة كأداء عند محاولة الإقناع بالتصوف السني كبديل، لأن الذهنيات تشبعت من تلك التراكمات الخاطئة عن الصوفية والتصوف. لذلك يجدر بالباحث المصلح أن يتحلى بالصبر الجميل قي لقاءاته مع مختلف الفئات على تنوعها وتعددها، وأن يكون أكثر موضوعية وحيادية مع محاوريه لاينتصر لفريق على آخر فهو بمثابة الحكم في حله وترحاله. أن يبحث عن مواطن الضعف فيعريها ومراكز القوة فيدعمها، وسلاحه في ذلك كله: كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وأن يتوج عمله بإحتساب الأمر على الله تعالى أسوة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وصحبه الكرام بالصبر على الأذى، وتحمل المعاناة والشدائد العظام من أجل نصرة الدين والذود عن حياضه، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

المطلب الثاني : احصاء الزوايا عبر ولايات الوطن الجزائري

احصاء الزوايا العاملة وغير العاملة والمنتشرة عبر ولايات الوطن حسب نشرية وزارة الشؤون الدينية لعام 1430هجرية الموافقة لعام 2009 ميلادي

الولايـة	زوايـا عاملـــة				زوايـا غيرعاملـــة			
	العدد	عدد أقسام	عدد التلاميذ	عدد المعلمين	العدد	عدد أقسام	عدد التلاميذ	عدد المعلمين
أدرار	20	62	3 100	62	-	-	-	-
الشلـف	59	118	900	60	1	4	-	-
الأغـواط	7	16	520	13	7	-	-	-
البواقـي أم	9	9	75	3	3	3	-	-
باتنـة	-	-	-	-	-	-	-	-
بجايـة	10	12	229	5	11	8	-	-
بسكـرة	3	10	230	5	2	4	-	-
بشـــار	3	6	454	12	4	-	-	-
البليـدة	3	4	100	3	4	5	-	-
البويـرة	3	6	213	6	4	-	-	-
تمنراسـت	18	27	2 087	9	6	-	-	-
تبســة	3	5	107	-	4	-	-	-
تلمســان	7	-	-	-	23	-	-	-
تيـــارت	7	15	134	10	21	-	-	-
وزو تيـزي	14	-	480	37	4	-	-	-
الجزائـــر	2	-	-	-	-	-	-	-
الجلفـة	7	8	649	5	6	15	-	-
جيجـــل	-	-	-	-	-	-	-	-
سطيـف	2	4	88	4	9	-	-	-
سعيـدة	1	1	12	-	3	-	-	-
سكيكدة	-	-	-	-	-	-	-	-
بلعباس سيدي	4	1	48	1	5	-	-	-
عنابـة	5	1	40	1	-	-	-	-
قالمـــة	-	-	-	-	-	-	-	-
قسنطينـة	-	-	-	-	3	3	-	-
المديـة	1	4	40	1	1	3	-	-
مستغانـــم	3	5	92	-	1	-	-	-
المسيلـــة	2	3	130	4	-	-	-	-
معسكـــر	6	3	45	1	9	-	-	-
ورقلـــة	1	-	300	-	11	-	-	-
وهـــران	11	11	600	11	-	-	-	-
البيـض	8	-	70	3	3	-	-	-

إيليــزي	-	-	-	-	-	-	-	-	-
بو عريريج برج	1	1	50	2	-	-	-	-	-
بومــرداس	1		139	3	5	-	-	-	-
الطــارف	-	-	-	-	-	-	-	-	-
تنــدوف	-	-	-	-	1	-	-	-	-
تيسمسيلــت	4	15	287	4	4	-	-	-	-
الــوادي	-	-	-	-	3	-	-	-	-
خنشلــة	-	-	-	-	-	-	-	-	-
أهــراس سوق	-	-	-	-	21	-	-	-	-
تيبــازة	-	-	-	-	-	-	-	-	-
ميلــة	2	5	180	5	1	1	-	-	-
الدفلــة عين	6	16	150	6	8	8	-	-	-
النعامــة	4	1	30	3	7	-	-	-	-
تيموشنت عين	3	-	-	-	1	-	-	-	-
غردايــة	12	20	250	8	6	-	-	-	-
غليــزان	5	5	254	5	16	-	-	-	-
المجمــوع	**257**	**347**	**10 150**	**258**	**155**	**47**	-	-	-

الفرع الأول : نتائج دراسة الإحصاء: بعد دراستنا للإحصاء الشامل لعدد الزوايا المنتشرة في مختلف ولايات الوطن، والبالغ عددها 257 زاوية عاملة بها من الأقسام التربوية مايعادل 347 تستقبل حوالي 10150 طالب من مختلف الاصناف يؤطرها مايعادل 258 معلما وأستاذا، بالإضافة إلى تلك الزوايا العطلة والغير العاملة والبالغ عددها 155 بها من الحجرات الدراسية مايتجاوز 47 بحيث يصل مجموع الزوايا حوالي 412 وعدد الأقساة بها 387 وطاقة استعابها تفوق 14480تلميذ، موزعين بين طلاب معرفة، ومريدين، ومعلمين، وعليه فإن الحقيقة التي يقر بها كل باحث منصف، ولا ينكرها إلا مكابر جحود هي: أن هذا الكم الهائل للزوايا المتواجدة عبرالوطن، يدل دلالة واضحة على أن الصوفية كان لهم دور كبير في ترسيخ دعائم اللإسلام بهذا الوطن المفدى، وقد بذلوا جهودهم من أجل إعلاء كلمة الله في هذه الربوع، وأن هذه الزوايا المترامية في النواحي المختلفة بالبلاد، إنما هي أقوى دليل على تلك التضحيات الجسام التي أسهم بها الصوفية خدمة للوطن والمواطن. والتاريخ يشهد لهم بتلك المواقف البطولية في محاربة الإستعمار، والذود عن حياض الوطن والدين، وما شموخ الأمير عبد القادر بن محي الدين، وسليله ابن باديس – وقد كان كل منهما صوفيا– إلا خير شاهد على صحة هذا الإقرار، لذلك فإنه من اليسير علينا:

أولا: أن نعود إلى هذا التراث النفيس.

ثانيا:أن نتعامل مع مخزونه العلمى، والثقافي، والتربوي. والروحي.

ثالثا:أن نعيد قراءته من جديد وفق الكتاب والسنة، كما كان عليه في عهد السلف الصالح لأن التصوف المشروع هو المحرك الأساسي لنهضة الشعوب، ويقظتها وصحوتها. وهو يمثل أعلى درجات الإيمان في السلم العقدي الذي يوجه العبد إلى ما فيه خير العباد والبلاد.

الخاتمة:

نستخلص أن التصوف الحقيقي أوالنقي، كما يسميه الغزالي أوالسني أو المشروع، كما يسميه ابن تيمية، وقع ضحية الغلو الناتج عن افراط قوم، وتفريط آخرين فمنهم من غالى وأسرف حتى قال برفع التكاليف الشرعية، ومنهم من فرّط وأهمل الباطن وقصر في التزكية، ونتيجة لهذا الطرح الخاطئ ومع مرور الزمن حصلت تراكمات في مختلف الذهنيات واستصحبتها الأجيال وتوارثتها، وشكلت صورة قاتمة، يصعب فك طلاسيمها إلا بالعودة إلى أصول التصوف، وقراءتها قراءة صحيحة على ضوء الكتاب والسنة. فالتصوف السني ومسالك الطريق هو التزام بالكتاب والسنة"علما وعملا" وهو الإقتداء الكامل بنبي هذه الأمة ورسولها محمد – صلى الله عليه وسلم – ولذا فقد حرص كثير من الصوفية على أن يكون تصوفهم مبنيا على المنهج الإسلامي، وظل يتطور حتى أدى رسالته لدى رائده الإمام الغزالي، الذي هو في الواقع الحارس والحصن لروح المنهج الإسلامي الذي يقيد الحقيقة بالشريعة، ويؤيد الشريعة بالحقيقة على استواء السر والعلن، وتوكيد الباطن في الظاهر. وقد بين "أبوالطالب المكي" أن أرباب علم التصوف السني: هم الذين ورثوا علوم الأنبياء والمرسلين، واقتفوا آثارهم وسلكوا طريقهم واجتهدوا في جهاد أنفسهم، وصبروا على مرارات الطريق حتى ظفروا بالقرب من معبودهم، وهؤلاء هم عباد الصحابة مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبى ذر، وزيد ابن حارثة، وحذيفة، وسلمان، وصهيب، ومن أتى من بعدهم من التابعين وتابعيهم. ويمكن استخلاص النتائج الآتية:

1 – إن من زهد أبي بكريتمثل في تطويعه للدنيا التي ملكها، حيث كان ينفق أمواله في كل ما يرضي الله ولا يبالي.

2 – بلغ زهد عمر بن الخطاب في تطبيق شرع الله إلى درجة استحضارمراقبة الله له على الدوام.

3 – زهد عثمان بن عفان تمثل في كثرة العبادة والإستشعار بالخوف من المآل.

4 – زهد علي بن أبي طالب كان تقشا في العيش،وإيثارا للغير.

5 – تميز زهد أبي الدرداء وسلمان وأبي ذر بكثرة التسبيح لله والتفكر و التأمل في آياته.

6 – تميز الزهد عند التابعين بالتبعية والإقتداء بالصحابة مثل: الحسن البصري الذي كان زهده الحزن والخوف، وكذا كان زهد زين العابدين وجعفر ومن تبعهم.

7 – ظهور مصطلح التصوف منذ نهاية عصر التابعين؛ وشموله مفهوم التصوف الشرعي (الزهد) وغيره من مفاهيم التصوف البدعي.

8 – أصبح التصوف مدرسة تربوية لها منهجها وضوابطها في رعاية السالكين في مدارج الكمال الإنساني. هذا ما يجعلها قابلة للتعدد والتنوع بحسب تنوع الوسائل الشرعية المستخدمة لتحقيق المقاصد التربوية.

9 – يمكننا التمييز بين التصوف الشرعي والبدعي بالإلزامات والتعاليم الأدبية و المعرفية: مثل تصوف المحاسبي والجنيد,هدا التصوف الذي كان تعمقا في تحصيل المعارف المختلفة, والإنضباط الأدبي والأخلاقي بخصال الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم.

10 – تميز التصوف البدعي بالإضافات الزائدة عن نصوص الوحي ومفهومها. والتي لم يستسيغها ويستحسنها الصحابة وتابعوهم، كما ذكرذلك الغزالي في وصف المبتدعة "وبعضهم يزعمون أنهم قد ترفعوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لتفوقهم فيها، ويرفعون أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم السلام ".

11 – يتبين من خلال أثار المؤسس الأول للطريقة القادرية (عبد القادر الجيلاني) أن تصوفه كان شرعيا، لكن بعض المنتسبين للطريقته لاحقا احدثوا فيها بدعا تخرجها من التصوف الشرعي إلى البدعي.

12 – الطريقة القادرية في الجزائر لها وجهان:

أ – وجه شرعي يظهر قي تمسك بعض مريديها بتعاليم الشيخ عبد القادر الشرعية والتي لها دور في حفظ بناء النظام الإجتماعي الجزائري.

ب – وجه بدعي يظهر في انحراف بعض مريدها عن تعاليم الشيخ عبد القادر .

13 – لقد ساهمت الطريقة القادرية في الجزائر في التكافل الإجتماعي، وحفظ الهوية الإسلامية العربية للمواطن الجزائري، كما جندته لمقاومة الإستعاري "سياسيا وثقافيا".

توصيات :

من خلال النتائج المتوصل إليها يمكننا التوصية بما يلي:

1 – اجراء ملتقيات دورية حول الطرق الصوفية في الجزائر.

2 – تشجيع الباحثين في مرحلة الماجستير والدكتوراه على تناول مواضيع التصوف في الجزائر.

3 – انشاء مراكز دراسات متخصصة في مجال وظائف الطرق الصوفية في المجتمع الجزائر.

4 – فتح فرع متخصص في الدراسات الصوفية في الجامعات الجزائرية.

5 – فتح تخصص في دراسة التصوف أنثروبولوجيا.

الملخص: التربية الصوفية وأثرها في السلوك

لقد تطور التصوف أثناء مراحله التاريخية، وتعددت آراء العلماء فيه، وعليه فإنه يمكن القول: بأن التصوف الإسلامي قد ظُلم في كثير من قراءات الناس له، ربما بسبب المصطلح – كما يذكر البعض – أو ربّما بسبب صراع بعض الإتجاهات الفكرية له وهو ما أشيع عنه أنه وافد ليست الحياة الإسلامية بحاجة إليه فضلا عن أنه مُبتدع. تسبب ذلك في عزل أهله عن الإسهام الحضاري وعن الإرتباط بالأصول. وقد عرف تاريخ الفكر الإسلامي إتجاهات في نقد التصوف، بعضها من داخله لتصحيح المسار وبعضها من خارجه وذهب أهل المسار الأخير مذاهب: منهم من مدح حتى الأخطاء وسوّغها بالتأويل، ومنهم من غض طرفه عن كل حسن في هذا التراث، فلم ير فيه إلا الخلل والفساد، وانطلق من حالات فردية إلى حكم عام وشامل، وثالثهما توسّط، لكنه لم يكن على شهرة السابقين. وقد عانى الفكر الصوفي من المذهبين الأوليين إلى حد حجب كثير من الحقائق عن الناس الأمر الذي جعل كثيرا من العلماء والباحثين قديما وحديثا ينادون بضرورة الإلتزام بمنهج وسط بين الرفض المطلق، والقبول المطلق. فهذا سراج الدين الطوسي: قامت محاولاته على أساس توحيد الفقه والتصوف، واعتبارهما علما واحدا، ويرى هذا المؤرخ الصوفي، أن الفقه قائم على الرواية، أما التصوف فهو قائم على الدراية. ولا يجوز – في رأيه – أن يجرّد القول في العلم: على أنه ظاهر أو باطن لأن العلم متمركز في القلب فهو باطن فيه إلى أن يجري ويظهر. ويستمر الطوسي في تأكيد قيام العلمين جنبا إلى جنب مستمدا ذلك من قول الله: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) سورة لقمان/ الآية 20.

والنعمة الظاهرة هي فعل الطاعات، والنعمة الباطنة هي ما أنعم الله بها على القلب من الأحوال والمقامات. ولكن لا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر. فالفرق إذن بين الفقه والتصوف هو في الوسيلة فقط. وما أثر عن الإمام مالك من أن من تفقه في الدين ولم يتصوف فقد تفسق, ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق, ومن جمع بينهما فقد تحقق. ولاشك في أن الإهتمام بالشريعة وأحكامها والعمل بها، هو فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة – في الطريق إلى الله – عند الصوفية. فالشريعة عندهم هي الباب الموصلة إلى الحقيقة تأكيدا لقوله تعالى:(وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) البقرة / الآية 189.

لا باطن بدون ظاهر، ولا حقيقة بدون شريعة. ولا يخرج مؤرخو الطبقات الصوفية الذين جاؤوا في الفترة الواقعة بين وفاة الطوسي والشعراني على الإهتمام بهذا الإتجاه الديني السليم منهم: الكلاباذي، والقشيري، وابن خلدون وغيرهم.

يشير الكلاباذي إلى أنواع مختلفة من العلوم الإسلامية، ويجعل للصوفية علما خاصا انفردوا به دون سواهم، هو علم المكاشفات والمشاهدات وعلم الخواطر، مع اهتمامهم بعلم الأحكام الشرعية من أصول الفقه وعلم المعاملات، مبينا أن علوم الصوفية: علوم أحوال، والأحوال هي مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا من صحح الأعمال وأول تصحيح الأعمال معرفة علومها، وهي علم الأحكام الشرعية. وعليه فإنه يضع القواعد والأسس التي يجب على العبد أن يلتزم بها حتى يصل إلى علم الخواطر والمشاهدات والمكاشفات الخاصة بالصوفية والتي انفردوا بها دون غيرهم من فرق المسلمين. وتقسيم الطريق الصوفي عنده إلى أقسام ثلاثة: علم الحكمة، وعلم المعرفة وعلم الإشارة. أما أبو نعيم الأصبهاني، فقد تابع ما ذكره الكلاباذي، حين يؤكد أن المتصوفة المتحققة في حقائقهم، قد بنوا علمهم على أركان أربعة:

أ- معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

ب - معرفة النفوس وشرورها ومختلف أمراضها.

ج- معرفة وساوس العدو ومكائده.

د - معرفة الدنيا وغرورها وتفتينها وتلوينها، وكيفية الإحتراز منها، والتجافي عنها.

أما أبو القاسم القشيري: وهو من أهم مؤرخي الصوفية، فقد دافع عن منزلة التصوف ومكانته في الفكر الإسلامي، ولم تكن رسالته في علم التصوف إلا للرد على أعداء الصوفية، وبيان قواعد التصوف وأركانه، وارجاعه إلى أصوله الأولى التي كانت سمة الصوفية الأوائل، مبينا أن الآفة تكمن في اعراض القلوب عن حرمة الشريعة واستخفاف بعض من ادعى التصوف بأداء العبادات، بل ركنوا إلى الإقبال عن المحقرات من مختلف الشهوات، وعدم المبالاة بتعاطي المحظورات. أما ابن خلدون: فقد عقد لنا فصلا ممتازا في"المقدمة" سماه: " علم التصوف" تحدث فيه عن أهمية التصوف ونشأته وكذا منهجه وقواعده، واعتبر علم التصوف علما من علوم الشريعة الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية. بل

وأصل هذه الطريقة يعود إلى العكوف على العبادة، والإنقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها وهذه المواجد التي تحدث عنها ابن خلدون، هي الأحوال والمقامات, والحال عنده نتيجة مجاهدة المريد وعبادته. كما نجد فخر الدين الرازي: وهو المؤرخ الوحيد الذي اعتبر الصوفية فرقة خاصة، كما قال هو عن نفسه، وحجته في ذلك أن الصوفية تمتاز بشيء في الأصول تختلف عن بقية الفرق الإسلامية. فأهل السنة والجماعة يرون أن الطريق لمعرفة الله هو السمع، وترى فرق المعتزلة وبعض الفرق الأخرى أن ذلك الطريق هو العقل، أما الصوفية فترى أن الطريق لمعرفة الله هو التصفية، والتجرد من العلائق البدنية للوصول إلى مرتبة الكشف، وقد أفرد الرازي في كتابه "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" بابا خاصا للصوفية هو "الباب الثامن في أحوال الصوفية" وهذه الفرق عنده هي:

- أصحاب العادات : وهم قوم يهتمون بالظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة.
- أصحاب العبادات: وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة، مع ترك سائر الأشغال.
- أصحاب الحقيقة: وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض، لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل بالفكر، وتجريد النفس عن العلائق البدنية. أما ابن سينا: لم يفته أن يشير إلى مقامات العارفين فقد أفرد في كتابه "الإشارات والتنبيهات"النمط التاسع بابا خاصا بهذه الناحية فجعل للعارفين مقامات ودرجات يخصون بها وهم في حياتهم الدنيا دون غيرهم ويصف هم وهم على تلك الحالة فكأنهم في جلابيب من أبدانهم قد تجردوا منها إلى عالم القدس ولهم أمور ظاهرة يستنكرها من ينكرها، ويعظمها من يعرفها ويدركها. ويقسم ابن سينا الطريق الصوفي إلى أقسام ثلاث:
- المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم " الزاهد".
- والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما، ويخص باسم "العابد"
- والمنصرف بفكره إلى الله مستحضرا شروق نور الحق في سره، يختص باسم"العارف".

وهكذ تختلف في أمر الصوفية أنظار العلماء الإسلاميين الباحثين في الفرق، وقد نجد أن الصوفية فرق من الفرق الإسلامية، وقد ورد ذلك في كتاب الفهرست لابن النديم وفي كلام الغزالي. فقد جعل ابن النديم، المقالة الخامسة من كتابه، خاصة بالحياة الروحية وسماهم: "السياح، والزهاد، والعباد، والمتصوفة المتكلمين على الخطرات والوساوس".

وجُملة القول أن المصنفين الذين عرضوا لحصر الفرق قد اهتموا غالبا بالنظر إليهم من ناحية نجاتهم أو هلاكهم، متأثرين بالحديث المشهور الذي ينبئ أن الأمة الإسلامية ستفترق إلى اثنين وسبعين فرقة أو ثلاثة وسبعين كلها في النار إلا واحدة.

ومن ذلك يمكن القول أن التصوف هو عبادة، وسلوك، وهجرة، وهوتمسك بالكتاب والسنة "منهجا، وسلوكا، فقها، وعملا , أي: عقيدة، وشريعة، وأخلاقا"، عند ذلك تظهر الثمرة ألا وهي نور في القلب، يهدي أعماله ويحكم تصرفاته، هذا النور يأتي نتيجة الإقتداء بالكتاب والسنة، ومجاهدة النفس والأخذ بزمامها، هذا النور هو الإيمان والتقوى. وأن العبد السالك مادام ملتزما بأوامر الكتاب والسنة، "إتيانا وتركا"، امتلأ قلبه بالنور، فهذا النور هو مفتاح أكثر المعارف. وهكذا التصوف يهدف إلى إيجاد مجتمع نقي سليم قوامه الفضيلة والأخلاق بين أفراده برقابة ذاتية يكون لكل فرد منهم وازع نفسي تلقائي يدفعه إلى الحرص على الكمال وطلبه، والرغبة في النفع والخير المطلق لصالح المجتمع كله, وأن يكون رائد هؤلاء أولا وأخيرا معرفة ربهم، وتوثيق الصلة به عن طريق التقرب إليه بأداء الفرائض التي افترضها والنوافل التي استنها رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ذلك هو أساس في التصوف الإسلامي الصحيح الذي نسعى إليه ويريده كل مسلم يحب دينه.

L 'impact de l’éducation du soufisme sur le comportement

La soufisme à évolué au cours de l'histoire; ainsi qu'il y avait plusieurs vues des savants, par conséquent on peut dire que la mystique islamique à été injuste dans un grand nombre d'écritures, et ça peut être à cause de terminologie, ou peut être en raison des conflits entre certain tendances intellectuelles, donc ils sont la considéré (soufisme) comme un étranger, et ça provoqué l'isolation de son peuple à la développement civilisationelle et de l'association les racines.

L'histoire de la pensée islamique connaît plusieurs voies dans la critique du soufisme certain entre eux pour rectifier la chemin du soufisme, et d'autre dans plusieurs tendances, quelque une ont loué même des fautes (du soufisme),et d'autre ils ont fermé ces yeux pour chaque bien dans ce patrimoine mais il voyaient seulement la corruption et la défectuosité du soufisme. Ils avaient démarré par des cas individuels à un verdict général, et la troisième voie (du soufisme) c'est comme un médiataire, mais il n'était pas célèbre; ainsi que le pensée soufis a souffert par le deux premiers voies; dans une certain mesure qu'il a caché la réalité à sa peuple, et ça donner naissance de plusieurs savants qu'ils ont proposé une méthode médiataire entre le rejet absolu et l'acceptation de l'absolu. ces savants sont:

-Serage Edine Etouci : il a fait sa tentative pour unifier la jurisprudence et la mystique, cet historien a considéré que la jurisprudence basé sur la roman, alors que la soufisme basé sur le savoir , dans son point de vue on ne peut pas dire que la soufisme et apparent au caché comme le dieu dit : " Et Il vous a comblés de Ses bienfaits apparent et cachés" , par ce que le science centralise dans la Coeur , il a continue d' affirmer que les deux sciences marchent ensemble , et que la benediction visible c'est de faire les actes des cultes

Alors que la bénédiction invisible c'est le dieu qu'il a les fait, mais l'invisible est indispensable pour le visible et le verse versa, donc la différence entre la jurisprudence et la mystique c'est uniquement dans la moyen.

D'autre part Imam Malek a dit :que celui qui s'adonne au soufisme sans connaître le droit musulmane tombe dans l'hérésie, celui qui étudié le droit sans en négligeant le

soufisme finit par rompre son âme , seul celui qui pratique les deux science parvient à la réalisation spirituelle .
Nul doute que l'intérêt du jugement te le travaille de charia (loi) c'est la meilleure distinction entre la foie et l'hérisé, la voie à allah chez les soufis c'est une Access à la vérité.
Les historiens qui sont venu dans la période entre le décès de Etouci et Chaarani sont très intéressé par cette tendance religieuse, comme:
Elkalabadi qui a cité plusieurs sortes de science islamique, mais la soufie dans son point de vue est une propre science, ainsi qu'il a devisé la voie du soufisme dans trois sanction: sagesse, connaissance,
Cependant Abou Naine El Soufi a affirmer que les soufis sont construis leur connaissance par quatre fondation:

a- connaître le dieu et son propre noms, et attributs
b- savoir l'âme, et sa déverse maladies
c- connaître les scrupules de l'ennemi
d- connaître l'égotisme et l'attirance de la vie

D'autre coté , Abou El-kasem Kachri qui est un grand historien dans la soufisme , il a défendu sur le statut du soufisme et sa place la pensé islamique , son Risalla (titre) dans la science du soufi était contre les anti-soufisme ,et aussi une réponse pour eux ainsi de montrer les règlement et les fondations du soufisme ,et la renvoyé à son origine , qu'il était la première caractéristique du soufisme , en indiquant que le problème se trouve dans la refus du cœur de la loi (achriaa), et de prendre en dédain l'adoration d'allah par certain personnes, mais ils ont fait les prohibitifs de toutes les désirs .
Mais Ibnkhaldoun a fait un excellent chapitre nommé"Almoukadima" dans la quelle il a parlé de l'importance du soufisme , et aussi sur la création , les méthode et le règles de la mystique , il a considéré "tassawwouf" et l'un des derniers science de loi dans la communauté islamique , la fondation du 'tassawwouf cependant et plus ancienne, que ces gents et leurs voie a été présenté parmi les Self et parmi les compagnons les plus avancé et parmi leur successeur, leur voie et la voie de la vérité et de la guidance , la fondation de la voie

soufis est l'autocontrainte dans le monde et une total dépendance d'allah ,et l'auto privation des désirs .
Imam Fakhr El-dine Errazi : il était le seul historien qui a dit que la soufisme est une vie spéciale différente d'autre tendances islamique, car chez Senna et les compagnons la voie pour connaître allah c'est l'audition tandis que chez d'autres tendances c'est l'esprit, mais la voie pour connaître allah chez les soufis c'est l'auto- purification et la renciation à l'attachement matériel, ils luttent afin que leur coeur soient uniquement occupé avec le souvenir d'allah
Imam Fakhr El-dine Errazi a cité dans son livre sur les fondements de la séparation entre les musulmans et les associateurs au chapitre concernant l'état spirituel de soufis, trois genres :
1-les gens de l'adoration
2-les gens de la vérité
3-les gens de la coutume
Tandis que Ibn Sina a devisé la voie soufi en trois sanctions :
-Les gens qui refusent toutes les désirs de la vie nommé « ascètes »
-ce qu'est préservant de faire les actes du cultes nommé « adorateur »
-ce qui 'est consacré sa pensé pour le seigneur nommé « connaisseur »

En fin on peut dire que la « soufisme » c'est une adoration, comportement, lâchage et de saisir le coran et Senna méthodologiquement et dans la comportement, la on peut cueillir les fruits, celle c'est la lumière de la cœur, donc le but de la soufisme c'est de crier un société caractérisé par les vertus et les éthiques entre ces gens.

Education Sufism and its impact on behavior

Sufism has evolved during its history, and the views of many scholars, and therefore can be said: that the injustice of Islamic mysticism in many of the people reading it, perhaps because of the term - as the other - or because of some intellectual trends conflict against him, and the rumors was that he was foreigner, Islamic life is not in need to him as the need to his creativity, he was the cause of isolate his family from contribution to the cultural assets of the association. And knew the history of Islamic thought, Sufism trends in cash, some of them inside for a course correction, and some of them from outside, and the people of the last track went - doctrines - some of them praised even the mistakes, and rewritten Baltooil and the others were turned a blind eye to all the good in this heritage, not only see the imbalance and corruption, and launched from individual cases to a general and comprehensive, and the third ones were Neutral , but it was not known to the former. And Sufi thought has suffered from the first two propositions, to block many of the facts from the people, which made many of the scientists and researchers, advocates of old and new approach to the necessity of adhering to a compromise between the absolute rejection and acceptance. This Serageddin Tusi: The reason for the basis of the consolidation of his doctrine and mysticism, and regarded as one note, and the view of the mystic, that the doctrine is based on know-how. And may not be - in his view - that Strips saying in science: that the apparent or the subsoil, because the science based in the heart, it is underground and is being shown. Tusi and continue to assert that the flags side by side, derived from God saying: (And the phenomenon of gift bestowed upon you and abdominal) Surat Luqman / verse 20. And the phenomenon is a blessing to do acts of worship, and grace, the inner are blessed by God to the heart of the case and shrines. But do not overlook the apparent from the subcontractors, and subcontractors are not on the canal. Therefore, the difference between the doctrine and mysticism is in the way only. And what the impact of the Imam Malik,
. And there is no doubt that interest in Sharia and its provisions and work, Faisal is a distinction between faith and heresy - on

the way to God - when Sufism. Sharia is the door leading to confirmation of the truth says (The houses came down)cow / verse 198. No underground without apparent, and not a reality without the law. Historians do not come out and Sufi classes who came in the period between the death and Tusi Alharani attention to this trend, including the right of religious: Alkbave, and Ibn Khaldun, and others. Alkbave refers to different types of Islamic Sciences, and makes special note of mysticism without solely by the others,
is aware of " The watching and flag of the ideas and observations", with the knowledge of their interest in the assets of the provisions of the law and jurisprudence informed transactions, indicating that the Sufi science, science and the conditions of the conditions Legacies of the business, and not only inherits the true conditions of work and work to correct the first to know science, and is the science of 'the provisions of Shariah' and therefore sets the rules and foundations that must be adhered to by Al-up to the knowledge of thoughts and observations, and special Almkashifat Balsofip which solely without other Muslim groups. Sufi and the division of the road where three: science of wisdom, knowledge and science, and science reference * The "Abu Naeetm Esfahani," he has said that the Messenger of Allah dogs harmed, when it realized that the Sufis in Hakaigahm, have built their knowledge on the four pillars of:

A - to know God and know his names and qualities and actions.

B - To know the hearts and tentacles and the various diseases.

C - To know the scruples and the intrigues of the enemy.

D - And know the life and her arrogance and all kinds of temptations and colors of life, and how to guard against them, and avoid them.

* The "Abu Qasim Alqhiri:" He is one of the most important historian of Sufism, has defended the status of Sufism and its place in Islamic thought, and were not informed of his message in Sufism, only to respond to the enemies of Sufism, Sufism and the rules and staff, and assets attributable to the

first, Sufism, which was a top bunk that evil lies in the reluctance of the hearts of the sanctity of the Shariah, And some of the alleged entitlement to the performance of the Sufi worship, but they chose to Drowning in desires, and indifference to the abuse of the prohibitions.

* but "Ibn Khaldun:" We were held in an excellent chapter * * provided he called, "The Psychology of Sufism," in which he talked about the importance of Sufism and its inception and as well as the method and rules, and was aware of the mysticism of the science of Sharia incident denominations, and that the origin the way these people, still at the predecessor of the nation and the Aldermen And their companions, and after them, the way and the right guidance. And even bringing this method, due to be given to worship, and the interruption to Allah, and reluctance on the floor, and decorated her finery, and this things that talked about "Ibn Khaldun," are the conditions and shrines, and as a result of the striving of his disciple, and worship. We also find "Fakhruddin Razi:" This is the only of the Sufis, who believed a special team, as he said himself, and argued that the advantage of some of the mysticism of assets, the difference is different from the rest of the Islamic people of the year and the group felt that the road to knowledge of God is hearing, and the view of the Task Isolationists and some other teams that this is the way of reason, The Sufi, she believes that the road to the knowledge of God is the liquidation , and impartiality of the threads of the physical access to the level of disclosure, and was singled out, "Razi" in his book the Muslim and the polytheist Beliefs 'a special section of mysticism is "in the conditions of the eighth section Sufi" and this is where the difference:

• groups of the Habits: They straightened be interested in apparent as clothing the rag and settlement settlement of the carpet

• Groups of Worship: They straightened the asceticism and the worship works in the worship, with Turks walking of the works.

• Groups of the truth: They straightened if performance of the bodies emptied from, do not work [bnwaafl] the worships, yet

in the bodily thought and divestment of the breath about the physical relationships. The "Ibn Sina" didn't missed to indicates the knowing and the experts in his book “the signs and the warnings the warnings the manner ninth, relative to doors this aspect "Al-references and pattern alerts IX, Relative to doors this aspect, so established making pertains degrees to the experts in their life and others, and describes them on that case, their disassemblies in gowns from bodies stripped from her to scientist of Jerusalem, and for they apparent matters denounces her from denies and glorifies her from introduces her and knows.

And divided, "the son of Sina," The road to the Sufi three sections:

1- The exhibit about belonging the life and good things named "the indifferent ""or "" Bought".

2-Persistent on verb the worships from the rising and the fasting and towards them, named"" Abid """" the worshiper "".

3- Departing in thought his to Allah, preparation sunrise of light of the truth in walks him, named" knowing "". "" knows "."

And so is different in the eyes of the Sufi Islamic scholars in the research teams, and we may find that the mysticism of the Islamic groups, and was contained in a book "Fihrst "Ibn Nadim," and in the words of Al-Ghazali. Has made the son Nadeem, the fifth article of the book, especially the spiritual life and called it: "tourists, and Zhad, and the subjects, and Sufis Ktarat speakers and obsessive." And say that the inter classified, who offered to account for the difference, have often watched them from the view of the survivors or have perished. Influenced in the interview famous, who informs that the Islamic nation, will separate to seventy-two Task Force or seventy-three, all in the fire only once. And it can be said that Sufism is a cult, and the behavior and migration, and adherence to the book and the year "approach, attitude and, accordingly, and work," when that show the fruit that is light in the heart, guide and govern the behavior of its present light is: faith and piety. That the passable slave as long as

committed to matters the book and Sunnis, and full his heart with light, so this light he is the key of the most knowledge's.

This way this way the Sufism aims to creating society of clean sound, his support the virtuous person and the characters between individuals, in self supervision is for each so their reply of blessing mental self-control meetings to adherence to [aalkmaal] (perfection)and his request requested him and desire of the benefiting and the benevolent absolute welfare, In favor of gathered all him, and that pioneer is these first and finally, their knowledge of god, and consolidation of the tie in him about road of the approach to him in performance of the duties which assumes her , and [aalnwaafl] which old her) messenger of Allah - that he basis in the Sufism Islamic correct, who seeks to him and wants him all Muslim likes his debt.

فهرس الآيات القرآنية:

الآيـة	السورة	رقم الآية	الصفحة
– إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	الفاتحة	05	83
– اهدنا الصراط المستقيم.	الفاتحة	06	157
– فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا .	البقرة	10	1
– فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .	البقرة	137	71
– وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدً	البقرة	143	05
– فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.	البقرة	152	66
– فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ	البقرة	152	81
– يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا .	البقرة	168	111
– يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ .	البقرة	172	112
– وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا.	البقرة	189	205
– إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ .	البقرة	222	154
– آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.	البقرة	,275 276	182
– لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .	البقرة	284	114
– كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.	آل عمران	110	05
– وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.	آل عمران	122	118
– فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ.	آل عمران	159	120
– إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ .	آل عمران	159	123
– الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ .	آل عمران	172	119
– الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ	آل عمران	173 174 175	119 ,118

الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.			
– رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا.	190	آل عمران	67
– الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.	191	آل عمران	54
– إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ	190 191 192 193 194	آل عمران	104
– فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ .	195	آل عمران	104
– وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ..	05	النساء	26
– كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ .	07	المائدة	84
– وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .	23	المائدة	118
– إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.	33	المائدة	125
– وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا.	80	الأنعام	181
– الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ .	82	الأنعام	67
– أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ.	90	الأنعام	115
– وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ .	141	الأنعام	94
– قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.	162	الأنعام	05.45.73 84.105
- قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ.	65	الأعراف	44
– وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ..	172	الأعراف	44
– يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا.	29	الأنفال	08
– وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ويذهب غيظ قلوبهم.	14 15	التوبة	156

– قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ .	التوبة	24	101
– وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً .	التوبة	09	125
– إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.	التوبة	111	102
فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.	التوبة	129	183
– ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ	يونس	14	114
– إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.	يونس	08.07	103
– أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ.	يونس	63,62	152
– وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ.	يونس	107	66
– وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ..	هود	06	66
– وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ.	هود	118 119	45
– وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ.	هود	123	121
– فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ .	هود	123	157
– أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ .	الرعد	28	66
– قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ.	الرعد	30	157
– وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ.	الحجر	99	134
– وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ.	النحل	44	56
– رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا.	الإسراء	24	03
– إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.	الإسراء	65	83
– وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا .	الإسراء	79	134
– وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ	الكهف	27 28،	62

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وكان أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْشَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا .		29	
– وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ.	الكهف	28	38
– فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا .	الكهف	65	93 ,83
– وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا	الكهف	65	72 ,58
– إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا.	الكهف	107	129
– فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا .	الكهف	110	103
– فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى.	طه	130	54
– وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ.	طه	131	116
– وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ .	الأنبياء	92	87
– لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ.	الحج	53	156
–وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ.	المؤمنون	52	87
– وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .	النور	31	155
– إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.	الفرقان	70	154
– يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ.	الشعراء	88	103
– وَأَلْقِ عَصَاكَ.	النمل	10	149
– وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.	العنكبوت	64	54
– وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ.	الروم	18 19	183
– إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.	لقمان	13	68
– وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً.	لقمان	20	205

– وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا.	الأحزاب	22	121
– لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.	الأحزاب	33	91 ,56 121, 103
– وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًاوالذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً.	الأحزاب	35	81
– يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.	الأحزاب	41 42	104
– إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي..	الصافات	99	51
– يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى .	ص	27	07
– هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ .	ص	39	115
– وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ .	ص	41 42 43	83
– قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.	الزمر	53	106
– وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ.	الزمر	54	106
– وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ .	الزمر	55	106
– أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ وْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ .	الزمر	56 57 58 59	106
– وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.	الزمر	,60 61	106
– وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ	غافر	38 39 40 41 42	122

بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ , لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ.		43 44 45	
– إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا .	فصلت	30	67
– عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.	الشورى	10	157
– وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا .	الأحقاف	15	72
– وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ.	محمد	31	114
– لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا .	الفتح	18	124
– إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .	الحجرات	10	87
– إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .	الحجرات	13	55
– فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ.	ق	45	81
– وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ .	الذاريات	56	83
– آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ.	الحديد	07	114
– اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.	الحديد	20 21	54
– لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ.	الحديد	23	95
– وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ.	الحديد	28	32
– لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.	المجادلة	22	125
– لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا	الحشر	,21 22 23	183

إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.		24	
– وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .	الطلاق	03	118
– خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ .	الملك	02	114
– وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ..	القلم	04	27
– وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ.	المعارج	24 25	94
– هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا .	الإنسان	01	114
– إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ.	الإنسان	02	114
– وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى .	الأعلى	17	25
– اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ .	العلق	01 02 03 04 05	57
– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ.	البينة	08	123
– فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ , وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.	الزلزلة	07 08	129
– إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.	النصر	01 02 03	154

فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	الصفحة
– ادبني ربي فاحسن تأديبي	الإمام الشوكاني	57
– أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم فقد اهتديتم	الدارقطني وابن عبد البر	74-117
– اعملي يا فاطمة فاني لا اغني عنك من الله شيئ	الامام مسلم	130
– الاثم ما حاك في صدرك والبر ما اطمان اليه نفسك	الامام مسلم	59
– الاسلام يجب ما قبله	الامام مسلم	157

– الحلال بين والحرام بين	الامام مسلم	59
– العهد الذي بيني وبينهم الصلاة	الامام مسلم	130
– الله افرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل منزلا وبه مهلكه و معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال:ارجع الى مكانى الذى كنت فيه نائما حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله تعالى اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته	الامام مسلم	154
– اللهم بك نصبح ، وبك نمسي ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور	الترميذي	182
– اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر	ابن ماجه	182
– المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعض	الامام مسلم	87
– المسلم اخو المسلم, لا يظلمه و لا يسلمه ولا يخذله	الامام مسلم	87
– ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك	البخاري	91-34
– انا دار الحكمة وعلي بابها	الترميذي	72
– أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أتوب إليه	الامام مسلم	183
– ألا هل بلغت قالوا نعم قال: اللهم فاشهد		199
– إنا معشر الأنبياء لا نورث وما خلفناه صدقة	الامام أحمد	116
– إنما أنا لكم مثل الوالد لولده	ابو داوود	25
– بايعني على ألا تشركن بالله شيئا و لا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تاتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف"ثم قال صلى الله عليه و سلم "لعمر" : بايعهن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحيم	الطبري	109
– بايعوني على الا تشركوا بالله شيئا و لا تسرقوا و لا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم و لا تعصوا في معروف فمن وفي منكم فأجره على الله و من أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له و من أصاب من ذلك شيئا تم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه و إن شاء عاقبه	البخاري	109
– بايعوني على السمع و الطاعة في المنشط والمكره و النفقة في العسر و اليسر و على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافوا لوم لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم و أزواجكم و أبنائكم و لكم الجنة	ابن هشام	108
– بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو	ابو داوود	183

السميع العليم		
– دب اليكم داء الامم قبلكم: الحسد والبغضاء	الامام البيهقي	156
– دع ما يريبك إلى ما لا يريبك	الترميذي	110
– رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبسيدنا محمد نبياً ورسولا	رواه الشيخان	182
– سبحان الله ،و الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر	رواه الشيخان	182
– سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته	رواه الشيخان	182
– عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، الهادين المهدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجد	الامام أحمد	74
– كل ابن ادم خطاء و خير الخطائين التوابون	الترميذي	105
– كم ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك	الترميذي	64
– لا إن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسدكله	ابو بكربن ابي الدنيا	95
– لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين	البخاري	101
– لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه" فقال عمر : فأنت الآن أحب إلي من نفسي !فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "الآن يا عمر	ابن هشام	102
– لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا باس له به حذرا مما به باس	الترميذي	110
– لا يحل لامرئ مسلم ان يقدم على امر حتى يعلم ما حكم الله فيه	ابو داوود	94
– لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش به	البخاري	71-55
– لا رهبانية في الاسلام ورهبانية امتي الجهاد	عثمان بن مظعون	60
– لا ضرر ولا ضرار في الاسلام	ذكره الطوسي	59
– ما تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة	الامام مسلم	126
– ماذا خلفت لعيالك ؟ قال ابو بكر:" الله ورسوله	ذكره الطوسي	65
– مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى	البخاري	87
– نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ...	أبو هريرة	25
– يا اصحاب القران زينوا القران بالفعال		61
– يا سعد أطب مطمعك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده أن الرجل ليقذف اللقمةالحرام في جوفه مايتقبل منه أربعين يوماوأيماعبد نبت لحمه من السحت و الربا فالنار أولى به	رواه الشيخان	111

– يا غلام احفظ الله يحفظك	الترميذي	59
– ياعبدي تريد وأريد إذا سلمت لي فيما أريد أعطيتك ما تريد وإذا خالفتني فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولايكون إلا ما أريد	حديث قدسي	122

فهرس الأعلام

الأعلام	رقم الصفحة
– ابن تيمية	-155-154-153-152-151-146-142-13-12 - -198- 163-162-161-160-159-158-157-156 217
– ابن حنبل	180-179-178-159
– ابن خلدون	207-206-198-143-90-30-24-5
– ابن سينا	207-45-37
– ابن طفيل	23

- ابن عساكر	179
- أبو الحسن النوري	39
- ابو الريحان البيروني	31-30-29
- ابو بكر الصديق	67-66-65
- ابو حنيفة	159
- ابو زكريا	167
- أبو محمد الجريري	35
- ابو يزيد البسطامي	131-90-51
- ابوالحسن الشاذلي	166-132-94-90-86-86
- أبوبكر الكتاني	63-41-39-38-35-11
- ابوسعيد الخراز	113-94-47-38-11
- ابوسعيد المخرمي	179-174-173
- ابومدين	169-167-166
- الألوسي	124-6
- الامام مالك	205
- الثعالبي	169-167
- الثوري	144-64
- الجنيد	-131-99-93-92-90-72-66-51-38-34-11 218-161-159-158-143
- الحسن البصري	-143-113-80-79-78-77-76-75-36-12-6 218-158
- الرازي	207-102
- الزواوي	167
- السنوسي	167
- السهروردي	217-85-6
- الشافعي	175-159
- الشعراني	206-96-8-6
- الشيرازي	143
- الغزالي	-89-52-51-40-39-38-27-25-13-12-11-6 -146-139-138-136-132-129-120-92-91 -217-207-195-187-169-161-150-149-147 218
- القشيري	206-120-112-111-100-93-92-66-35-32

– المحاسبي	218-161-158-112-93-63-51-47
– المليباني	169
– بشر ابن الحارث	71-39
– ثولك	49-11
– جونس	49-11
– حي بن يقظان	23
– ذوالنون	161-105-49-40-34
– رابعة العدوية	37
– زكي مبارك	33-32
– سقراط	46-36
– عبد الرحمن الازهري	169
– عبد القادر الجيلاني	-187-185-184-177-176-174-173-172-171 218
– عبد القادر بن محي الدين	204-170-169
– عبد الواحد يحي	132-31
– عثمان بن عفان	217-124-79-74-71-70
– علي بن ابي طالب	217-173-117-113-76-74-73-72-47
– عمر بن الخطاب	217-117-114-109-101-74-69-68
– عياض	159
– فون هامر	31
– لطفي جمعة	32-31
– مالك بن دينار	80-12
– محي الدين بن مصطفى الحسني	169
– معروف الكرخي	53
– ميركس	49-11
– نيكلسون	50-49-11
– يحي العيدلي	167
– يوسف بن ابي الفرج الجوزي	175-123-79-64

فهرس المصطلحات

المصطلاحات	الصفحة
- التحلل	12-128-129-130
- أحوال شيطانية	10
- احوال القلوب	10
- الاتحاد	142
- الاحسان	34-46-88-91-101-197-200
- الادب	174
- الاشارات	6-9-45-72-89-207
- الالهام	132

- الانثيربولوجيا	20-19-17-16-10-1
- التصوف	-32-30-29-28-27-14-13-12-11-10-8-6 -46-44-43-42-41-39-38-36-35-34-33 -61-57-56-55-53-52-51-50-49-48-47 -78-77-76-75-74-71-68-66-65-64-63 -130-127-111-92-90-89-88-87-84-79 -139-138-137-136-134-133-132-131 -149-146-145-144-143-142-141-140 -161-160-159-158-153-152-151-150 -189-176-169-167-166-165-164-162 -200-198-197-196-195-193-192-191 219-218-217-208-206-205-204-201
- التلبس	132
- الحال	207-100-99-85-59-57-52-44-24-7
- الحجاب	71
- الحضرة	129
- الحكمة الروحانية	32
- الحكيم الالهي	31
- الحلول	158-142-141
- الخبرة الوظيفية	13
- الخلوة	197-194-193-166-149-148-147-58-57
- الذكر	-170-166-160-104-81-80-76-59-54-7 198-197-196-193-192-185-180
- الذوق	153-150-147-139-68-52-6
- الرموز	9-6
- الزهاد	208-167-162-153-80-58-34-33-5
- السكر	76
- السلوك	-191-166-157-146-103-18-13-8-7-6 204-196-194-193
- السماع	195-150-140-135-53
- السياح	208
- الشطحات	144-12
- الشعوذة	144-141-13

- الصفاء	149-111-41-40-39-35-34-30
- الطابع الاعجمي	10
- الطريقة	218-207-199 -197 -193-192 -189-188-187-186-185-184-179- 172-171-170-169-168-167-166-165-143-90-47-13-9
- العارف	207-177-173-172-149-67-61-37-31-14
- العباد	208-204-180-160-139-114-106-81-80-75-61-60-58-46-5-3
- العزلة	198-141-57-14-7
- الغير	203-197-192-24
- الفقر	155-151-100-99-74
- الفقير	94-90-58
- الفناء	153-149-77
- القابلية	24-23-14
- الكدح	7
- الكرمات	141
- الكشف	207-149-132-58-18
- اللطيفة	40
- المآل	217-7
- المتنسكين	33
- المجاهدة	195-147-144-137-136-115-90-89-59-45-40-35
- المحدثات	8
- المريد/ المريدون	206-198-181-179-122-101-48-13
- المشاهدة	132-41-40-39-34
- المظاهر البيولوجية	18
- المقام	194-185-134-118-100-59
- الوجد	141-13
- الورد	194-193-192
- انماط القيم	17
- بدعيا	138
- خوارق العادات	144-38
- صفاء الاذكار	123-99

- عالم الغيب	183-44
- عالم الملكوت	13-6
- قدس الجبروت	37-14
- يملك ولا يملك	39

فهرس المصادر و المراجع

1. ابن اسحاق الكليني / الكافي
2. ابن الجوزي / تلبيس ابليس
3. ابن الجوزي / صفة الصفوة
4. ابن النديم / الفهرست
5. ابن تيمية / التحفة العراقية
6. ابن تيمية / السلوك
7. ابن تيمية / الفرق بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان
8. ابن تيمية / شرح العقيدة الاصفهانية

9. ابن خلدون / المقدمة
10.ابن خلكان / وفيات الاعيات
11.ابن سينا / الاشارات والتنبيهات
12.ابن عبد البر/ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد
13.ابن قيم الجوزية/ طريق الهجرتين وباب السعادتين
14.ابن كثير / البداية والنهاية
15.ابن منظور / لسان العرب
16.ابن هشام / سيرة النبوية
17.ابو الحسن الاشعري/ مقالات الاسلاميين
18.د/ ابو القاسم سعد الله / آراء في تاريخ الجزائر
19.ابو بكر بن العربي / شرح الترمذي
20.ابو نعيم / حلية الاولياء
21.الاسفراييني / التبصير في الدين
22.الالباني / سلسلة الاحاديث الضعيفة
23.الامام البخاري / صحيح البخاري
24.الامام الذهبي / سير اعلام النبلاء
25.الامام الطبري / تفسيرالقرآن العظيم
26.الامام الغزالي / احياء علوم الدين
27.الامام الغزالي / الكشف والتبين
28.الامام الغزالي / المنقد من الضلال
29.الامام الغزالي / تهذيب الإحياء
30.الامام النووي / رياض الصالحين
31.الامام النووي / شرح الاربعين النووية
32.الامام فخر الدين الرازي / تفسير مفاتيح الغيب
33.الامام مسلم / صحيح مسلم
34.التستري / تفسير التستري
35.الجنيد / تذكرة الاولياء
36.الحافظ ابن كثير / تفسير ابن كثير

37.الزمخشري / تفسير الكشاف
38.السراج الطوسي / اللمع
39.السهروردي / عوارف المعارف
40.الشعراني / الطبقات الكبرى
41.الشهرستاني / الملل والنحل
42.الشيح عبد القادر الجيلالي/ الغنية لطالبي طريق الحق
43.الطبري / تاريخ الامم والملوك
44.العلامة الشيعي آية الله الملأ / أنوار الولاية
45.الفخر الرازي / اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
46.القشيري / الرسالة القشيرية
47.الكلاباذي / التعرف على مذهب اهل التصوف
48.المستشرق / نيكلسون / الصوفية في الاسلام
49.المستشرق / نيكلسون / في التصوف الاسلامي وتاريخه
50.المستشرق دي بور/ تاريخ الفلسفة في الاسلام
51.المقريزي / السلوك لمعرفة دول الملوك
52.د/ جميل صليبيا / المعجم الفلسفي
53.د/ جميل محمد ابو العلا/ التصوف الاسلامي نشأته و أطواره
54.رمضان البوطي / فقه السيرة
55.د / زكريا هاشم زكريا / المستشرقون والاسلام
56.د / زكي مبارك / التصوف الاسلامي
57.د/ سامي النشار/ نِشأة الفكر الفلسفي في الاسلام
58.د/ عبد الحفيظ فرغلي/ التصوف والحياة المعاصر
59.د/ عبد الحليم محمود/ مقدمة المنقد من الضلال
60.عبد الرحمن السلمي/ طبقات الصوفية
61.د/ عبد الرحمن بدوي / شخصيات قلقة في الاسلام
62.د / عبد الرحمن بدوي/ تاريخ التصوف الاسلامي
63.د/ عبد الرحمن بدوي/ رابعة العدوية شهيدة العشق الالهي
64.د/ عبد الرزاق سرور/ رابعة العدوية والحياة الروحية في الاسلام

65.علي بن ابي طالب / نهج البلاغة
66.د/ كامل الشيبي / الصلة بين التصوف والتشيع
67.محمد الغزالي / فقه السيرة
68.د/ محمد جلال شرف / دراسات قي التصوف الاسلامي
69.د/ محمد زيدان / الاستقراء والمنهج العلمي
70.د/ محمد عبد الفتاح سيداحمد/ التصوف بين الغزالي وابن تيمية
71.د/ محمد علي ابوريان / اصول الفلسفة الاشراقية عند السهروردي
72.محمد فؤاد عبد الباقي/ سنن ابن ماجة
73.محمد محي الدين/ سنن ابي داود
74.د/ مصطفى حلمي / الحياة الروحية في الاسلام
75.د/ عبد المنعم / الموسوعة الصوفية
76.د / سعيد بن مسفر القحطاني/ الشيخ عبد القادر الجيلاني وارآؤه الاعتقادية والصوفية
77.د/ عبد الرحمن الوكيل/ هذه هي الصوفية
78.د/ عبد الحليم محمود/ مقدمة التعوف لمذهب اهل التصوف

فهرس الموضوعات

الاهداء 03
الشكروالتقدير 04
المقدمة 05
الفصل الأول: مفهوم الانثربولوجيا 15
المبحث الأول: مفهوم الانثربولوجيا 16
المطلب الأول : مفهوم الانثربولوجيا 17
الفرع الأول :اهداف الانثربولوجيا 19
الفرع الثاني : خصائص الانثربولوجيا 20

المبحث الثاني: مفهوم التربية 21
المطلب الأول : مفهوم التربية 22
المطلب الثاني : اهمية التربية 24
المطلب الثالث : اهداف التربية 27
المبحث الثالث: تعريف التصوف لغة واصطلاحا 28
المطلب الأول: تعريف التصوف لغة 29
الفرع الأول : رأي القدامى 29
الفرع الثاني : رأي الحدثين 31
المطلب الثاني :تعريف التصوف اصطلاحا 35
الفرع الأول : التعريف الاخلاقي 35
الفرع الثاني : التعريف الزهدي 36
الفرع الثالث: تعريفات اعلام الصوفية 38
1 – تعريف ابي سعيد الخراز 38
2 – تعريف الجنيد 38
3 – تعريف الكتاني 38
4 – تعريف الشبلي 39
5 – بشر بن الحارث 39
6 – تعريف الغزالي 40

الفصل الثاني: نشأة التصوف ومصادره 42
المبحث الاول : نشأة التصوف 43
المطلب الاول: النشأة الفطرية 44
المطلب الثاني : النشأة التاريخية 47
المطلب الثالث : العوامل المؤثرة في مجرى التصوف 48
الفرع الاول : العوامل الخارجية 48
1 – آراء المستشرقين حول نشأة التصوف 49
أ – رأي ميركس 49
ب – رأي جونس 49

ج – رأي ثولك 49
د – رأي نيكلسون 49
الفرع الثاني: العوامل الداخلية 51
المبحث الثاني : مصادر التصوف 53
المطلب الاول: **القرآن الكريم** 54
المطلب الثاني : سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – 56
الفرع الاول : سيرة الرسول قبل البعثة 56
الفرع الثاني: سيرة الرسول بعد البعثة 57
المطلب الرابع: سيرة أهل القرآن وأصحاب الصفة 61
الفرع الاول : سيرة أهل القرآن 61
الفرع الثاني : **سيرة أصحاب الصفة** 61
1 – سلمان الفارسي 63
2 – حذيفة بن اليماني 64
3 – البراء بن مالك 64

المطلب الثالث : سيرة الخلفاء والتابعين 65
الفرع الاول : سيرة الخلفاء 65
1 – أبو بكر الصديق 65
2 – عمر بن الخطاب 68
3 – عثمان بن عفان 70
4 – علي بن ابي طالب 72
الفرع الثاني : سيرة التابعين 75
1 – الحسن البصري 75
2 – مالك بن دينار 80

المبحث الثالث : من حياة الصوفية 82
المطلب الاول : الصوفية والعبادة 83
المطلب الثاني: الصوفية والتكاليف الشرعية 89
المطلب الثالث: الصوفية والعلم 92
المطلب الرابع : الصوفية والعمل 94
المبحث الرابع : المسلك الصوفي 98
المطلب الاول : مسلك الحب لله ولرسوله والاقتداء به 99
الفرع الاول: الاقتداء بالرسول الكريم 103
المطلب الثاني : مقام التوبة وشروطها 105
الفرع الاول : مقام التوبة 105
الفرع الثاني : شروط التوبة 108
المطلب الثالث : مقام الورع والزهد والتوكل والرضا 110
الفرع الاول : مقام الورع و الزهد 110
الفرع الثاني : مقام التوكل و الرضا 118

الفصل الثالث : التصوف والافكار الدخيلة عليه 127
المبحث الاول : دعوى التحلل من التكاليف الشرعية وموقف الاسلام منها 128
المطلب الاول : دعوى التحلل من التكاليف الشرعية 129
المطلب الثاني : موقف الاسلام من دعوى التحلل من التكاليف الشرعية 130
المبحث الثاني : فرق محسوبة على الصوفية 135
المطلب الاول : الفرقة الاولى 136
المطلب الثاني : الفرقة الثانية 138
المطلب الثالث: الفرقة الثالثة 139
المبحث الثالث: آراء ومواقف حول الصوفية والتصوف 140

المطلب الاول : موقف أهل السنة من الصوفية والتصوف 141
المطلب الثاني : موقف الشيعة والحوارج 143
الفرع الاول : موقف الشيعة 143
الفرع الثاني : موقف الخوارج 144
المطلب الثالث : النقد الذاتي الصوفي 145
الفرع الاول : الطبقة الاولى 145
الفرع الثاني : الطبقة الثانية 145
الفرع الثالث : الطبقة الثالثة 145
المبحث الرابع : التصوف المشروع كما يراه الغزالي و ابن تيمية 146
المطلب الاول : التصوف المشروع كما يراه الغزالي 147
الفرع الاول : التصوف المشروع كما يراه الغزالي 147
المطلب الثاني : التصوف المشروع كما يراه ابن تيمية 151
الفرع الاول : التصوف المشروع كما يراه ابن تيمية 151
الفرع الثاني : مقام التوبة عند ابن تيمية 153
1 - درجات التوبة 155

الفرع الثالث : موقف ابن تيمية من المبتدعة 158
1 – شبهة عداء ابن تيمية للصوفية 158
2 – شبهة وصف ابن تيمية بتحجر القلب 162
الفصل الرابع : التصوف والصوفية في الجزائر 164
المبحث الاول: المراحل التي مر بها التصوف في الجزائر 165
المطلب الاول :مراحل التصوف بالجزائر 166
الفرع الاول : مرحلة التصوف النخبوى 166
الفرع الثاني : مرحلة التصوف الشعبي 166
المبحث الثاني : عوامل انتشار الصوفية في الجزائر 168

المطلب الاول : العوامل الفكرية،والسياسية،والاجتماعية 169
الفرع الاول : العوامل الفكرية 169
الفرع الثاني: العوامل السياسية 169
الفرع الثالث: العوامل الاجتماعية 169
المبحث الثالث: عبد القادرالجيلاني والطريقة القادريةفي الجزائر 171
المطلب الاول: عبد القادرالجيلاني: مولده, نشأته، ونتاجه المعرفي و الروحي 172
الفرع الاول : مولده، ونشأته 172
1 – مولده 172
2 – نشأته 173
الفرع الثاني : نتاجه المعرفي و الروحي 176
1 – نتاجه المعرفي 176
2 – نتاجه الروحي 180
المطلب الثاني: الطريقة القادرية في الجزائر(ورقلة ووادي سوف) 185
الفرع الاول : الطريقة القادرية في ورقلة 185
الفرع الثاني: الطريقة القادرية في في وادي سوف 186
الفرع الثالث: اسس الطريقة القادرية وأورادها 187
1 – اسس الطريقة القادرية 187
2 – اوراد الطريقة القادرية 189

المبحث الرابع : دراسة بيانية لأثر التصوف في السلوك 191
المطلب الاول : فئات الدراسة البيانية 192
الفرع الاول : الفئة الاولى 192
الفرع الثاني : الفئة الثانية 195
الفرع الثالث : الفئة الثالثة 197
الفرع الرابع : الفئة الرابعة 199
المطلب الثاني : احصاء شامل للزوايا 202
الفرع الاول : نتائج دراسة الإحصا 204

الخاتمة 205
1 _ توصيات 207

الملخص
أ – باللغة العربية 208
ب – باللغة الفرنسية 212
ج – باللغة الانجليزية 215

الفهارس
1 – فهرس الآيات القرآنية 220
3 – فهرس الأحاديث 227
4 – فهرس الأعلام 230
5 – فهرس المصطلحات 233
6 – فهرس الصادر و المراجع 236
7 - فهرس الموضوعات 239

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان

كلية الآداب و العلوم
الإنسانية والإجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

ملخص لنتائج
بحث التربية الصوفية وأثرها في السلوك
دراسة انثربولوجيا

إعداد الطالب
أمحمد ربيع

تحت إشراف
الدكتور: العربي بن الشيخ

السنة الدراسية: 1429 / 1430 هـ
الموافق لـ: 2008 / 2009 م

التربية الصوفية وأثرها في السلوك

– إن الحياة الطيبة هي ما كانت في ظلال العقيدة، مصداقا لقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام / الآية 162. و أن كل خروج عن الهدي "قرآنا كان أوسنة" يكون صاحبه غير مأمون العواقب.

فالرسول – عليه الصلاة السلام –كان خلقه القرآن، و بذلك وصفته أم المؤمنين عائشة فعلم الصحابة ورباهم على هديه. كان الواحد منهم يقرأ عشرا من الآيات فلا يتجاوزها حتى يعمل بها, فورثوا عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – العلم والعمل و نقلوا منهجه

إلى التابعين لهم، فسادوا بذلك العالم أينما حلوا وارتحلوا. "حتى كانت نهاية القرن الثاني الهجري، وقد اتسعت رقعة الخلافة، وتعددت الملل والنحل، وعمت البلوى بكثرة الإقبال على الدنيا، وبدأت شعلة الإيمان تخفت وتتضاءل حتى أصبح يطلق على أهل الإلتزام بالدين والإعراض عن الدنيا اسم: العباد و الزهاد. ومع مرور الزمن أضحت تعرف هذه الجماعة من الناس بالصوفية، وتشكل لها مذهب له ضوابطه ومميزاته"، كما ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته.

– الصوفية هم المتمسكون بالدين، والملتزمون بتعاليمه "شريعة، وعقيدة، وأخلاقا". فكان منهم العلماء الجهابذة في مختلف ميادين العلم من طب، وفلك، وأصول، وفقه وتفسير وحديث من أمثال: الحسن البصري، والفارابي، وجابر ابن حيان، والغزالي والألوسي وغيرهم كثير.

– كان التصوف بعد عهد الصحابة والتابعين مورد عطاء، ومنبع سخاء فكثرت الكتابات فيه: "تأصيلا، وتفريعا، مثل ما فعل: السهروردي في كتابه: عوارف المعارف وشرح المقاصد للتفتزاني، واعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي, و طبقات الشعراني، والإحياء للغزالي.

– إن مجال التصوف واسع، يزخر بالكثير من المراجع و المصادر التي تناولت موضوع التصوف بالبحث: "شرحا، وتحليلا، وتعليقا وقعدت فيه الكثير من النظريات... وتنوعت في وضع الرموز و الإشارات والمصطلحات التي لا يفقه كنهها ولا يدرك سرها إلا الراسخون في العلم الرباني" كما جاء في كتاب الإحياء للغزالي.

– لقد تطور التصوف أثناء مراحله التاريخية، وتعددت آراء العلماء فيه، وعليه فإنه يمكن القول: بأن التصوف الإسلامي قد ظُلم في كثير من قراءات الناس له، ربما بسبب المصطلح – كما يذكر البعض – أو ربّما بسبب صراع بعض الإتجاهات الفكرية له وهو ما أشيع عنه أنه وافد ليست الحياة الإسلامية بحاجة إليه فضلا عن أنه مُبتدع. تسبب ذلك في عزل أهله عن الإسهام الحضاري وعن الإرتباط بالأصول. وقد عرف تاريخ الفكر الإسلامي إتجاهات في نقد التصوف، بعضها من داخله لتصحيح المسار وبعضها من خارجه وذهب أهل المسار الأخير مذاهب: منهم من مدح حتى الأخطاء وسوّغها بالتأويل، ومنهم من غض طرفه عن كل حسن في هذا التراث، فلم ير فيه إلا الخلل والفساد، وانطلق من حالات فردية إلى حكم عام وشامل، وثالثهما توسّط، لكنه لم يكن على شهرة السابقين.

وقد عانى الفكر الصوفي من المذهبين الأوليين إلى حد حجب كثير من الحقائق عن الناس الأمر الذي جعل كثيرا من العلماء والباحثين قديما وحديثا ينادون بضرورة الإلتزام بمنهج وسط بين الرفض المطلق، والقبول المطلق. فهذا سراج الدين الطوسي: قامت محاولاته على أساس توحيد الفقه والتصوف، واعتبارهما علما واحدا، ويرى هذا المؤرخ الصوفي، أن الفقه قائم على الرواية، أما التصوف فهو قائم على الدراية. ولا يجوز – في رأيه – أن يجرّد القول في العلم: على أنه ظاهر أو باطن لأن العلم متمركز في القلب فهو باطن فيه إلى أن يجري ويظهر. ويستمر الطوسي في تأكيد قيام العلمين جنبا إلى جنب مستمدا ذلك من قول الله: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) سورة لقمان/ الآية 20. والنعمة الظاهرة هي فعل الطاعات، والنعمة الباطنة هي ما أنعم الله بها على القلب من الأحوال والمقامات. ولكن لا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر. فالفرق إذن بين الفقه والتصوف هو في الوسيلة فقط. وما أثر عن الإمام مالك من أن من تفقه في الدين ولم يتصوف فقد تفسق, ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق, ومن جمع بينهما فقد تحقق.

– إن الإهتمام بالشريعة وأحكامها والعمل بها، هوفيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة – في الطريق إلى الله – عند الصوفية. فالشريعة عندهم هي الباب الموصلة إلى الحقيقة تأكيدا لقوله تعالى:(وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) البقرة / الآية 189. لا باطن بدون ظاهر ولا حقيقة بدون شريعة. ولا يخرج مؤرخو الطبقات الصوفية الذين جاؤوا في الفترة الواقعة بين وفاة الطوسي والشعراني على الإهتمام بهذا الإتجاه الديني السليم منهم: الكلاباذي، والقشيري، وابن خلدون وغيرهم. يشير الكلاباذي إلى أنواع مختلفة من العلوم الإسلامية، ويجعل للصوفية علما خاصا انفردوا به دون سواهم، هو علم المكاشفات والمشاهدات وعلم الخواطر، مع اهتمامهم بعلم الأحكام الشرعية من أصول الفقه وعلم المعاملات، مبينا أن علوم الصوفية: علوم أحوال، والأحوال هي مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا من صحح الأعمال وأول تصحيح الأعمال معرفة علومها، وهي علم الأحكام الشرعية. وعليه فإنه يضع القواعد والأسس التي يجب على العبد أن يلتزم بها حتى يصل إلى علم الخواطر

والمشاهدات والمكاشفات الخاصة بالصوفية والتي انفردوا بها دون غيرهم من فرق المسلمين. وتقسيم الطريق الصوفي عنده إلى أقسام ثلاثة: علم الحكمة، وعلم المعرفة وعلم الإشارة. أما أبو نعيم الأصبهاني، فقد تابع ما ذكره الكلاباذي، حين يؤكد أن المتصوفة المتحققة في حقائقهم، قد بنوا علمهم على أركان أربعة:

أ- معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

ب - معرفة النفوس وشرورها ومختلف أمراضها.

ج- معرفة وساوس العدو ومكائده.

د - معرفة الدنيا وغرورها وتفتينها وتلوينها، وكيفية الإحتراز منها، والتجافي عنها.

أما أبو القاسم القشيري: وهو من أهم مؤرخي الصوفية، فقد دافع عن منزلة التصوف ومكانته في الفكر الإسلامي، ولم تكن رسالته في علم التصوف إلا للرد على أعداء الصوفية، وبيان قواعد التصوف وأركانه، وارجاعه إلى أصوله الأولى التي كانت سمة الصوفية الأوائل، مبينا أن الآفة تكمن في اعراض القلوب عن حرمة الشريعة واستخفاف بعض من ادعى التصوف بأداء العبادات، بل ركنوا إلى الإقبال عن المحقرات من مختلف الشهوات، وعدم المبالاة بتعاطي المحظورات. أما ابن خلدون: فقد عقد لنا فصلا ممتازا في"المقدمة" سماه: " علم التصوف" تحدث فيه عن أهمية التصوف ونشأته وكذا منهجه وقواعده، واعتبر علم التصوف علما من علوم الشريعة الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية. بل وأصل هذه الطريقة يعود إلى العكوف على العبادة، والإنقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها وهذه المواجد التي تحدث عنها ابن خلدون، هي الأحوال والمقامات, والحال عنده نتيجة مجاهدة المريد وعبادته. كما نجد فخر الدين الرازي: وهو المؤرخ الوحيد الذي اعتبر الصوفية فرقة خاصة، كما قال هو عن نفسه، وحجته في ذلك

أن الصوفية تمتاز بشيء في الأصول تختلف عن بقية الفرق الإسلامية. فأهل السنة والجماعة يرون أن الطريق لمعرفة الله هو السمع، وترى فرق المعتزلة وبعض الفرق الأخرى أن ذلك الطريق هو العقل، أما الصوفية فترى أن الطريق لمعرفة الله هو التصفية، والتجرد من العلائق البدنية للوصول إلى مرتبة الكشف، وقد أفرد الرازي في كتابه "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" بابا خاصا للصوفية هو "الباب الثامن في أحوال الصوفية" وهذه الفرق عنده هي:

– أصحاب العادات : وهم قوم يهتمون بالظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة.

– أصحاب العبادات: وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة، مع ترك سائر الأشغال.

– أصحاب الحقيقة: وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض، لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل بالفكر، وتجريد النفس عن العلائق البدنية. أما ابن سينا: لم يفته أن يشير إلى مقامات العارفين فقد أفرد في كتابه "الإشارات والتنبيهات"النمط التاسع بابا خاصا بهذه الناحية فجعل للعارفين مقامات ودرجات يخصون بها وهم في حياتهم الدنيا دون غيرهم ويصف هم وهم على تلك الحالة فكأنهم في جلابيب من أبدانهم قد تجردوا منها إلى عالم القدس ولهم أمور ظاهرة يستنكرها من ينكرها، ويعظمها من يعرفها ويدركها. ويقسم ابن سينا الطريق الصوفي إلى أقسام ثلاث:

– المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم " الزاهد".

– والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما، ويخص باسم "العابد"

– والمنصرف بفكره إلى الله مستحضرا شروق نور الحق في سره، يختص باسم"العارف".

وهكذ تختلف في أمر الصوفية أنظار العلماء الإسلاميين الباحثين في الفرق، وقد نجد أن الصوفية فرق من الفرق الإسلامية، وقد ورد ذلك في كتاب الفهرست لابن النديم وفي كلام الغزالي. فقد جعل ابن النديم، المقالة الخامسة من كتابه، خاصة بالحياة الروحية وسماهم: "السياح، والزهاد، والعباد، والمتصوفة المتكلمين على الخطرات والوساوس".

لذلك نرى أن المصنفين الذين عرضوا لحصر الفرق قد اهتموا غالبا بالنظر إليهم من ناحية نجاتهم أو هلاكهم، متأثرين بالحديث المشهور الذي ينبئ أن الأمة الإسلامية ستفترق إلى اثنين وسبعين فرقة أو ثلاثة وسبعين كلها في النار إلا واحدة.

– **ومن ذلك يمكن القول** أن التصوف هو عبادة، وسلوك، وهجرة، وهوتمسك بالكتاب والسنة "منهجا، وسلوكا، فقها، وعملا , أي: عقيدة، وشريعة، وأخلاقا"، عند ذلك تظهر الثمرة ألا وهي نور في القلب، يهدي أعماله ويحكم تصرفاته، هذا النور يأتي نتيجة الإقتداء بالكتاب والسنة، ومجاهدة النفس والأخذ بزمامها، هذا النور هو الإيمان والتقوى. وأن العبد السالك مادام ملتزما بأوامر الكتاب والسنة، "إتيانا وتركا" امتلأ قلبه بالنور، فهذا النور هو مفتاح أكثر المعارف. وهكذا التصوف يهدف إلى إيجاد مجتمع نقي سليم قوامه الفضيلة والأخلاق بين أفراده برقابة ذاتية يكون لكل فرد منهم وازع نفسي تلقائي يدفعه إلى الحرص على الكمال وطلبه، والرغبة في النفع والخير المطلق لصالح المجتمع كله, وأن يكون رائد هؤلاء أولا وأخيرا معرفة ربهم، وتوثيق الصلة به عن طريق التقرب إليه بأداء الفرائض التي افترضها والنوافل التي استنها رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ذلك هو أساس في التصوف الإسلامي الصحيح الذي نسعى إليه ويريده كل مسلم يحب دينه.

– إن التصوف الحقيقي أوالنقي، كما يسميه الغزالي أوالسني أو المشروع، كما يسميه ابن تيمية، وقع ضحية الغلو الناتج عن افراط قوم، وتفريط آخرين فمنهم من غالى وأسرف حتى قال برفع التكاليف الشرعية، ومنهم من فرّط وأهمل الباطن وقصر في التزكية ونتيجة لهذا الطرح الخاطئ ومع مرور الزمن حصلت تراكمات في مختلف الذهنيات واستصحبتها الأجيال وتوارثتها، وشكلت صورة قاتمة، يصعب فك طلاسيمها إلا بالعودة إلى أصول التصوف، وقراءتها قراءة صحيحة على ضوء الكتاب والسنة. فالتصوف السني ومسالك الطريق هو التزام بالكتاب والسنة"علما وعملا" وهو الإقتداء الكامل بنبي هذه الأمة ورسولها محمد – صلى الله عليه وسلم —

ولذا فقد حرص كثير من الصوفية على أن يكون تصوفهم مبنيا على المنهج الإسلامي وظل يتطور حتى أدى رسالته لدى رائده الإمام الغزالي الذي هو في الواقع الحارس والحصن لروح المنهج الإسلامي الذي يقيد الحقيقة بالشريعة، ويؤيد الشريعة بالحقيقة على استواء السر والعلن، وتوكيد الباطن في الظاهر. وقد بين "أبوالطالب المكي" أن أرباب علم التصوف السني: هم الذين ورثوا علوم الأنبياء والمرسلين، واقتفوا آثارهم وسلكوا طريقهم

واجتهـدوا في جهـاد أنفسـهم، وصـبروا علـى مـرارات الطريـق حـتى ظفـروا بـالقرب مـن معبودهم، وهؤلاء هم عباد الصحابة مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان وعلي، وأبى ذر، وزيد ابن حارثة، وحذيفة، وسلمان، وصهيب، ومن أتى من بعدهم من التابعين وتابعيهم. ويمكن استخلاص النتائج الآتية:

1 – إن من زهد أبي بكريتمثل في تطويعه للدنيا التي ملكها، حيث كان ينفق أمواله في كل ما يرضي الله ولا يبالي.

2 – بلغ زهد عمر بن الخطاب في تطبيق شرع الله إلى درجة استحضارمراقبة الله له على الدوام.

3 – زهد عثمان بن عفان تمثل في كثرة العبادة والإستشعار بالخوف من المآل.

4 – زهد علي بن أبي طالب كان تقشا في العيش،وإيثارا للغير.

5 – تميز زهد أبي الدرداء وسلمان وأبي ذر بكثرة التسبيح لله والتفكر و التأمل في آياته.

6 – تميز الزهد عند التابعين بالتبعية والإقتداء بالصحابة مثل: الحسن البصري الذي كان زهده الحزن والخوف، وكذا كان زهد زين العابدين وجعفر ومن تبعهم.

7 – ظهور مصطلح التصوف منذ نهاية عصر التابعين؛ وشموله مفهوم التصوف الشرعي (الزهد) وغيره من مفاهيم التصوف البدعي.

8 – أصبح التصوف مدرسة تربوية لها منهجها وضوابطها في رعاية السالكين في مدارج الكمال الإنساني. هذا ما يجعلها قابلة للتعدد والتنوع بحسب تنوع الوسائل الشرعية المستخدمة لتحقيق المقاصد التربوية.

9 – يمكننا التمييز بين التصوف الشرعي والبدعي بالإلزامات والتعاليم الأدبية و المعرفية: مثل تصوف المحاسبي والجنيد,هدا التصوف الذي كان تعمقا في تحصيل المعارف المختلفة, والإنضباط الأدبي والأخلاقي بخصال الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم.

10 – تميز التصوف البدعي بالإضافات الزائدة عن نصوص الوحي ومفهومها. والتي لم يستسيغها ويستحسنها الصحابة وتابعوهم، كما ذكرذلك الغزالي في وصف المبتدعة "وبعضهم يزعمون أنهم قد ترفعوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال

البدنية، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لتفوقهم فيها، ويرفعون أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم السلام ".

11 – يتبين من خلال أثار المؤسس الأول للطريقة القادرية (عبد القادر الجيلاني) أن تصوفه كان شرعيا، لكن بعض المنتسبين للطريقته لاحقا احدثوا فيها بدعا تخرجها من التصوف الشرعي إلى البدعي.

12 – الطريقة القادرية في الجزائر لها وجهان:

أ – وجه شرعي يظهر قي تمسك بعض مريديها بتعاليم الشيخ عبد القادر الشرعية والتي لها دور في حفظ بناء النظام الإجتماعي الجزائري.

ب – وجه بدعي يظهر في انحراف بعض مريدها عن تعاليم الشيخ عبد القادر .

13 – لقد ساهمت الطريقة القادرية في الجزائر في التكافل الإجتماعي، وحفظ الهوية الإسلامية العربية للمواطن الجزائري، كما جندته لمقاومة الإستعاري "سياسيا وثقافيا"

توصيات :

من خلال النتائج المتوصل إليها يمكننا التوصية بما يلي:

1 – اجراء ملتقيات دورية حول الطرق الصوفية في الجزائر.

2 – تشجيع الباحثين في مرحلة الماجستير والدكتوراه على تناول مواضيع التصوف في الجزائر.

3 – انشاء مراكز دراسات متخصصة في مجال وظائف الطرق الصوفية في المجتمع الجزائر.

4 – فتح فرع متخصص في الدراسات الصوفية في الجامعات الجزائرية.

5 – فتح تخصص في دراسة التصوف أنثروبولوجيا.

Résumé :

Le soufisme est l'adoration et le comportement et les migrations , qui sont maintenues dans le livre et de l'année approche et le comportement en conséquence, et conformément à <<toute doctrine et le droit moral, qui vise à créer une société fondée sur le son pur de moralité et d'éthique,et demande instamment que la demande pour plus de la perfection et la volonté d'intégrer le bon et bénéfique pour l'individu et de la société, ce qui rend le contrôle de ses membres sont très motivés pour documenter le lien entre eux
et Dieu

Mots-clés :

Le soufisme, l'ascèse et ascétique, la division, l'isolement, la perturbation, de connaître Dieu, le culte de Dieu

Abstract :

Sufism is the worship and the behavior and migration, which are maintained in the book and the year "approach and behavior accordingly, and pursuant to" any doctrine and moral law, which aims to create a society based on pure sound morality and ethics, and urges that the request for further perfection and the desire to mainstream the good and beneficial for the individual and society, which makes the control of its members are self -motivated to document the link between them and God.

Keywords:

Sufism, and asceticism ascetic, division, isolation, interruption, to know God, worship God.

الملخص:

إن التصوف هو عبادة و سلوك و هجرة , وهو تمسك بالكتاب والسنة " منهجا وسلوكا, فقها وعملا "أي عقيدة و شريعة وأخلاقا , وهو يهدف إلى إيجاد مجتمع نقي سليم قوامه الفضيلة و الأخلاق, و يحث على طلب المزيد من الكمال و الرغبة في تعميم الخير والنفع لصالح الفرد والمجتمع, مما يجعل أفراده يشعرون برقابة ذاتية تدفعهم إلى توثيق الصلة بينهم وبين الله .

الكلمات المفتاحية:

الصوفية, الزهد والزاهد, الفرقة, العزلة, الانقطاع, العارف,العابد .